البابية والبهائية والقاديانية في المعايير الإسلامية

دكتور
حسن محرم الحويني
أستاذ ورئيس قسم العقيدة والفلسفة
بكلية أصول الدين - جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

كثيراً ما يجد الإنسان نفسه مسوقاً إلى الإسهام فى ميدان الحق، ومدفوعاً إلى حلبة البذل والعطاء ومع ذلك فقد يكون فى أول الذين يحظون بطيب الغنيمة، وفى مقدمة من يجنون أشهى الثمار.

نعم، قد يكون من التنبيه إلى أمر معلوم، أن طلب الحق، وتقصى الصواب هو من أهم المهمات إن لم يكن المهمة الفريدة، ومن أول الأهداف إن لم يكن الهدف الوحيد بالنسبة لكل من يضطلع بدور التعليم والتوجيه. وبخاصة إذا كان الميدان هو الجامعة، ويشتد الأمر اختصاصاً إذا كانت القناة الشرعية هى كلية أصول الدين.

وتزداد خطورة المسئولية إذا كانت النافذة المشرفة هى قسم العقيدة. وقد من الله على بأن آخذ مكانى بين هؤلاء الذين أنيطت بهم هذه المهمة، ولغيوا هذه الغاية.

وبالرغم من ذلك فإننى قد أقدمت على إبراز الحق من خلال تلك الدراسة التى أودعتها هذا الكتاب، بحكم واجبي الوظيفى فى وقت من الأوقات كان ذلك حيث كلفت بإلقاء محاضرات حول البهائية والقاديانية فى إحدى الكليات بالمملكة العربية السعودية.

ومن عادتى أن أقوم بتدوين محاضراتى التى لم يسبق لها تدوين بعد الفراغ

من إلقائها ، ولم تسمح الظروف إلا بتدوين المباحث التى تتعلق بالقاديانية أو معظمها .

وشاء الله أن أكلف بإلقاء محاضرات حول هاتين الفرقتين بكلية أصول الدين جامعة الأزهر فى هذا العام . فقمت بتدوين ما بقى من مباحث ودراسات حولهما ، وعزمت على أن تخرج هذه الدراسة من حيز المخطوط إلى كتاب مطبوع لتتسع دائرة الاطلاع عليه ليعلم القارىء بضلالهما وما قصد إليه أصحابهما واتباعهما من يشويه لحقائق الإسلام وتزييف لعقائده وتلبيس لمبادئه وتعاليمه . ولا غرابة فى ذلك فقد اجترأ مؤسسوا هذه الفرق — أعنى البابية والبهائية والقاديانية — على مقام النبوة وادعوه لأنفسهم ، ومهما تكن دوافعهم إلى ذلك فإنهم قد حادوا عن جادة الإيمان وخرجوا بذلك على حدود الإسلام ؛ لأنهم أنكروا ما علم من الدين بالضرورة ،وصادموا ما ثبت بالنص المتواتر قرآنا وسنة كعقيدة ختم النبوة بنبوة سيد ولد آدم محمد ﷺ ، وانتهاء نزول الوحى بانتهاء الشرائع السماوية حين أكمل الله دينه وأتم نعمته بالإسلام .

وهذه كبرى ضلالاتهم ودونها ضلالات أخر لا يسلم من التقصير من أحجم عن مطالعتها فضلا عمن توانى فى إبرازها لجمهرة المسلمين ممن وكلت إليهم مهمة ذلك .

ولقد كانت فرصتى فوق ذلك أن أضيف بهذا الكتاب حلقة جديدة فى سلسلة هذه الدراسات التى قمت بها وأقوم منذ سنوات ، وهى ما تتعلق بالتيارات والمذاهب المضادة للإسلام والموجهة إلى عقائده وأحكامه ومبادئه ، بدأتها بدراسة حول الداروينية أو مذهب التطور . ثم البراجمانية ،

ثم نظرية التحليل النفسي عند فرويد ثم الماركسية ، فالبهائية والقاديانية ، والعزم منعقد إن شاء الله على مواصلة المسيرة ما مد الله لنا في العمر . ومن الله أستمد العون وبه السداد والتوفيق .

فجر اليوم التاسع عشر من شهر صفر سنة ١٤٠٥ هـ

الموافق الثاني عشر من نوفمبر سنة ١٩٨٤ م .

الدكتور حسن محرم

البابية والبهائية

تمهيد : فى ظهور البابية وأهم عوامل نشأتها :

لقب البابية والبهائية أطلق على فرقتين من الفرق المنحرفة عن الخط الإسلامى الواضح ، ظهرتا فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر للميلاد .

وكانت البهائية امتداداً للبابية ، فهى وإن خالفت البابية فى مبادئها وتعاليمها إلا أنها هى التى خلفتها فى تمثيل هذا المذهب العقدى والدينى فيما زعموا ، والذى كان .

ومؤسس البابية هو الميرزا على محمد الشيرازى الذى لقب بالباب ولقب أتباعه بالبابية نسبة إليه . كما لقب البهائية بهذا اللقب نسبة إلى زعيمهم بهاء الله الميرزا حسين على المازندرانى .

وقد برز انحراف هاتين الفرقتين عن جادة الإسلام فى ادعاء كل من زعيميهما المهدية ثم النبوة ، ثم الألوهية . وما استلزمه هذا الزيغ والضلال من تغيير فى الأحكام الإسلامية ونسخ لأصولها وفروعها .

وكان المسمى بعلى محمد الشيرازى قد بدأ رحلة الكفر هذه بدعوته إلى نفسه باباً . ولقب الباب كما كان يعرف عن الشيعة الإثنا عشرية هو الشخص الممتاز الذى ينوب عن الإمام الغائب فى تبليغ تعاليمه إلى أتباعه ، وهو الباب الموصل إلى القاء بالإمام الغائب الذى يترقبون ظهوره . ولعل ظهور هذا الرجل على هذا النحو فى بداية دعوته يقفنا على هذه الحقيقة التى أقرها كثير من الكتاب والمؤرخين لهذه الفرقة . تلك الحقيقة هى أن ظهور البابيه

والبابية قد كان نتاجاً لتخطيط شيعى وتدبير باطنى ، حيث ولدت هذه الفرقة فى بلاد إيران الفارسية التى فتأت منذ الفتح الإسلامى مهداً لعديد من الفرق والمذاهب التى استهدفت الإسلام لتحريف عقائده وتزييف أحكامه ومبادئه وكان على رأس هذه الفرق الشيعة - الإسماعيلية - والإثنا عشرية . التى بيتت للإسلام ، وأضمرت له كل أحقاد الباطنية المجوسية وعداوتها المسمومة ، وخططت لضربه من الداخل بالخداع والتلبيس ، تعاونها وتظاهرها مذاهب أخرى لا تقل عنها حقداً وبغضاً للإسلام ، كاليهودية العالمية وحركات التبشير المسيحى وكتاب التغريب ودعاة الغزو الثقافى بالحديث عن الفكر الحر، إذ ينبغى أن يفتح باب الحوار الحر مع هذه الفرق المنحرفة والدعوات الهدامة مستهدفين من وراء ذلك ضرب الإسلام والتضييق على المسلمين .

فيقول محمد عبد الله عنان: يرى بعض الباحثين فى تاريخ الحركات الهدامة أن حركة التفكير الحر فى الإسلام ترجع فى الأصل إلى نشاط الدعوى اليهودية التى قصد بها الدعاة اليهود أن يثأروا لدينهم ولأنفسهم بهدم النصرانية والإسلام ، وأن حركة الهدم والإلحاد التى وثبت بادىء ذى بدء فى فارس وكان قوامها ابن ديصان وولده عبد الله دبرها دعاة (الكابالا اليهودية) التعاليم العبرية السرية ، ثم تعهدها بالنصح والمال[1] وهكذا تلتقى قوى المكر ومصادر الشر حول غاية واحدة هى الثأر من دين الإسلام ، فاليهود والمسيحيون يريدون أن يثأروا من الإسلام لأنه الدين الذى نسخ دينهم وقضى على عنصريتهم دون أن يسلموا له بدوره الذى اضطلع به كدين خاتم لسائر الأديان السماوية وما يتطلبه هذا الدور من عموم شريعته وشمولها لكل الأمم وسائر الأزمان والأماكن .

---

(١) انظر كتاب المؤامرة على الإسلام ص ١٩٣ .

والمجوس أصحاب الحضارات القديمة والأديان التى حملت فى أحشائها عناصر هدمها وفنائها بغلظ وثنيتها وفظاظة ماديتها، يطلبون هم أيضاً ثأرهم عند الإسلام الذى سلبهم هذه الأمجاد، ففصلهم عن تاريخهم العريق وأكثر الإيرانيين قبل ظهور البابية هم أولئك الشيعة الإمامية من الإسماعيلية والإثنا عشرية وهم من سلالة المجوس الذين لا ينسون هذا الثأر من الإسلام ولا يدخرون وسعاً فى إحكام التخطيط للنيل منه والانتقام من المسلمين كلما سنحت الفرصة لذلك، فلم يكن فى مقدورهم حينئذ أن يعلنوا المواجهة السافرة مع الإسلام والمسلمين ومن ثم كان قوام مخططهم ضرب الإسلام من داخله فطفقوا يدعون أنهم حماته والحراس عليه ويقودون حملة التحريف والتزييف لمعانى القرآن زاعمين أن له ظاهراً وباطناً وأن ظواهر نصوصه ما هى إلا رموز وإشارات لمعانى خفية وأسرار مستورة لا يكشفها إلا أهل المعرفة والعلم، وأهل المعرفة والعلم هم أئمتهم الذين تجسدت فيهم الصفات الإلهية، والذين سموا بهم فوق مستوى البشر بل فوق مستوى النبوة، إما بسبب اعتقادهم بتجسد الحقيقة الإلهية فى صورهم وأجسامهم العابرة على طريق التبادل والانتقال، أو بسبب اعتقاد بعضهم من المعتدلين بحلول المادة النورانية الإلهية فى أجسادهم وأرواحهم التى هى أنقى وأصفى من أرواح البشر قاطبة، والتى انحدرت إليهم تباعاً بالوراثة عن آدم عليه السلام فمن بعده من سلسلة الأنبياء المصطفين، والتى انشطرت إلى شطرين خص منها عبد الله أبو النبى ﷺ بشطر وخص بالشطر الآخر أبو طالب فورثها عنه أول أئمتهم على كرم الله وجهه، ثم ورثها كل واحد من سلسلة أئمتهم لمن بعده من أبنائه إلى آخر ما جاء فى عقيدتهم هذه.

فأئمة الشيعة الإمامية بما خصوهم به من هذه المنزلة هم الذين يناط بهم

دون سواهم فهم ما تنطوى عليه بواطن الشريعة من العلوم والأسرار ، كما تناط بهم مهمة التعليم والتلقين لهذه العلوم والحقائق الدينية .

وكل إمام يضطلع بنصيبه من هذه المهمة على حسب وقته وخلال حيـــاته .

والإمام فى وقته هو صاحب الزمان ومجدد الشريعة ومحيى الملة والمدخر لتجديد الفرائض والسنن ، والمعصوم من الذنوب والعيوب .

ولم تكن عقيدة الإمامة عند الشيعة الإثنا عشرية وما احتوته من ظاهرة الأبواب نواب الإمام الغائب فى غيبته الصغرى هى السبب فى استهلال الميرزا على محمد الشيرازى فى مراحل دعوته بإدعاءاته الباب للمهدى المنتظر الذى قرب وقت ظهوره . وإنما يمكننا القول: بأنها كانت أهم العوامل إن لم تكن أهمها على الإطلاق فى أصل ظهوره وظهور نحلته . فبعد انتهاء الغيبة الصغرى لمحمد بن الحسن العسكرى وهو الإمام الثانى عشر للشيعة الإثنا عشرية وهو المهدى المنتظر عندهم سنة ٣٢٩ هـ ، بدأت ما سميت عندهم بالغيبة الكبرى التى انقطعت بها صلة غائبهم هذا بنوابه وبوسطائه إلى الأتباع . وما زالت هذه الغيبة مستمرة حتى يومنا هذا[١] .

---

(١) ويعلق محب الدين الخطيب على قصة محمد بن الحسن العسكرى الإمام الغائب منذ ولادته فيقول : « شخصية موهومة نسجها كذبا الحسن العسكرى الذى مات من غير ولد وصفى أخوه جعفر تركته على أنه لا ولد له ، والعلويين سجل مواليد يقوم عليه نقيب فى تلك الأزمان ، لا يولد منهم مولود إلا سجل فيه . ولم يسجل فيه للحسن العسكرى أنه مات عن ولد ذكر ، ولكن لما مات الحسن العسكرى عقيما ووقفت سلسلة الإمامة عند أتباعه رأوا أن المذهب مات بموته

إلا أنه بعد مرور نحو ألف سنة منذ أن بدأت أسطورة اختفاء محمد بن الحسن العسكرى ومهزلة غيبته الموهومة برزت فى الجو الشيعى جماعة الشيخية ، وهم جماعة من الشيعة الإثنا عشرية يتزعم هذه الجماعة رجل يسمى بالشيخ أحمد الأحسائى .

وقد رأى هذا الرجل ما أحدثته غيبة الإمام التى طال أمدها فى نفوس شيعته من قلق وملل، وما عكسته فى عقولهم من ريبة وتشكك فى حقيقتها ، فرأى إنقاذاً لعقيدة الإمامية من الانهيار والتفسخ أن يضيف بعداً جديداً إلى الأسطورة بأن يعدل من مسارها ، وذلك بضرب جديد من التأويل ، فأعلن أن غيبة الإمام ليست جسمانية كما هو الأصل فى العقيدة وإنما هى غيبة روحانية . فروح الإمام تعيش الآن فى عالم روحانى حول ما سماه مدينة جبلقا أو مدينة جبلصا .

وأن هذه الغيبة الروحية لا تتنافى مع عقيدة الرجعة ، فإن الغائب الذى هو وشيك الرجوع والظهور سيظهر بصفاته فى صورة رجل بعد ذلك من قبل العناية الإلهية وحدد تلميذه كاظم الرشتى وقت هذا الظهور فى منتصف القرن الثالث عشر الهجرى ، وهو نفس الزمن الذى ظهر فيه على محمد الشيرازى ودعا إلى نفسه باباً .

= وأصبحوا غير إماميين ، لأنهم لا إمام لهم ، فاخترع شيطان من شياطينهم يسمى محمد بن نصير من موالى بنى نمير فكرة أن للحسن ولداً مخبوءاً فى سرداب بيت أبيه ليتمكن هو وزملاء معه من الاحتيال على عوام الشيعة وأغنيائهم بتحصيل الزكاة منهم باسم إمام موجود - وليواصلوا الادعاء كذباً أنهم إمامية .

انظر الخطوط العريضة للأسس التى قام عليها دين الشيعة الإمامية الإثنا عشرية ص ٢٨ - ٣٠ .

فخرج الأحسائى(١) فى هذا الاتجاه بعقيدة الغيبة من طابعها الأسطورى ليقع بها فى عقيدة التناسخ حيث تصبح الرجعة لروح الإمام الغائب وصفاته وخصائصه متجسدة فى شخص آخر حدد وقت ظهوره ، وهى عقيدة هندية مخالفة لعقائد الإسلام المعلومة من الدين بالضرورة . ولكنه على كل حال قد قدم الحل الذى أرضى البعض من الشيعة الإثنا عشرية لمشكلة غيبة إمامهم ورجعته .

وكان للأحسائى تعاليمه وآراؤه المؤثرة أثر السحر فى نفوس أتباعه وبخاصة من الشيخية ، وذلك لما تمتعت به شخصيته من مكانة رفعوه فيها إلى درجة النبوة .

وكانت تعاليمه تصدر عن منبع فلسفى وباطنى انعكست على تحريفه لعقائد الإسلام وتزييفه لمعانى القرآن ، مما جعل بعض المؤرخين يذهب إلى أنه شخصية مدسوسة فى المسلمين من قبل حركات التبشير الاستعمارية أو مدفوعة من قبل اليهودية العالمية لضرب الإسلام وتشويه حقائقه . وبعضهم يذهب إلى أنه ثمرة ونتاج التعاليم الباطنية المنحرفة ، ولا مانع من أن تكون هذه الشخصية مما جنده الاستعمار أو اليهودية لذلك الغرض ، ولم تجد فى هذا الجو الشيعى المروج لأسطورة المهدى المنتظر بالمفهوم الشيعى ومنزلة الإمام الغائب خيراً من تعاليم الباطنية وما يتلاءم معها من أفكار فلسفية ، ينمى بها هذا الاتجاه فتسهل مهمته ويقترب أكثر وأكثر من غرضه .

ولهذا لم يكن له من هم فى مجالسه مع أتباعه إلا ترسيخ الإيمان بقرب ظهور المهدى وتحريضهم على البحث عنه فى كل مكان والتماسه فى كل زمان ،

---

(١) المتوفى سنة ١٢٤٣هـ/١٨٢٦م .

حتى يظفر السعيد بلقائه ، والنكوص عن هذا مما يتنزه عنه المريدون ، وكيف لا والمهدى المنتظر هو الذى سيحمل للأمة الخلاص مما يطوقها من الكوارث وما يكتنفها من شرور وظلم ، وسيملأ الأرض عدلا بعد أن ملئت جوراً .

وعلى نهج الأحسائى مضى تلميذه وخليفته فى زعامة الشيخية كاظم الرشتى[1] فكراً وعقيدة وخطورة على الإسلام ، ولم يقل عنه ترويجاً لفكرة ظهور الإمام الغائب والمهدى المنتظر وحضاً للأتباع على ترقبه والتماسه .

فيذكر مؤرخوا البهائية أن هذه الأكذوبة قد تحولت فى نفوس الإيرانيين حينئذ إلى ما يشبه اليقين وأن الوهم تحول إلى ما يشبه الحقيقة نتيجة لمسالك الرشتى هذا ومن قبله شيخه الأحسائى إلى حد أنه يزعم أحدهم أنه رأى المهدى معاينة فى مدينة جابلقا المجهولة ، ويزعم آخر بأنه رآه فى الصحراء ، وثالث بأنه نجاه من الغرق ، ورابع بأنه سمعه يناديه باسمه ، وخامس بأنه شاهد أولاده الهاشم والقاسم والطاهر فى مدينة جابلصا[2] يلون أمر المسلمين ويدبرون شئونهم ، إلى آخر ما تحكم فى عقول الإيرانيين — وأكثرهم من الشيعة الإمامية — من الخرافات والترهات حول هذه الأكذوبة .

---

(١) المولود سنة ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م .

(٢) جابلقا وجابلصا — بضم الباء فيهما — مدينتان اخترعتهما عقول أهل الخيال فزعموا أن أولاهما فى طرف المشرق ، والأخرى فى طرف المغرب وأن لكل منهما ألف باب ، وعلى كل باب ألف حارس ولها شأن فى علامات ظهور المهدى لأنه وأولاداً له الائمة يظهرون منهما ، البهائية لمحب الدين الخطيب ص ١٤ هامش .

وكان من تردد على مجالس الرشتى ذلك الرجل المتصوف الطموح المثقف الدائم التأمل على محمد الشيرازى .

ويبدو أن فكرة قرب ظهور المهدى قد استهوته ونالت من نفسه استحساناً ، كما يبدو أن بعض رفاقه من تلاميذ الرشتى قد لاحظ فيه هذه النزعة التطلعية المتطرفة وهذا الطموح المندفع ففكر فى استغلاله وأوعز إليه بأنه سيكون من ذوى الشأن والخطر هذا الرجل هو الملا حسين البشروئى الذى كان له دور خطير بعد ذلك فى انتشار الدعوة البابية مع أن دوافعه فى هذا الإيعاز كانت محل خلاف الكتاب ، ولكنه كان على كل حال رجلا مغرضاً فى إغراء نزعة التطلع عند الشيرازى أياً كانت الجهة التى كان يعمل لحسابها ضد الاسلام .

وإذا كانت حركة الشيخية على هذا النحو قد هيأت المناخ الدينى فى إيران لظهور من يدعى المهدية دون أن يحتاج إلى كبير عناء من أمثال على محمد الشيرازى ، فقد وجدت فى البيئة الدينية حولها كثيراً من الروافض التى تغذيها وتتيح لها مزيداً من التكييف والملاءمة ، وقد تمثلت هذه الروافض فى خليط من النحل والمذاهب التى كانت تعتقد بالرجعة فى هذه البيئة آنذاك كاليهود ينتظرون مخلصهم الموعود والنصارى المؤمنين برجعة المسيح وبقايا « الزرادشتيين » يترقبون منقذهم « بهرام شاه » .

أما البيئة السياسية فقد لعبت هى الأخرى دوراً خطيراً فى إعداد النفوس وتهيئتها لتقبل خدعة المهدية التى برزت بظهور البابية وذلك بسبب ما كانت تعانيه البلاد وقت إذن من ظلم وفساد اجتماعى وهى التى تستدعى ظهور المهدى الذى يملأ الأرض عدلا بعد أن ملئت جوراً وظلماً .

فالحكم يتردد بين حكومات ظالمة مستبدة أو ضعيفة مقهورة وحالة البلاد المالية تزداد سوء وعلماء الأمة يغلب على طابعهم التعصب والتعنت والجهل سمة الشعب البارزة ، والخرافات تشوه عقولهم وأدمغتهم ، والعلوم الغربية أصبحت من قبيل الرجس الشيطاني والطرق ردیئة غير مأمونة ولا صالحة للأسفار .

ومن قبل ذلك ومن بعده تباكى الفرس على مجدهم القديم الذى سلبه العرب المسلمون والذى ينتظرون عودته لا محالة إلى الفرس تحقيقاً لنبوءة زرادشت القديمة .

كل ذلك وغيره قد أعطى الفرصة الثمينة لظهور من يدعى المهدية دون أن يحتاج فى تصديقه وقبول دعوته إلا إلى شىء غير كثير من التلبيس والتمويه ، فكان أول من اقتنصها فى هذا الجو الممهد الميرزا على محمد الشيرازى .

الباب : حيـــاته ودعوته

ولد الباب فى شيراز إحدى المدن الإيرانية المشهورة ، فى أول المحرم عام ١٢٣٥هـ الموافق ١٨١٩م ، وإذا كنا فيما سبق قد ألمحنا إلى أن عام ١٢٦٠ للهجرة وهو عام ١٨٤٤ من الميلاد هو العام الذى خرج فيـه الرجل داعياً إلى نفسه باباً ، فإنه يكون حينئذ لم يزل شاباً إذ لم يتجاوز عمره الخامسة والعشرين بعد ، ويشير ذلك إلى ما كانت تتسم به شخصيته من غرور وتطلع محموم .

وأما عن نسبه ، فلم يعرف منه إلا اسمه واسم أبيه واسم أمه ، على الأقل فيما وقع تحت أيدينا من مراجع ، فاسمه على محمد وهو اسم مركب واسم أبيه رضا البزاز واسم أمه خديجة ، وهما علويان وقد حرمت طفولته رعاية الأب إذ توفى والده وهو بعد فى سن الرضاعة فانتهى أمر تربيته إلى خاله الميرزا على الشيرازى ، ولم يدخر خاله جهداً فى رعايته فعلمه حرفته ، وقد كان تاجراً ، وأتاح له فرصة الدرس والتعلم فحظى بنصيب غير عظيم من التعليم كما عرف شيئاً من اللغة العربية إلى جانب الفارسية ، ولم يتخل عنه خاله حتى بلغ سن العشرين وكان قد اصطحبه معه إلى (بوشهر) .

وقد سلك فى شبابه الباكر وهو لا يزال فى كنف خاله سلوك المتصوفة من الزهد وأخذ النفس بالرياضيات الشاقة ، ويبدو أن ذلك لم يكن بغرض الطاعة والعبادة رغم انخداع البعض به بقدر ما كان شيئاً لازماً لإنفاذ ما أغرم به مما يسمى (بفن تسخير أرواح الكواكب) .

فكان يصعد إلى سطح بيته ليمكث ساعات الهجيرة تحت حرارة

الشمس المحرقة عارى الرأس فعرض نفسه بسبب ذلك لكثير من النوبات العصبية وما زال على هذا الأمر حتى انحطت قواه .

ولما لم يجد خاله حيلة معه لحمله على ترك هذا المسلك دفعه للسفر إلى العراق حيث مشاهد آل البيت عله يبرأ مما ألم به بسبب زيارة هذه المشاهد دون جدوى .

ولكن الحدث المؤثر فى رحلته هذه هو لقائه بخليفة الشيخية الشيخ كاظم الرشتى أثناء إقامته بكربلاء فانتظم فى مجالسه وسمع أحاديثه ودروسه وبخاصة تلك الأحاديث والدروس التى يصر الرشتى على تكرارها كل وقت وفى كل مجلس وهى ما تتعلق بقرب ظهور المهدى الذى قد يكون بين الحاضرين فى مجالس الرشتى كما يزعم الرشتى نفسه الذى كان يدعى أيضاً أنه لن يظهر إلا بعد إنتقاله وموته وعلى أتباعه ومريديه أن يهيئوا أنفسهم وأن يستعدوا للقائه الذى يأتى وشيكا(١) .

وقد سبق أن أشرنا إلى أن الملا حسين البشروئى وقد كان من تلامذة الرشتى وهو رفقاء على محمد الشيرازى قد أوحى له بأنه يمكن أن يكون هو المراد من كلام الرشتى عن المهدى الذى يوشك أن يظهر هذا كما أشرنا إلى أن ذلك قد كان سبباً فى إتجاه على محمد إلى القيام بدعوته .

---

(١) انظر الكواكب الدرية للميرزا عبد الحسين ص٥٤ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٦٢ ، مفتاح باب الأبواب ص ١١٢ ، ص ١١٣ لمحمد مهدى — مطالع الأنوار للزارندى البهائى ص ٣٠ ، ٣١ .

الشيرازى يزعم أنه الباب :

وقد دعى الميرزا على محمد إلى نفسه باباً للمهدى المنتظر ومبشراً بقرب ظهوره عام ١٢٦٠ هـ - ١٨٤٤ م إثر حادثة مهد بها لهذا الأمر - وهى اعتكافه فى مسجد على مدة من الزمان عازفاً عن الدنيا منهمكا فى العبادة ، وإذا به يقطع اعتكافه ويخرج على الناس فى حالة من الشرود والذهول ويدعو من يتوخى فيهم الاستجابة من عامة الناس وبسطائهم إلى الإيمان بأنه الباب الذى تشرق منه هداية الإمام الغائب وتعاليمه مردداً فى حجته على ذلك أقوالا منها ما هو مقتبس من القرآن كقوله تعالى : « وأتوا البيوت من أبوابها »(١) .

ومنها ماهو من موضوعات الحديث « أنا مدينة العلم وعلى بابها » موضحاً ذلك بأنه إذا كان الموصل إلى الله هم الأنبياء فإن الموصل إلى الأنبياء هم الأولياء ومنهم الأئمة بطبيعة الحال ، وإذا كان الطريق إلى هؤلاء وعر المسالك مسدود المنافذ فلا بد من واسطة للوصول إليهم مدعياً أنه هو الواسطة وهو باب هذا الأمر ، وهذا هو بداية تسميته بابا وتسمية أتباعه بالبابية وأصل هذه التسمية(٢) .

وهكذا يقتنص الميرزا على محمد الفرصة الأولى بهذه الدعوى محدداً هذا الجانب من عقيدة الشيعة الإمامية بعد اختفائها باختفاء آخر أبواب الإمام

---

(١) سورة البقرة آية ١٨٩ .

(٢) انظر مفتاح باب الابواب ص ١١٤ ، ١١٥ .

الغائب عام ٣٢٩ هـ وبعد إسدال الستار على آخر فصول مسرحية الغيبة الصغرى .

والظاهر أن قصة الأبواب الأربعة الذين جعلوا منهم الشيعة الإمامية جسوراً توصل إلى عالم الغيبة لإمامهم الثانى عشر ، قد كانت حيلة لجأ إليها العقل الباطن أو الوعى الظاهر على حد سواء تغطية لقصة الإمام محمد بن الحسن العسكرى . فهى قصة مختلقة فى الواقع إذ لم يشاهدوه مرة واحدة مع اعتقادهم بولادته عام ٢٥٦ هـ واختفائه بعدها مباشرة . فقد ألحت رغبتهم فى أن يصدقوا هذه الفرية ويسموا بها إلى مستوى العقائد الدينية .

وقد تلاءم مع منطقهم هذا ومع شتى الظروف والملابسات الدينية والسياسية التى مرت بمجتمعهم ومذهبهم مما أسلفنا توضيحه فى التمهيد أن يظهر رجل مثل الشيرازى بدعوته هذه ، ويعلن فى بدايتها أنه هو الباب والواسطة بين المسلمين وبين المهدى .

وقد واجه الباب حركة استنكار لدعوته هذه لدى كثير من الشيعة الإمامية ، ولكنه لم يعدم من آمن به وبخاصة من أتباع الشيخية . وكان فى مقدمة المؤمنين به الرجل الذى دفعه إلى ذلك بنبوءته التى سبق أن أشرنا إليها وهو الملا حسين البشروئى . وكانت مكافأته لدى الباب أن خلع عليه لقب باب الباب ووكيله فى الدعوة إليه .

ادعاؤه المهدية :

ويبدو أن درجة القبول والإستجابة لدعوة الباب لدى الشيخية وبعض الشيعة الامامية قد أطمعته فى مرتبة من الدعوة فوق المرتبة السابقة .

ولا ريب أن الباب كان يبيت النية منذ الوهلة الأولى فى كل ما اجترأ عليه من المقامات التى ادعاها لنفسه وهذه المرتبة التى انتقل إليها هى دعوة المهدية حيث انبرى يدعو من حوله ممن يحظرون بثقته للإيمان بأنه هو المهدى الذى طالما انتظروه منذ أمد طويل .

والشيخية تتلقف هذه الدعوة وتلتف من حوله لأنها توافق نبوءة زعيمهم ومؤسسهم الشيخ أحمد الأحسائى ولا تتنافى مع نظريته فى غيبة الإمام ورجعته فالغيبة روحانية يعيش فيها الإمام بروحه لا بجسده فى عالم روحانى سكانه أجسام نورانية شبيهة بأجسام الملائكة ورجعته ليست بجسده كما تعتقد الإمامية بل بشخصه أى بصفاته وأخلاقه وروحه النورانية تحل كلها فى جسم شخص معد لذلك من قبل العناية الإلهية وإذا حظى هذا الشخص بصفات القائم وأخلاقه وأحواله وحلت فيه روحه النورانية كان هو شخص المهدى الذى تترقب الناس ظهوره ليهديهم ويكشف عنهم المظالم ويصلح لهم أمر دينهم ودنياهم .

فظهور الباب بدعوى المهدية إذن لا تتصادم مع نظرية الأحسائى والرشتى فيما يرى الشيخية ولذلك تلقفوا دعوة الباب بالقبول وصدقوا مهدويته .

والبشروئى له الدور الأول فى دعوة الباب الجديدة تصديقا وترويجا لها ، والشيعة الإمامية يرون فى دعوة الباب الجديدة خروج على عقيدتهم الثابتة فى شريعتهم والموروثة عن شيوخهم والمستقرة فى أعرافهم . فالمهدى الغائب هو محمد بن الحسن العسكرى وهو محجوب بجسده وإن مر على غيبته ألف سنة أو أكثر ولا يضر هذا مخالفته للسنن الطبيعية فإن الخضر والياس عليهما السلام فيما احتجوا به يعيشان فى الدنيا منذ آلاف السنين دون أن يحتاجا

إلى طعام وشراب ودون أن يتعارض هذا مع النواميس الكونية[١] .

ولهذا واجهوا المهدى الجديد بالسخط والاستنكار ورموه بالكفر والكذب كما اتهموه أحياناً بالجنون .

فالباب طبقاً لنظرية الشيعة الإثناعشرية في الإمامة لا تنطبق عليه علامات المهدى التى توارثها عن أئمتهم وعرفوها من الأحاديث الصريحة ، فهو لم يظهر من جابلقا أو جابلصا ولم يظهر معه الدجال ولا السفيانى ولا اسمه محمد ولا اسم أبيه الحسن العسكرى إلى غير ذلك من علامات المهدى فى رجعته عند الشيعة الإمامية .

ولهذا كان من المنطقى أن يحكموا عليه بالكفر وأن يرموه بالجهل والسفاهة وأن يقضوا بإهدار دمه[٢] .

أما أولئك الذين تابعوا الباب فى مهدويته فقد كانوا سبعة عشر رجلا وامرأة هم أول الدعاة إلى تلك المهدوية دفعهم الباب لهذا الغرض فى شتى المدن والقرى وكانت وصيته لهم أن يلتزموا السرية فى دعوتهم بخاصة فيما يتعلق بذكر اسم المهدى أو ذكر شىء من أوصافه لعل ذلك كان من باب التقية تجاه الحكام أو من باب التمويه على العامة خشية الإعراض عن صاحب الدعوة فيكون رد الفعل المضاد مصدراً لموت المهدوية فى مهدها .

كما أوصاهم بأن يبدأوا بدعوة البسطاء من العامة وتجنب العلماء لأنهم هم الذين يملكون القدرة على تفنيد دعوته ولأن منهم من كان يعرفه أيام تتلمذه

(١) انظر الملل والنحل للشهرستانى ص ١٧٢ .

(٢) انظر مقالات سائح لعباس أفندى ص ١٨ ومفتاح باب الأبواب للمهدى خان ص ٥٢ .

على الرشتى ويعرف فساد عقيدته وخطر مذهبه ، ولكن أمره قد ذاع وتبعه كثير من العوام وتصدى له ولدعوته كبار علماء الشيعة الإمامية وتطبيقاً للأحاديث التى وردت فى ظهور المهدى على شخصه من كون المهدى سيخرج من الكوفة أو من بين الركن والمقام بمكة سافر الباب بأصحابه الثمانية عشر إلى الكوفة ثم إلى مكة فيما تذكر الروايات البهائية ولكن المؤرخين من غير البهائيين ينكرون وصوله إليهما فضلا عن جهره بدعوته بين الحجيج عند الكعبة ولو تم ذلك لاشتهر وتناقلته الأمصار .

وكان الباب قد حاول أن يمتص هذه المواجهة العنيفة التى لقيها دعاته وصادفتها دعوته ترقباً لفرصة أفضل فكتب إلى بعض دعاته يقول لهم : (اعلموا الطلاب أن الأمر لم يصل إلى حد التبليغ بعد ، ولم يأت زمانه فلذلك أكون أنا وأجدادى الطاهرين غير راضين فى الدنيا والآخرة عمن ينسب إلى غير ما أنا عليه من اتباع الفروع والمعتقدات الإسلامية) .

وعلى الرغم من تبرئة الباب نفسه من التهم الموجهة إليه وإلى دعوته على هذا النحو فإنه يشير فى كلامه هذا إلى أن ثمة مرحلة قادمة لامحالة هى مرحلة التبليغ – ولعلها إشارة إلى مرحلة الرسالة – ولأن الاستنكار والطعن هو رد فعل هذه المرحلة التى يدعو فيها إلى نفسه مهدياً .

ابطال عقيدة البابية فى المهدى المنتظر :

والشيعة الإمامية لا سيما الإثناعشرية منهم يستندون فى إثبات عقيدتهم فى المهدى المنتظر على نحو ما عرضنا سابقاً ، إلى أحاديث تبلغ عندهم درجة الصحة . والبابية بالطبع يوافقونهم فى أصل هذه العقيدة ، وليس لهم أن يخالفوهم لما يجنونه وراءها من مصلحة وما يحققون فيها من منفعة .

وهذه الأحاديث تتضمن أن المهدى هو محمد بن الحسن العسكرى وهو الإمام الثانى عشر فى سلسلة أئمتهم التى تبـدأ بعلى وهو إذاً من ذرية النبى صلى الله عليه وسلم . ونحن نسوق من هـذه الأحاديث ما رفعوه إلى النبى صلى الله عليه وسلم من قوله : « الأئمة بعدى اثنا عشر ، أولهم على وآخرهم القائم خلفائى وأوصيائى وأوليائى وحجج الله على أمتى بعدى ، المقر بهم مؤمن ، والمنكر لهم كافر » .

وذكروا رواية عن ابن عباس قول رسول الله ﷺ : « إن الله تبارك وتعالى اطلع على أهل الأرض اطلاعة فاختارنى منها لجعلنى نبياً ، ثم اطلع ثانية فاختار علياً وجعله إماماً ، ثم أمرنى أن أتخذه أخاً ووليـاً ووصياً وخليفة ووزيراً ، فعلى منى وأنا من على وهو زوج ابنتى وأبو سبطى الحسن والحسين ، ألا وإن الله تبارك وتعالى جعلنى وإياهم حججاً على عباده ، وجعل من صلب الحسين أئمة يقومون بأمره ويحفظون وصيتى ، التاسع منهم قائم أهل بيتى ، ومهدى أمتى ، وأشبه الناس بى فى شمائله وأقواله وأفعاله ، ويظهر بعد غيبة طويلة وحيرة متصلة يعلن أمر الله ويظهر دين الله ويؤيد بنصر الله ، وينصر بملائكة الله فيملأ الأرض قسطاً وعدلا كما ملئت جوراً وظلماً » .

وكذلك يروون من هذه الأحاديث قول النبى ﷺ للحسين : « هـذا إمام ابن إمام أخو إمام أبو أئمة تسعة تاسعهم اسمه كاسمى وكنيته كنيتى يملأ الأرض عدلا كما ملئت جوراً وظلماً » .

هذا بعض ما استند إليه الشيعة الإثناعشرية فيما ذهبوا إليه من تعيين إمامهم بالنص ، وقد تحـدثنا سابقاً عن عقيدتهم فى غيبته ورجعته ، وهم يتفقون مع سائر فرق الشيعة الإمامية ، على أن الإمامة مهمة دينية فى الدرجة

الأول وأنها لا تفوض إلى الإمام من قبل الأمة وإنما تفوض إليه من قبل الله الذى يختاره ليكون حارساً على الوحى والنبوة بعد محمد ﷺ ، فهى إذن حق إلهى وقد أسلفنا تعميقهم لهـــذا الحق الإلهى وبلوغهم به درجة النبوة وإن كانوا لا يقولون : إن الإمام يوحى إليه بل هو حارس على الشريعة مقيم لأحكامها وليس لغيره شرف هذه المهمة ، ومن هنا أثبتوا له العصمة كما أجمعوا على أنها فى أولاد على مع تشعبهم بعد الحسين فى أمر تعيين شخص الإمام كما لا يختلفون فى عقيدتى غيبة الإمام ورجعته من حيث المبدأ ويستدلون من القرآن على كون الإمام مختاراً من قبل الله بقوله تعالى :

(وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة)[1] .

ويتطرقون فى الاستدلال على تعيين على إماماً بالنص بقوله تعالى : (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته)[2] .

إذ المقصود بما أنزل على النبى من ربه فى الآية هو التبليغ بإمامة على من بعده[3] .

وعلى كل فإن المهدى عند الإثنا عشرية هو إمامهم الغائب حتى الآن ، فالله لم يأذن بعد بظهوره ، وهو كما عرفنا عبد الله محمد بن الحسن العسكرى المولود فى سر من رأى عام ٢٥٦م والغائب عام ٢٦٠م ، وهذا هو ما أسخطهم

---

(١) سورة القصص آية ٦٨ .

(٢) سورة المائدة آية ٦٧ .

(٣) انظر أهم الفرق الاسلامية السياسية والكلامية لألبير نصرى نادر ص ١٨ : ٢٣ .

على الميرزا على محمد الشيرازى عند ما دعا إلى نفسه باباً ثم مهدياً - كما سبق لنا توضيحه .

والذى حدى بنا إلى عرض مجمل عقائد الشيعة الإمامية حول الإمامة والمهدوية هو بيان مخالفتهم فى هذه العقيدة لمذهب أهل السنة والجماعة وهذا الحكم منسحب على البابية بالضرورة فالشيعة الإثنا عشرية يخالفون أهل السنة بالنسبة لعقيدتهم فى المهدى وظهوره طبقاً لأحاديثهم التى رووها فى ذلك من حيث الاختلاف فى اسم المهدى الذى ورد فيما صح وتواتر من الأحاديث الكثيرة التى خرجها أئمة المسلمين - مما سنذكره قريباً - فإن اسمه فيها يوافق اسم النبى ﷺ ، كما يوافق اسم أبيه اسم أبى النبى ﷺ ، أى أن اسمه محمد واسم أبيه عبد الله بينما كان اسم مهدى الشيعة الإثنا عشرية محمد واسم أبيه الحسن العسكرى واسم مهدى البابية على محمد واسم أبيه رضا البزاز ، وكذلك وقع الاختلاف بين البابية وأهل السنة فى عدم تحقق علامات ظهور المهدى التى وردت فى الأحاديث المتواترة الآتى ذكرها ، كخروج الدجال وسائر علامات الساعة فى إمره ونزول عيسى بن مريم وقتله للدجال مشاركاً للمهدى فى قتله أو منفرداً وائتمامه فى صـــلاته بالمهدى - وغير ذلك من العلامات التى دلت عليها الأحاديث الصحيحة .

عقيدة المهدى عند أهل السنة :

الإمامة عند أهل السنة سلطة سياسية تفوض إلى الإمام من قبل الأمة الإسلامية التى كفل الله لها هذا الحق .

أما المهدى عند أهل السنة : فالمهدى شخص من آل بيت النبوة يظهر عند فساد الأحوال وضياع معالم الحق قد بشر بظهوره الرسول ﷺ يؤيد

الدين ، ويظهر العدل ، ويتبعه المسلمون ، ويستولى على الممالك الإسلامية ويسمى بالمهدى ، ويكون خروج الدجال وما بعده من أشراط الساعة الثابتة فى الصحيح على أثره ، وأن عيسى ينزل من بعده فيقتل الدجال ، أو ينزل فيساعده على قتله ويأتم بالمهدى فى صلاته[1] .

وقد خرج جماعة من الأئمة روايات فى ذكر المهدى ، منهم : الترمذى ، وأبو داود ، وابن ماجه ، والبزار ، والحاكم ، والطبرانى ، وأبو يعلى الموصلى ، وأسندوها إلى جماعة من الصحابة مثل : على ، وابن عباس ، وابن عمر ، وطلحة ، وابن مسعود ، وأبى هريرة ، وأنس ، وأبى السعيد الخدرى ، وأم حبيبة ، وأم سلمة ، وثوبان ، وقرة بن إياس ، وعلى الهلالى ، وعبد الله ابن الحرث .

وقد رأى ابن خلدون أن أسانيد هذه الروايات قد يعرض لها المنكرون ، ويتعقبونها بالجرح والتعليل ، ويرى ابن خلدون كذلك أن المعروف عند العلماء تقديم الجرح على التعديل ، فإذا وجدنا طعناً فى بعض الأسانيد بغفلة ، أو بسوء حفظ ، أو ضعف ، أو سوء رأى تطرق ذلك إلى صحة المتن والحديث وأوهن منها .

ثم ذكر ابن خلدون هذه الروايات على النحو الآتى :

١ — خرج الترمذى وأبو داود بسنديهما إلى ابن مسعود عن طريق عاصم بن أبى النجود أحد القراء السبعة إلى زر بن حبيش عن عبد الله

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٢٤٦ .

ابن مسعود عن النبي ﷺ : (لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث الله فيه رجلا منى أو من أهل بيتى يواطىء اسمه اسمى واسم أبيه اسم أبى) هذا لفظ أبى داود وسكت عليه ، وقال فى رسالته المشهورة : إن ما سكت عليه فى كتابه فهو صالح . ولفظ الترمذى : (لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتى يواطىء اسمه اسمى ، وفى لفظ آخر : حتى يلى رجل من أهل بيتى ، وكلاهما حديث حسن صحيح ، ورواه أيضاً من طريق موقوفا على أبى هريرة ، وقال الحاكم : رواه الثورى وشعبة وزائدة وغيرهم من أئمة المسلمين عن عاصم .

قال : وطرق عاصم عن زر عن عبد الله كلها صحيحة على ما أصلته من الاحتجاج بإخبار عاصم ، إذ هو إمام من أئمة المسلمين .

وقد أورد ابن خلدون ما تكلم به الأئمة فى عاصم هذا فذكر أن الإمام أحمد قال فيه : كان رجلا صالحاً قارئاً للقرآن خيراً ثقة ، والأعمش أحفظ منه . وكان شعبة يختار الأعمش عليه فى تثبيت الحديث .

وقال العجلى : كان يختلف عليه فى زر وأبى وائل ، يشير بذلك إلى ضعف روايته عنهما .

وقال محمد بن سعد : كان ثقة إلا أنه كثير الخطأ فى حديثه .

وقال يعقوب بن سفيان : فى حديثه اضطراب .

وقال عبد الرحمن بن أبى حاتم : قلت لأبى : إن أبا زرعة يقول : عاصم ثقة . فقال : ليس محله هذا .

وقد تكلم فيه ابن علية فقال : كل من اسمه عاصم سيء الحفظ .

وقال أبو حاتم : محله عندى محل الصدق صالح الحديث ، ولم يكن بذلك الحافظ . واختلف فيه قول النسائى . وقال ابن خراش : فى حديثه نكرة .

وقال أبو جعفر العقيلى : لم يكن فيه إلا سوء الحفظ .

وقال الدارقطنى : فى حفظه شيء ، وقال يحيى القطان : ما وجدت رجلا اسمه عاصم إلا وجدته ردىء الحفظ .

وقال الذهبى : ثبت فى القراءة ، وهو فى الحديث دون الثبت صدوق فهم ، وهو حسن الحديث . وإن احتج أحد بأن الشيخين أخرجا له فنقول : أخرجا له مقروناً بغيره لا أصلا ، والله أعلم .

٢ — وخرج أبو داود فى الباب بسنده عن على رضى الله عنه عن رواية فطر بن خليفة عن النبى ﷺ قال : (لو لم يبق من الدهر إلا يوماً لبعث الله رجلا من أهل بيتى يملؤها عدلا كما ملئت جوراً) .

ومع أن أحمد ويحيى بن القطان وابن معين ، والنسائى وغيرهم قد وثقوا فطر بن خليفة ، فقد تكلم فيه العجلى وقال : حسن الحديث وفيه تشيع قليل .

وقال ابن معين : مرة ثقة شيعى .

وقال أحمد بن يونس : كنا نمر على فطر وهو مطروح لا نكتب عنه ، وقال مرة : كنت أمر به وأدعه مثل الكلب .

وقال الدارقطنى : لا يحتج به .

وقال أبو بكر بن عياش : ما تركت الرواية عنه إلا لسوء مذهبه .

وقال الجرجانى : زائغ غير ثقة .

٣ — وخرج ابن ماجه عن علي رضي الله عنه من رواية ياسين العجلي عن إبراهيم بن محمد بن الحنفية، عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: المهدي منا أهل البيت يصلح الله به في ليلة، وياسين العجلي وإن قال فيه ابن معين ليس به بأس، فقد قال البخاري فيه نظر، وهذه اللفظة من إصلاحه قوية في التضعيف جداً، وورد له ابن عدي في الكامل والذهبي في الميزان هذا الحديث على وجه الاستنكار، وقال هو معروف به.

٤ — وخرج الطبراني في معجمه الأوسط عن علي رضي الله عنه أنه قال للنبي ﷺ: أمنا المهدي أم من غيرنا يارسول الله؟ فقال: «بل منا بنا يختم الله كما فتح، وبنا يستنقذون من الشرك، وبنا يؤلف الله بين قلوبهم بعد عداوة بينه، كما بنا ألف بين قلوبهم بعد عداوة الشرك. قال علي: أمؤمنون أم كافرون؟ قال: مفتون وكافر».

وفيه عبد الله بن لهيعة وهو ضعيف معروف الحال، وفيه عمر بن جابر الحضرمي وهو أضعف منه.

قال أحمد بن حنبل: روى عن جابر مناكير وبلغني أنه كان يكذب.

وقال النسائي: ليس بثقة، وقال: كان ابن لهيعة شيخاً أحمق، وكان ضعيف العقل، وكان يقول في السحاب، وكان يجلس معنا فيبصر سحابة فيقول: هذا علي قد مر في السحاب.

٥ — وخرج الطبراني في معجمه الأوسط عن ابن عمر قال: كان رسول الله ﷺ في نفر من المهاجرين والأنصار، وعلي بن أبي طالب عن يساره، والعباس عن يمينه، إذ تلاحى العباس ورجل من الأنصار، فأغلظ

الأنصارى للعباس . فأخذ النبي ﷺ بيد العباس و بيد على ، وقال :

« سيخرج من صلب هذا فتى يملأ الأرض جوراً وظلماً ، وسيخرج من صلب هذا فتى يملأ الأرض قسطاً وعدلا . فإذا رأيتم ذلك فعليكم بالفتى التميمى فإنه يقبل من قبل المشرق ، وهو صاحب راية المهدى » .

وفيه عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن لهيعة وهما ضعيفان(١) .

وحسبنا ذكر هذه الطائفة من الأحاديث التى خرجها الأئمة مما أوردها ابن خلدون فى مقدمته ، وهو ضعف ما ذكرته منها هنا ، وهى جميعها لم تسلم أسانيدها من الطعن على نحو ما ظهر فى أمثلتنا نقلا عن ابن خلدون ، ولكن ما أخرجه الإمام أحمد فى مسنده من أحاديث المهدى نقلا صححه المحقق الشيخ أحمد شاكر(٢) .

نذكر من هذه الأحاديث ما أخرجه الإمام أحمد من طريق عاصم عن زر عن عبد الله عن النبي ﷺ قال : « لا تقوم الأمة حتى يلى رجل من أهل بيتى يواطئ اسمه اسمى » . قال الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح .

وفى تعليقه عليه ، قال عاصم : هو ابن بهدلة . وهو عاصم بن أبى النجود سبق توثيقه ١٤٥٨ من المسند (زر) - هو - ابن حبيش وهو بكسر الزاى وفى ج (ذر) بالذال ، وهو تصحيف ، والحديث رواه ابن

---

(١) انظر مقدمة ابن خلدون من ص ٢٧٤ : ٢٨٤ .

(٢) انظر المسند بتحقيق الشيخ أحمد شاكر (حديث رقم ٣٥٧١ ج ٥ حديث رقم ٣٥٧٣ ج ٥ ، ورقم ٤٠٩٨ ج ٦ ، حديث رقم ٧٧٣ ج ٢) .

أبو داود ٤ — ١٧٣ ، والترمذى ٣ - ٢٣١ - ٢٣٢ بمعناه نحوه من طرق عن عاصم عن زر قال الترمذى : (حديث حسن صحيح) ، وقال فى عون المعبود :

(وسكت عنه أبو داود ، والمنذرى ، وابن القيم ، وقال الحاكم - رواه الثورى ، وشعبة ، وزائدة وغيرهم من أئمة المسلمين عن عاصم قال - وطرق عاصم عن زر عن عبد الله كلها صحيحة إذ عاصم إمام من أئمة المسلمين) ، ولم أجد الحديث فى المستدرك من حديث ابن مسعود — ولكنه روى حديث أبى سعيد فى معنى هذا الحديث ٤ — ٥٥٧ عن طريق أبى الصديق الناجى عن أبى سعيد ، وصححه على شرط الشيخين ثم قال :

وطرق حديث عاصم عن زر عن عبد الله كلها صحيحة على ما أصلته فى هذا الكتاب بالاحتجاج بإخبار عاصم بن أبى النجود ، إذ هو إمام من أئمة المسلمين ، ورواه الخطيب ١ — ٢٧٠ بإسناده من طرق عن عاصم عن زر ، وذكر أرقام الأحاديث المذكورة آنفاً .

ثم يرد الشيخ أحمد شاكر على ابن خلدون فيما ذهب إليه من تضعيف أحاديث المهدى - التى ذكرنا فيما سبق طرفاً منها - فيقول فى الجزء الخامس من مسند الإمام ابن حنبل حاشية الحديث رقم ٣٥٧١ - طبع دار المعارف بمصر :

أما ابن خلدون فقد قفا ما ليس له به علم — واقتحم قحماً لم يكن من رجالها ، وغلبه ما شغله من السياسة ، وأمور الدولة ، وخدمته لمن كان يخدم من الملوك والأمراء . فأوهم أن شأن (المهدى) عقيدة شيعية ، أو أوهمته نفسه فعقد فى مقدمته المشهورة فصلا طويلا جعل عنوانه :

(فصل فى أمر الفاطمى ، وما يذهب إليه الناس فى شأنه ، وكشف الغطاء عن ذلك)(١) ، وتهافت فى هذا الفصل تهافتاً عجيباً ، وغلط فيه أغلاطاً واضحة ... الخ .

ثم قال : ويحتجون فى الباب بأحاديث خرجها الأئمة ، وتكلم فيها المنكرون لذلك .

ثم أشار إلى بعض الأحاديث الواردة فى (المهدى) وقال : ربما تعرض لها المنكرون كما نذكره إلا أن المعروف عند أهل الحديث أن الجرح مقدم على التعديل .... الخ .

إلى أن شرع يورد بعض الأحاديث ويتكلم فى تعليلها ، ومنها حديث ابن مسعود هذا جعل مطعنه فيه على عاصم بما تكلم فيه بعضهم فى حفظه ، ثم قال : (وإن احتج أحد بأن الشيخين أخرجا له فنقول أخرجا له مقروناً بغيره لا أصلا) .

وأولا : إن ابن خلدون لم يحسن قول المحدثين : (الجرح مقدم على التعديل) ، ولو اطلع على أقوالهم ما قال شيئاً مما قال ، وقد يكون قرأ وعرف ، ولكنه أراد تضعيف أحاديث (المهدى) بما غلبت عليه من الرأى السياسى فى عصره .

وانظر تحقيق هذه القاعدة فى كتب المصطلح خصوصاً كتاب قواعد التحديث لشيخنا العلامة جمال الدين القاسمى — رحمه الله — (ص ١٧٠ - ١٧٢) .

---

(١) ص ٢٧٩ - ٢٩٦ طبع كتاب الشعب .

وثانياً : إن عاصم بن أبى النجود من أئمة القراءة المعروفين ثقة فى الحديث أخطأ فى بعض حديثه ولم يغلب خطؤه على روايته حتى ترد . قال ابن أبى حاتم فى الجرح والتعديل ٣٤١/١/٣ :

(أخبرنا عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل فيما كتب إلى قال : سألت أبى عن عاصم بن بهدلة ؟ فقال ثقة رجل صالح هو أكثر حديثاً من أبى قيس الأودى وأحب إلى من أبى قيس) .

وقال : (سئل أبى عن عاصم ابن أبى النجود وعبد الملك بن عمير ؟ فقال قدم عاصماً على عبد الملك عاصم أقل اختلافاً عندى من عبد الملك ؟ وقال : (سألت أبا زرعة عن عاصم بن بهدلة ؟ فقال : ثقة . فذكرته لأبى فقال : ليس محله هذا أن يقال هو ثقة وقد تكلم فيه ابن علية فقال : كأن كل من كان اسمه عاصماً سىء الحفظ) .

وهذا أكثر ما قيل من الجرح . أفمثل هذا يطرح حديثه ويجعل سبيلا لإنكار شىء ثبت بالسنة الصحيحة من طرق متعددة من حديث كثير من الصحابة حتى لا يكاد يشك فى صحته أحد لما فى رواته من عدل وصدق لهجة ، ولارتفاع احتمال الخطأ ممن كان فى حفظه شىء بما ثبت عن غيره ممن هو مثله فى العدل والصدق ، وقد يكون أحفظ منه ؟ ما هكذا تعلل الأحاديث .

بقى فى المسألة أن نذكر ما قرره الحافظ بن حجر فى الفتح من أن أحاديث المهدى متواترة كما نقل ذلك أيضاً عن الشوكانى ، وهذا ما قاله الحافظ : تواترت الأخبار بأن المهدى من هذه الأمة ، وأن عيسى عليه السلام سينزل ويصلى خلفه .

وقال الحافظ أيضاً : الصحيح أن عيسى رفع إلى السماء وهو حى .
وقال الشوكانى فى رسالته المسماة بالتوضيح فى تواتر ما جاء فى الأحاديث فى المهدى والدجال والمسيح :

وقد ورد فى نزول عيسى عليه السلام تسعة وعشرون حديثاً ثم سردها وقال بعد ذلك : وجميع ما سقناه بالغ حد التواتر كما لا يخفى على من له فضل اطلاع فتقرر بجميع ما سقناه أن الأحاديث الواردة (فى المهدى المنتظر) متواترة والأحاديث الواردة فى نزول عيسى عليه السلام متواترة ، وهذا يكفى لمن كان عنده ذرة من إيمان ، وقليل من إنصاف — والعجيب فى هذا الأمر أن الجهلة ممن يدعون العلم ينكرون أحاديث المهدى المنتظر ، ولا ينكرون الدجال الذى سيقوم بأعمال الكفرة ليضلل العباد ولا ينكرون نزول عيسى ابن مريم فى حين أن جميع الأحاديث النبوية تكاد تكون مكملة بعضها البعض فالواجب علينا أن نؤمن بالمهدى والدجال وعيسى بن مريم كعلامة من علامات الساعة الكبرى[1] .

ادعاؤه النبوة والرسالة :

وكان الخط البيانى لدعوة الباب فى صعود إذ واجه المسلمين بصدمة أخرى على الرغم من كل التحديات والملاحقات له ولأتباعه من قبل علماء الشيعة وغيرهم . فقام يدعو إلى نفسه أنه نبي مرسل من الله بشريعة جديدة ناسخة للشريعة الإسلامية وكتاب جديد ناسخ للقرآن سماه البيان .

ومما جاء عن الباب فى هذا ما قاله الشيخ الألوسى صاحب التفسير

(١) فتح البارى ص ١٣ فى الفتن .

المعروف روح المعانى فى كتابه إليه يدعوه فيه إلى الإيمان بنبوته : (وإنى أنا عبد قد بعثنى الله من عنده أفلا تحبون أن تكونن من المتقين . . . . فإن يومئذ لا ينفعكم دينكم ولا أعمالكم بمثل لا ينفع الذين أوتوا الكتاب دينهم بعد محمد رسول الله . فلتكفرن قليلا ما أنتم على جنة لا تدخلون) .

وفى تفضيل كتاب البيان الذى ادعى أنه أنزل عليه قال : (إن نبيكم لم يخلف لكم بعده غير القرآن . فها كم كتابى البيان فاتلوه واقرأوه تجدوه أفصح عبارة من القرآن)[١] .

وقال فى تفضيل بيانه على القرآن أيضاً وتفضيل نفسه على محمد ﷺ :

(إنى أفضل من محمد كما أن قرآنى أفضل من قرآن محمد ، وإذا قال محمد بعجز البشر عن الإتيان بسورة من سور القرآن ، فأنا أقول : يعجز البشر عن الإتيان بحرف من حروف قرآنى ، إن محمداً كان بمقام الألف وأنا بمقام النقطة)[٢] .

ولا غرابة بعد هذا التطاول والكذب على الله أن يدعى أن كتاب البيان هذا هو المقصود باسم البيان فى قوله تعالى : (الرحمن ◦ علم القرآن ◦ خلق الإنسان ◦ علمه البيان)[٣] .

ولما سئل عن كثرة اللحن فيه أجاب : بأن الحروف والكلمات لما علما

---

(١) تاريخ البابية ص ٣٨ ، وراجع البهائية تاريخها وعقيدتها لعبد الرحمن الوكيل ، وانظر المذاهب المعاصرة للدكتور عبد الرحمن عميرة ص ٢٢٧ .

(٢) مفتاح باب الأبواب ص ٣٠ ، وانظر تهافت البهائية للدكتور مصطفى حمران ص ٦٣ ، ٦٤ .

(٣) سورة الرحمن من الآية ١ إلى ٤ .

الله لآدم عصت هى الأخرى مع عصيانه ، فعوقبت وقيدت بسلاسل الإعراب ، ثم أطلقت بهـــذه البعثة التى هى رحمة لكل شىء ومنها الكلمات .

وقد نهج الباب نهج الاستدلال بالقرآن والحديث على دعواه بتأويل معانيهما تأويلا يخرج هذه المعانى عما فهمه المسلمون من ألفاظهما عما أراده الله وبينه رسوله مدعياً أن المعانى الظاهرة لنصوص القرآن والسنة ليست مراده على الحقيقة ، وإنما هى رموز وإشارات لمعانيها الحقيقية وأسرارها الخفية ومقاصدها المستترة يبتغى من وراء ذلك بطبيعة الحال تأويل القرآن والسنة بحمل معانيهما على ما يوافق مقاصده هو وأغراضه التى لاتلتقى أبداً مع مقاصد وأغراض الإسلام .

ولا يستبعد ذلك من رجل مثل الباب يجاهر فى غير تورع ولا حياء بأنه صاحب شريعة ناسخة لشريعة الإسلام ، وكتاب ناسخ لكتاب محمد عليه الصلاة والسلام الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

والأمثلة على ذلك التأويل كثيرة نسوق منها مثالا مما جاء فى تفسير الباب لسورة يوسف عند قوله تعالى : (إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إنى رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين)[1] حيث ذكر أن المراد من يوسف الحسين بن على وبالشمس والقمر فاطمة ومحمد وبالكواكب أئمة الحق ، وهم الذين يبكون على يوسف سجداً ، وهو تحريف واضح للمعانى القرآنية ، وكأن القرآن ما نزل إلا للشيعة وأئمتها .

---

(١) سورة يوسف آية : ٤

الكشف عن غرض البابية من هذا التأويل :

والواقع أن منهج الباب هذا فى الاستدلال بنصوص القرآن والسنة ، وتأويلهما بتحريف الكلم عن مواضعه ما هو إلا امتداد للمؤامرة المجوسية على محو الإسلام وتشويه أحكامه وعقائده ، تلك المؤامرة التى حمل لواءها الباطنة من المتشيعين لآل البيت عندما عجزوا عن مواجهة الإسلام والمسلمين ، وهذا ما ذكره علماء الإسلام من أمثال العلامة السيد الشريف الجرجانى فى شرحه على المواقف حيث قال عن الباطنية كاشفاً لمخططهم ضد الإســـلام : إنهم طائفة من المجوس راموا عند شوكة الإسلام تأويل الشرائع على وجوه تعود إلى قواعد أسلافهم ، وذلك أنهم اجتمعوا فتذاكروا ما كان عليه أسلافهم من الملك ، وقالوا : لا سبيل لنا إلى دفع المسلمين بالسيف لغلبتهم واستيلائهم على الممالك لعلنا نحتال بتأويل شرائعهم إلى ما يعود إلى قواعدنا ونستدرج به الضعفاء منهم فإن ذلك يوجب اختلافهم واضطراب كلمتهم » .

ولا يخفى بعد تصور المرتبة الثامنة[1] من مراتب الدعوة الباطنية المعدة لفصل المسلمين عن دينهم بتشويه حقائقه وتحريف أحكامه يجد الباب أميناً على التعبير عن مذهب الباطنية فى تأويل القرآن إلى ما يؤيد مبادئه بقدر أمانته على تنفيذ تعاليم شيخيه الإحسائى والرشتى .

ونحن مع الشيخ الخضر حسين فى تأصيله لنزعة التأويل لنصوص الشريعة على معانى تخالف مقاصدها ومراد الله ورسوله منها بأن جذور هذه النزعة ضاربة فى أعماق الفكر اليهودى حيث ذكر أن تأويلهم هذا هو وأسلافهم الباطنية لنصوص الشريعة على هذا الوجه الناقض لأصولها ليس بشىء ابتدعوه من أنفسهم ابتداعاً ، وإنما هو صنع عملوا فيه على شاكلة طائفة

(١) انظر القاديانية والبهائية ـ الشيخ محمد الخضر حسين ص ٨ .

من فلاسفة اليهود من قبل . فإنا نقرأ فى ترجمة « فيلون » الفيلسوف اليهودى المولود ما بين عشرين وثلاثين قبل ميلاد المسيح أنه ألف كتاباً فى تأويل التوراة ذاهباً إلى أن كثيراً مما فيها رموز إلى أشياء غير ظاهرة ، ويقول الكاتبون فى تاريخ الفلسفة : إن هذا التأويل الرمزى كان موجوداً معروفاً عند أدباء اليهود بالإسكندرية قبل زمن « فيلون » ويذكرون أمثلة تأويلهم أنهم فسروا آدم بالعقل ، والجنة برياسة النفس ، وإبراهيم بالفضيلة الناتجة من العلم ، وإسحق عندهم هو الفضيلة الغريزية ، ويعقوب الفضيلة الحاصلة من التمرين[1] .

ويعبر أحد دعاتهم عن المذهب البابى فى تأويل نصوص الشرع وتحريفها وصرفها عن معانيها الظاهرة التى هى بمثابة الرموز والإشارات إلى الحقائق الخفية والمقاصد الكامنة التى ليس لغير أئمة الشيعة أمر إظهارها وبيانها للناس . وهو الأمر الذى تحمل البابيون عبئه وباءوا بوزره فى سبيل تنفيذ المخطط الباطنى المجوسى الذى أعد بأحكام لتقويض صرح الإسلام .

فيقول هـــذا الداعية فى كتابه المسمى : « الدرر البهية » فى قوله تعالى : (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولم يأتهم بتأويله)[2] . وقوله تعالى : (هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتى تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق)[3] .

وقال : « ليس المراد من تأويل آيات القرآن معانيها الظاهرية ، ومفاهيمها اللغوية ، بل المراد المعانى الخفية التى أطلق عليها الألفاظ على

---

(١) كتاب القاديانية والبهائية ص ١٢ ، ١٣ .
(٢) سورة يونس آية : ٣٩ .
(٣) سورة الأعراف آية : ٥٣ .

سبيل الاستعارة ، والتشبيه ، والكناية » ، ثم قال بعد هذا : « قرر الله تنزيل تلك الآيات على ألسنة الأنبياء ، وبيان معانيها ، وكشف الستر عن مقاصدها إلى روح الله حينما ينزل من السماء » . وقال : « إنما بعثوا عليهم السلام لسوق الخلق إلى النقطة المقصودة ، واكتفوا منهم بالإيمان الإجمالي حتى يبلغ الكتاب أجله وينتهي سير الأفئدة إلى رتبة البلوغ فيظهر روح الله الموعود ويكشف لهم الحقائق المكنونة في اليوم المشهود » ، وقال : « وفي نفس الكتب السماوية تصريحات بأن تأويل آياتها إلى معانيها الأصلية المقصودة لا تظهر إلا في اليوم الآخر ، يعني يوم القيامة ، ومجيء مظهر أمر الله » ، ثم قال : « ولذلك جاءت تفاسير العلماء من لدن نزول التوراة إلى نزول البيان تافهة باردة عقيمة جامدة ، بل مضلة مبعدة محرفة مفسدة[1] » .

والواقع أن هذه الطريقة في تأويل نصوص الشريعة التي التزمها البابية ما هي إلا وسيلة توســـلوا بها كأسلافهم الباطنية لمحو أحكام الشريعة الإسلامية ، ومسخ حقائقها ، والبعد عن مقاصدها الحكيمة تنفيذاً لمخطط الباطنية .

ذلك المخطط السري الذي رأوه أجدى في تحقيق أهدافهم في القضاء على الدين الإسلامي من مواجهته والمجاهرة بأحقادهم أمام قوة المسلمين وشوكتهم .

وقد برروا ذلك بدعوى أن لنصوص الشريعة الإسلامية ظاهراً غير مراد ولا مقصود في تقرير أحكامها ، وإصابة مقاصدها ، وأن لها باطناً

---

(١) المصدر السابق ص ١٠ .

لم يقف عليه أفاضل الصحابة ممن تابعوا الوحي ساعة بساعة ، وعايشوا مواقفه ، وشاهدوا وقائع التنزيل وأحداث التشريع .

ومع ذلك لم يدركوا حقائقه ، ولم يعرفوا مراميه ؛ لأنها سترت عنهم ؛ ولأن النبي ﷺ ما كلف ببيانها لهم ، ولم يكن ذلك مما أمره الله بالقيام به ، بل كل ما نزل عليه من قرآن ، وما صدر عنه من حديث ما هو إلا إشارات ورموز لما استتر فى بواطنها من أسرار وحكم وأحكام ، وأن مهمة كشف هذه الرموز وحل تلك الأسرار قد ادخرت لأئمتهم الذين وقدوهم إلى مقام النبوة - ومنهم الباب بطبيعة الحال - وكأن أمر بيان الشريعة الذى قصر مقام النبوة عنه لن يتم إلا على أيدى الباب وأسلافه من أولائك الأئمة . وكأن كمال الدين وتمام أحكامه قد سار وقفاً على ظهور الأئمة دون محمد صلى الله عليه وسلم الذى اصطفاه الله لها وأمره بتبليغها أمراً صريحاً لا لبس فيه ولا غموض بقوله تعالى : (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته) .. الآية[1] .

والمستقر عند أئمة الأمة الإسلامية وعلمائها ، والذى انعقد عليه إجماعها أن الصحابة — رضوان الله عليهم - لم يكونوا ليجهلوا شيئاً من أحكام التنزيل ، أو يغفلوا عن شىء مما نزل على النبى صلى الله عليه وسلم من القرآن ، أو مما علمهم إياه قولا ، أو عملا ، إلا ما نهاهم عن الخوض فيه من متشابه القرآن والسنة فوقفوا فيه عند ذلك النهى طاعة وإذعاناً لله ولرسوله .. وتأسى بهم خلفهم من التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين .

---

(١) سورة المائدة آية : ٦٧ .

والقرآن هو اللسان العربي المبين كما وصفه الله سبحانه فى خطابه لنبيه ﷺ حيث قال : « وإنه لتنزيل رب العالمين • نزل به الروح الأمين • على قلبك لتكون من المنذرين • بلسان عربى مبين»[١] ولم يكن لغير النبي ﷺ أن يقوم بمهمة البيان لما أبهم من معانى القرآن ، وتفصيل ما أجمل من أحكامه وتخصيص ما عمم منها ، وهو نبى هذا القرآن وصاحب هذه الرسالة الذى اصطفاه الله لتبليغها إلى كافة العالمين والذى ما ترك الدنيا دون أن يكمل الله على يديه الدين ، ويتم به نعمته على خلقه ، حيث ختم به سلسلة الأنبياء والمرسلين . وأظهر دينه على الدين كله ولو كره الكافرون . قال سبحانه : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً »[٢] .

فكيف يكل الله سبحانه أمر بيان وحيه إلى غير من خاطبه قائلا : « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم »[٣] ولم يتجاوز سلف الأمة من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين هذا الأصل فى فهمهم للقرآن والسنة المطهرة واستنباطاً لأحكام الشرع فى الأصول والفروع وما كان لهم أن يتجاوزوه . فمن تجاوزه يكون خارجاً على إجماع الأمة ومتبعاً غير سبيل المؤمنين «ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً »[٤] ولا شك أن البابية

---

(١) سورة الشعراء الآيات : ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ .
(٢) سورة المائدة : ٣ .
(٣) سورة النحل : ٤٤ .
(٤) سورة النساء : ١١٥ .

فى موقفهم الذى أوضحناه من القرآن وتأويله وتحريف معانيه إنما يسيرون على نهج أسلافهم من باطنية الشيعة . ولا شك أن هؤلاء جميعاً فى ذلك مخالفون لإجماع المسلمين متبعون لغير سبيل المؤمنين .

الرد على الباب فى دعواه النبوة والوحى :

عرفنا فيما سبق أن الباب قد انتهى به شططه فى دعوته إلى حد ادعاء النبوة ، فزعم أنه نبى يوحى إليه وأن كتابه (البيان) الذى ضمنه أحكام دينه قد نزل عليه من الله وأنه ناسخ للقرآن وأن شريعته ناسخة للإسلام ونبوته مستقلة بمقتضى هذا المنطق .

والواقع أن هذه الدعوة تعبير جديد للباب عن عقيدته السرية التى ورثها من أسلافه الباطنية كذلك ونمتها وأبرزتها فى رأسه ووجدانه طائفة الشيخية ومؤسسيها من أمثال الأحسائى والرشتى . فمن قبل كان فى باطنية الشيعة من ادعى النبوة لنفسه أو ادعاها لغيره من أهل البيت كفرقة الإسماعيلية الذين قالوا بنبوة محمد بن إسماعيل بن جعفر ، بل زعمت هذه الفرقة أنه لا يخلو زمان من نبوة نبى إلى يوم القيامة[1] ، وإذاً فإن الباب يرفض أن يتخلى عن دوره فى النيل من الإسلام والمسلمين أداء لضريبة الانتماء الباطنى من جهة وتقديمه لفروض الولاء والطاعة على وجه الخصوص لمعلمه الأكبر ويحرك نوازع الشر فيه السيد كاظم الرشتى ووفاءاً لمعلم طائفة الشيخية الشيخ أحمد الأحسائى الذى خلع عليه أتباع هؤلاء رداء النبوة تطبيقاً لنظريته فى التناسخ والحلول سواء بالنسبة للمهدية أو فيما يتعلق بالنبوة فإذا كان المهدى يمكن أن

---

(١) انظر القاديانية والبهائية للشيخ محمد الخضر حسين ص ٨ .

يكون شخصاً ما قد حلت الروح النورانية لمهدى الإثناعشرية الغائب فيه فإن النبي كذلك يمكن أن يكون شخصاً تحل فيه أو تتجلى الحقيقة الإلهية أو الصفات الربانية وإذا كان قد أعطى الباب فرصة ادعاء المهدية بنظريته تلك على نحو ما عرفنا آنفا فإنه يقدمها له سانحة طيبة ليجترىء على ادعاء النبوة وعلى أساس من النظرية نفسها بل إن الباب ليجد أقوى المبررات من نظرية الأحسائى كذلك فى النبوة ليفضل نفسه على محمد سيد البشر ﷺ ، وبالتالى يفضل بيانه على القرآن الذى أنزل على محمد ، فقد علمته الشيخية من قبل : « أن الحقيقة المحمدية تجلت فى الأنبياء قبل محمد ﷺ تجلياً ضعيفا ، ثم تجلت تجليا أقوى فى محمد والأئمة الإثنى عشر ، ثم اختفت زهاء ألف سنة ، وتجلت فى الشيخ أحمد الأحسائى[1] .... الخ » .

وادعاء الباب النبوة والوحى لم تكن الحادثة الأولى ولا الأخيرة من نوعها فقد سبقتها مثيلاتها على أيدى نفر من الحاقدين على الإسلام ونبيه وعلى رأسهم مسيلمة الكذاب وكلهم قد انهارت مقاومتهم أمام شمس الحق الساطعة وخروا صرعى بسيوف الإسلام التى سلطها الله على شياطين الباطل والشر فى كل زمان ومكان « فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض »[2] .

ولقد أعطى المسلمون منذ عهد الخليفة الأول أبا بكر الصديق رضى الله عنه القرار الحاسم والنهائى بردة مدعى النبوة وردة أتباعهم واستحلال

---

(١) البصرة تستأصل الشيخية ص ٧ نقلا من تهافت البابية والبهائية للدكتور مصطفى عمران ص ٦٢ .

(٢) سورة الرعد آية ١٧ .

دمهم حتى يثوبوا إلى رشدهم ويعودوا إلى ربقة الإسلام ، فإن هذه الحركة ليست إلا حركة إنكار لصريح الكتاب والسنة القاضي بأن سلسلة النبوة قد ختمت بنبوة محمد ﷺ ، وأن موكب الشرائع السماوية قد وقف عند شريعة الإسلام . فكان الإسلام آخر الأديان وكان القرآن آخر الكتب المنزلة من السماء على آخر الأنبياء ، ولا يزال القرآن الكريم مرسخاً في مقدمة عقائد الإيمان عقيدة ختم النبوة بمحمد ﷺ ، في تلك الآية الحكيمة (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين)(١) .

ومعنى خاتم النبيين آخرهم وانتهاء سلسلتهم به وسد باب النبوة وطبعها بنبوته ﷺ ، بحيث لا يكون مجال لنبي يأتي من بعده وهذا ما يقتضيه المعنى اللغوي لكلمة الخاتم إذ ينحصر معنى الخاتم في أربعة وهي : الطبع ، والإتمام ، والسد والوصول إلى الانتهاء .

يقال : ختم الشيء وعليه : إذا بلغ آخره ، وختم العمل إذا فرغ منه ، وختم الإناء ، إذا سده بالطين ونحوه ، وختم الكتاب : إذا قرأه كله وفرغ منه ، وختم على قلبه : إذا جعله لا يفهم شيئا ولا يخرج منه شيء ، وختام كل مشروب : آخره وختام الوادي : أقصاه ، وخاتمة كل شيء : عاقبته وآخرته ، وخاتم القوم وخاتمهم : آخرهم(٢) .

---

(١) سورة الأحزاب آية ٤٠ .

(٢) راجع لسان العرب والقاموس المحيط وأقرب الموارد .

ونحن وإن ذكرنا الاستشهاد هنا بثلاثة معاجم اللغة ، ولكنه ليس بمنحصر في هذه المعاجم الثلاثة فحسب ، بل راجع أي معجم شئت من معاجم اللغة العربية لا تجد فيه لكلمة « الختم » إلا نفس هذا المعنى .

وليس هناك إذا كنا منصفين خير من احتكامنا إلى اللغة فى فهم معانى القرآن بعد الاحتكام إلى المأثور من قول النبى ﷺ وقول صحابته فى بيان معانى القرآن ، والمفسرون لم يخرجوا عن هذه المعانى فى تفسيرهذه الكلمة .

ولا تزال السنة الصحيحة مقررة كذلك ماقرره القرآن ومثبتة لما أثبته ، وقد وردت كثرة من الأحاديث فى إثبات ختم النبوة وانتهاء سلسلتها إلى يوم القيامة بمحمد ﷺ ، وكلها من الأحاديث الصحاح منها قوله ﷺ : « كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبى خلفه نبى وأنه لا نبى بعدى وسيكون خلفاء »[1] .

ومنها قوله ﷺ : « إن مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ، فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين »[2] وقد أخرج مسلم أربعة أحاديث فى هذا المعنى فى صحيحه : كتاب الفضائل باب خاتم النبيين ، وزاد فى الحديث الأخير : « فجئت فختمت الأنبياء » وقد أخرج الترمذى هذا الحديث بعين ألفاظه فى سننه[3] .

كما قد أخرجه أبو داود الطيالسى فى مسنده فى حديث جابر بن عبد الله ، وفى آخره قول النبى ﷺ : « ختم بى الأنبياء » وقد أخرج الإمام أحمد عدة أحاديث فى هذا المعنى مع اختلاف يسير فى ألفاظها عن أبى بن كعب

---

(١) رواه البخارى : كتاب المناقب . باب ماذكر عن بنى إسرائيل

(٢) رواه البخارى كتاب المناقب . باب خاتم النبيين .

(٣) كتاب المناقب : باب فضل النبى وكتاب الآداب : باب الأمثال .

وأبي سعيد الخدرى وأبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « فضلت على الأنبياء بست : أعطيته جوامع الكلم ، ونصرت بالرعب ، وأحلت لى الغنائم وجعله لى الأرض مسجداً وطهوراً ، وأرسلت إلى الخلق كافة ، وختم بى النبيون » . (رواه مسلم والترمذى وابن ماجه) .

وقوله : (أنا محمد ، وأنا أحمد وأنا الماحى الذى يمحى بى الكفر ، وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على عقبه وأنا العاقب الذى ليس بعده نبى) . رواه الشيخان فى صحيحهما : كتاب الفضائل باب أسماء النبي . والترمذى فى سننه : كتاب الآداب ، باب أسماء النبي ، والإمام مالك فى الموطأ ، كتاب أسماء النبي والحاكم فى مستدركه : كتاب التاريخ ، باب أسماء النبي .

وإذا كان كل من القرآن والسنة يمكن أن يكون مجالا لتأويلات البابية وأمثالهم من الذين يحرفون الكلم عن مواضعه حتى لا يصلحا للحجية ، ومن ثم يفسحون المجال لإثبات نبوة الباب وأمثاله من المتآمرين على الإسلام فإن الحصن المنيع الذى تتحطم عليه معاول الحاقدين والمتآمرين على الدين هو إجماع الأمة الذى انعقد إلى يوم القيامة على ختم النبوة بنبوة محمد ﷺ ، وانتهاء سلسلة الأنبياء به وختم الأديان كلها بدين الإسلام والكتب السماوية بالقرآن وأصبح ذلك أمراً معلوما من الدين بالضرورة . ونحن وإن كنا سنكتفى بهذا الرد الموجز على ادعاء الباب مقام النبوة والوحى فإننا نعد بتوفية هذه الردود حقها فيما سيأتى من هذا الكتاب ونحن بصدد مواجهة مدع آخر للنبوة وهو غلام أحمد القاديانى .

دين البابية الجديد وأحكامه

زعم الميرزا على الشيرازى الملقب بالباب أن دينه الموحى إليه ناسخ للإسلام وأنه دين الدورة الحياتية الجديدة التى انتهت مع بدايتها دورة الحياة السابقة واستنفذت طاقتها فى ظل النبوة المحمدية وكنف الشريعة الإسلامية ، وكان من المنطقى أن تكون الأحكام الدينية للدين البابى الجديد مغايرة فى مجموعها على الأقل لأحكام الدين الإسلامى طبقا لقانون تعاقب الدورات الحياتية وتكامل مراتب الحقيقة الإلهية التى يمثل الباب أرقاها وأرفعها فى زعمهم ، إذ هو مظهرها الجديد . وهذه الحقيقة الإلهية قد حلت فى شخصه حلولا ماديا . وقد اختلفت فى شكلها الظاهرى فحسب عن المظاهر السابقة لهذه المادة الروحانية المنبعثة من الله تعالى ، ولكنها فى حقيقتها وجوهرها تتماثل معها تماما ، فوسى وعيسى اتخذا من شخصية الباب سبيلا إلى العودة إلى الدنيا ، كما تجسد فى شخصه غيرهما من الأنبياء الذين تجلى العقل الكلى الإلهى فى صورهم الجسمانية منذ أقدم العصور والأحقاب[1] .

وبهذا يقيم الباب دينه الجديد ويؤسس نبوته المعاصرة على أسس من عقيدتى الحلول والتناسخ مضياً فى طريق المتابعـــة لمبادىء الشيخية وتعاليم الباطنية .

وإن كان الاعتقاد بحلول وتجسد الحقيقة أو الصفات الإلهية فى الإنسان فى أصله عقيدة غنوصية . وكل من عقيدتى الحلول والتناسخ تتنافى قطعا مع

---

(١) انظر العقيدة والشريعة لجولد تسيهر ص ٢٧١ .

أصول التنزيه الإلهي في الإسلام من جهة ، ومع أصول الاعتقاد في البعث الجسماني من جهة أخرى وهذا غني عن البيان .

والأحكام التي جاء بها الباب لتنظيم الحياة في دورتها الجديدة قد استمدها في الحقيقة من جملة عقائد ونحل وفلسفات مختلفة والناظر فيها لا يلاحظ إلا طابع التهريج والتكلف غالباً على روحها التشريعية .

يقول صاحب مفتاح باب الأبواب : « لهم دين مزيج من أخلاط الديانات البوذية[1] ، والبرهمية الوثنية[2] ، والزرادشتية[3] واليهودية والمسيحية والإسلامية ، ومن » اعتقادات الصوفية والباطنية ، وها نحن أولا الآن نعرض نماذج من أحكام الباب التي كونت نحلته المزعومة حتى نقف على حقيقتها ونوقف من يقدم البرهان على صحة دعواه .

١ - عقيدة الباب في الألوهية : أشرنا قبل قليل إلى أن الباب قد قال بالحلول والاتحاد حيث اعتقد أنه المظهر الأكمل الحقيقة الإلهية التي تجسدت في شخصه كما تجسدت في أشخاص غيره من الأنبياء السابقين ... الخ .

والظاهر أن البابية من منطلق هذه النظرية لم يجدوا غضاضة في أن يرفعوه إلى مستوى الألوهية بل لم يجدوا غضاضة كذلك في أن يبالغوا في

---

(١) دين الصينيين واليابانيين .

(٢) أصل ديانة الهنود

(٣) ديانة قديمة تنسب إلى إبراهيم زرادشت الإيراني ولا يزال لأتباعها طائفة بالبلاد الهندية وأخرى بالبلاد الإيرانية .

أن يبالغوا فى تأليهه فيدعون أنه الخالق لكل شىء بكلمته والمبدأ الذى ظهرت عنه جميع الأشياء[1] ومن قبل ألهت الباطنية بعض أئمتهم استناداً إلى اعتقادهم بحلول الإله فى بعض الأشخاص وكما ألهت القرامطة محمد بن إسماعيل ابن جعفر وكما ألهت الشيعة الإمامية على وأولاده .

ويعد الباب من عقيدته فى الحلول وأكملية مرتبته فى الظهور (طبقاً لقانون الدورات المتجددة ، التبرير الكافى فى الارتفاع بشخصه إلى مرتبة الألوهية ، يدعى أنه مظهر الإله الذى حل فيه فيقول : « أنا قيوم الأسماء مضى من ظهورى ما مضى وصبرت حتى يمحى الكل ولا يبقى إلا وجهى ، واعلم بأنه لست أنا ، بل أنا مرآة ، فإنه لا يرى فى إلا الله »[2] .

وقد سبق التنبيه إلى خروج الباب بعقيدة الحلول عن قواعد التوحيد الإلهى وتنافى هذه العقيدة مع مقام التنزيه والتقديس الذى يجب لذات الله سبحانه وتهوى بصاحبها فى مهاوى التشبيه وتوقعه فى شباك التجسيم .

وقبل ذلك وبعده فإن عقيدتى الحلول والاتحاد تفضيان بصاحبهما لا محالة إلى الكفر فإن المستقر فى عقيدة التوحيد التى ما بعثت الرسل ولا نزلت الشرائع إلا لتقريرها ، هو وحدانية الله فى ذاته وصفاته وأفعاله وتنزيهه سبحانه عن التجسيم والتشبيه وما يفضى إليهما وما يستلزمه كل منهما .
ولا ريب أن الحلول والاتحاد يفضيان إلى التجسيم والتشبيه وتقرير ذلك على وجه تفصيلى مبسوط فى كتب العقيدة والتوحيد .

---

(١) راجع مادة باب دائرة المعارف الإسلامية وتاريخ البابية ص ٢٤٢ العقيدة والشريعة .

(٢) انظر حقيقة البابية والبهائية ص ٥٠ للأستاذ محسن عبد الحليم .

٢ ـ ومن منطلق مناداة الباب لنسخ شرائع الإسلام وأحكامه كان عبث الباب بتلك الأحكام حتى يتسنى له الإتيان بصورة مغايرة ونظام مختلف بأحكام شريعته سواء فى جانب العبادات أو فى غيرها من الجوانب الاجتماعية. ومن هنا رأيناه يخالف نظام الصلاة فى الإسلام فيلغى الصلوات الخمس، ويمنع صلاة الجمعة وصلاة الجماعة إلا فى الجنازة ويجعل الصلاة ركعتين فقط صبيحة كل يوم ويجعل قبلة المصلى نحو بيته الذى ولد فيه فى شيراز ويأمر بهدم جميع المزارات والمشاهد الخاصة بالأنبياء والرسل والأولياء، ولم يتورع عن الأمر بهدم قبر النبى ﷺ، كما أمر بهدم الكعبة وبيت المقدس وسائر المساجد والكنائس والبيع فى محاولة خبيثة منه لمحو جميع معالم الإسلام. فإذا كان ولا بد من الإبقاء على شيء فليكن الإبقاء على معالم دينه فقط، ولذلك أمر أتباعه من البابية ببناء تسعة عشر مسجداً باسمه على كيفية خاصة بناء على توجيهاته ليأموها دون سواها ولا يذكرون فيها إلا اسمه.

كما أمر بتشييد بناء بيته وتزيينه والتنازل عن ملكية الأرض التى تحيط به، وأمر بأن يجعل لبيته هذا خمسة وتسعين بابا على أن يكون لما سواه من البيوت باب واحد وبأن تزين المساجد التسعة عشر الخاصة به وبأن يبالغ فى إضاءتها.

٣ ـ واستبدل بفريضة الحج إلى بيت الله الحرام حجاً آخر إلى بيته وفى مسقط رأسه شيراز وجعله كعبة البابية الجديدة، كما أعطى نفس الاعتبار لمسجده بشيراز ويكون حينئذ قد استبدل بمكة المكرمة تلك المدينة التى كانت منبتاً للشر وموطناً للشيطان ولم يوجب الحج على النساء اللهم لنساء شيراز فقط ويسقط فريضة الحج عنده عن كل من يدفع لخدمه جزءا من

حاله الخاص وتبدو فى هذا المسلك نزعة الباب الشعوبية وعصبيته الفارسية . والترجمة عما اعتمل فى صدره وصدور أسلافه الباطنية من حقد وكراهية للعرب والنبي الذى بعث منهم، مع أن الإسلام قد قاوم شتى النزعات الشعوبية وقضى على مختلف العصبيات لأى جنس أو عرق وسوى بين جميع الشعوب على اختلاف أجناسهم وقومياتهم وألوانهم لا فضل لعربى على أعجمى ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى ، ولكن وريث المجوس وسليل الباطنية « على الشيرازى » يجند نفسه للثأر من الإسلام والمسلمين . فطالما تشوف إلى هذا الثأر قومه من بنى الفرس والمجوس .

٤ - ولم تسلم فريضة الزكاة كذلك من عبث الباب فأفرغها من مضمونها الإسلامى وابتعد بها عن مقاصدها الاجتماعية فى المجتمع من ترسيخ التراحم والتكافل والقضاء على مشكلة الفقر وغير ذلك من المقاصد التى تؤسس البنية الاجتماعية فى المجتمع الإسلامى المثالى فأنكر مصارفها وتجاهل أصنافها الثمانية . إذ لم يوجب أداءها إلا له أولا ثم لأمنائه من بعده .

٥ - ويبدو لنا فى تزييفه لفريضة الصوم أمران :

أولهما : عصبية فارسية مجوسية .

والثانى : احتفاء برقم تسعة عشر ، فالباب وإن جعل زمن الصوم شهراً إلا أن الشهر فى تقويمه الجديد تسعة عشر يوماً ، والسنة تسعة عشر شهراً ويبدأ شهر الصوم حسب ذلك التقويم الفارسى المجوسى قبل أن تنتقل الشمس من برج الحوت إلى برج الحمل بتسعة عشر يوماً ، حتى يكون عيد الفطر هو عيد النيروز الفارسى . وهو أول برج الحمل . وعدد أيام عيدهم تسعة عشر يوماً ، وكان احتفاء الباب برقم تسعة عشر أكثر من احتفائه بأى

عدد آخر. وإن كان اهتمامه بالأعداد يشغل جانباً كبيراً من حياته فيما يتعلق بأفكاره وآرائه .

فكان يعبر عن هذا الرقم أو ذاك بكلمة يجمع حروفها ، بحيث توافق تلك الحروف الرقم المقصود وفقا لحساب الجمل ، من ذلك على سبيل المثال: كان يطلق على كبار أصحابه الثمانية عشر لقب جماعة حي ، وكلمة حي تشير إلى نفس الرقم بحساب الجمل . والعجيب أن هذا الأسلوب فى التعبير مع سذاجته كان يعده إحدى آياته .

٦ - وعقد الزواج عند الباب يجوز أن يتم بمجرد رضا الزوجين أى من غير اشتراط ولى وشاهدين ، الأمر الذى يفقد معه هذا العقد قيمته وحصانته الاجتماعية التى يستمدها من ركيزة الإعلان والاشهاد ، وهو ما رعاه الإسلام . كما أباح الباب نكاح المتعة الذى نسخ فى الإسلام لما يترتب عليه من المفاسد الخلقية والاجتماعية كما أباح الزواج من الأخت ولم يعجبه رقم ثلاثة الذى حدد به الإسلام عدد مرات الطلاق الذى تبين بعده الزوجة من زوجها بينونة كبرى ، فحدد عدد مرات الطلاق بالرقم الذى يجعله النقطة المركزية لحساباته فى كل آرائه وأفكاره وهو رقم تسعة عشر الذى تبين بعده الزوجة بينونة كبرى من زوجها . وتبلغ مدة الرجعة سنة كاملة .

٧ - وأباح لبس الحرير والتحلى بالذهب للرجال والنساء .

٨ - نادى بالمساواة بين الرجل والمرأة مساواة مطلقة ، يقول جولدتسيهر وهو يؤرخ للباب : إنه رغب فى أن يجعل المرأة على قدم المساواة بالرجل . وذلك بانتشالها من الدرك الأدنى الذى وضعتها فيه تقاليد الحياة العملية باسم الدين والسنة . وقد بدأ بإلغاء الحجاب الذى فرض عليها وإنكار ذلك

الأسلوب الهمجى فى الزواج الذى أصبح جزءاً من تقاليد المجتمع الإسلامى مع أنه ليس من النتائج الضرورية للقواعد الدينية . وأضاف إلى مذهبه فى توثيق الرابطة الزوجية أفكاراً تتعلق بواجبات الأسرة وإصلاح طرائق التربية[1] . ولا تستغرب نبرة التعاطف والتأييد هذه من مثل هذا المستشرق اليهودى الذى حاشاه أن يضمر حباً أو يسر خيراً للإسلام والمسلمين .

٩ - ومما يضاف إلى تشريعاته فى رصيد المرأة ، تحريمه لتعدد الزوجات متجاهلا مايدعو إليه ويقتضيه من الضرورات الاجتماعية والحيوية والإنسانية فى كثير من الأحيان .

١٠ - أما عن غنائم الحرب والفتوحات ، فقد كانت توزع على ثلاثة أسهم : سهم له ، وسهم لتعمير المشاهد وسهم لسائر الجند ، والبابيون ليسوا أحراراً فى التمتع بأموالهم إلا إذا زكاها الباب، ولا تجوز لأحد منهم الوصية إلا إذا صدق عليها الباب أثناء حياته أو خلفاؤه من بعده .

وقد دعا الباب إلى الإخاء والمساواة بين أفراد الناس وإزالة الفوارق التى تفصل بين طبقاتهم وأديانهم . والإسلام قرر هذا المبدأ فى صورته المثلى وسوى بين جميع الأجناس البشرية . فإذا كان ولابد من التمايز كما تقتضيه الطبيعة البشرية ، فقد جعل أساسه الإسلام الفضيلة والتقوى ، ورفض أن يكون أساسه عنصراً أو عرقاً أو جنساً استناداً إلى واحدية الأصل : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم »[2] .

---

(١) انظر العقيدة والشريعة فى الإسلام ص ٢٧٢ .
(٢) سورة الحجرات : آية ١٣ .

١١ ـ ويذهب الباب إلى طهارة كل شيء حتى النجاسات ، والمتأمل فى تشريعات الباب يجد أن الصبغة الغالبة عليها هى محاولة التنصل من قيود التكاليف الشرعية مما يؤكد أنها تصدر عن مطلق الرغبة والهوى .

١٢ ـ أنكر الباب ما جاء به الإسلام من عقائد البعث والحساب والجنة والنار واستبدل مفاهيمها الإسلامية بمفاهيم جديدة طبقاً لمنهجه فى تأويل النصوص الشرعية وحملها على معانى توافق مذهبه وتتلاءم مع دينه المزعوم وعقائده المغرضة فحدد معنى البعث والقيامة بوقت ظهوره وساعة قيامه بدعوته لأول مرة وهى الساعة الثانية والدقيقة الحادية عشر من اليوم الرابع من جمادى الأول عام ١٢٦٠ هـ ومعنى النفخ فى الصور بجهره بالدعوة ، وفسر الصعق فى قوله تعالى : « فصعق من فى السموات والأرض إلا من شاء الله » بفسخ دينه لسائر الأديان ، وفسر الجنة بالدخول فى دينه والنعيم عنده للروح ، وفسر النار بالكفر به وبدعوته والعذاب عنده للروح أيضاً .

يقول جولد تسيهر عن الباب أنه : فسر الجزء الأكبر منه ـ أى الوحى ـ تفسيراً مجازياً ، ولم يعن بفرائض الإسلام وشرائط طهارته المرهقة وأبدل جزءاً منها بغيرها ، كما أول حساب الآخرة والجنة والنار تأويلا مخالفاً لما عرفه المسلمون . وقد سبقه فى هذا ، أصحاب الفرق السابقة التى أولت البعث بأنه مظهر دورى متجدد للروح الإلهية اللاحق فيه له علاقته بالسابق وينقل الحياة الجديدة إلى ما يليه ، وهذا عندهم هو معنى « لقاء الناس لربهم » ، وهو ما تسمى به الحياة الأخروية فى القرآن(١) .

١٣ ـ والباب فى حملته المدروسة على الإسلام والإصرار على بتر الصلة

---

(١) انظر العقيدة والشريعة فى الإسلام لجولد تسيهر ص ٢٧٢ .

بين المسلمين وبين دينهم وتراثهم ، نجده فى كتابه البيان يحرم على البابية النظر والتعلم والقراءة فى كتب غير كتبه لكان كل من آمن به من البابية طبقاً لهذا الحذر يحرق القرآن وكل مايقع تحت يده من كتب العلوم الإسلامية وهو اتباع منه لسنة الباطنية ، فقد كانوا من قبله يمنعون العوام من مدارسة العلوم والخواص من النظر فى الكتب المتقدمة حتى يبقوا فى عماية ، وأبرز من قام بهذا الدور منهم هو الحسن بن محمد الصباح[1] .

١٤ ـ وبعد ، فهذه بعض النماذج قدمتها من أحكام دين الباب لتتكشف للقارىء حقيقة نواياه وطبيعة مقاصده تجاه الإسلام ، وليتبين له حجم تفاهته وتفاهة دينه وما يحتويه من شناعات يسميها بالتشريعات ، وليس من الصعب على من عنده أدنى إلمـــام بأحكام دينه وحقائقه فضلا عن الراسخين فى العلم من العلماء ، أن يدرك هذه الحقيقة . ومع ذلك يخرج هذا الباب ويزعم النبوة كما يزعم أن دينه الذى يفقد كل خصائص الدين من الهداية والتوجيه وغيرها يزعم أنه ناسخ لدين الإسلام الذى قامت الأدلة العقلية والكونية والتاريخية على أنه أكمل الأديان السماوية وآخرها .

---

(١) انظر القاديانية والبهائية لمحمد الخضر حسين ص ١٤ وانظر مفتاح باب الأبواب ص ١٥١ : ٢٦٦ لمحمد مهدى خزان .

كتاب البابية المقدس

وإذا كان الباب قد ادعى أن كتابه البيان أفضل من كتاب الله القرآن الذى أنزل لهداية البشر وتوجيه الإنسانية إلى أسمى الأهداف وأقوامها. وأن من المناسب هنا أن نقدم نبذة عن كتاب البيان مشتملة على رأى أحد مؤرخى البابية فى أحد كتبهم.

وهو عبد الحسين أوارة فى كتابه الكواكب الدرية حيث يقول: «إن حضرة الباب وضع كتاب البيان وقسمه إلى تسعة عشر واحداً وقسم كل واحد إلى تسعة عشر بابا، والآن نقول:

إن أبواب هذا الكتاب تكون إذن من حيث الجملة والمجموع ثلاثمائة وواحد وستين بابا، وهذا العدد ينطبق على مجموع أعداد حروف كل شىء إذا استخرجت بحساب الجمل، وقد خصص حضرته الواحد الأول لنفسه، والثمانية عشر واحداً الباقية لكبار الصحابة (يعنى أصحاب الباب) لكل منهم واحداً، وبسبب انتشار الحركة الروحية ونفخ الحياة الإيمانية التى برزت وظهرت تحت ظل البيان إلى تلك الأصحاب، لكن حضرته لم يكمل بقلمه كتابة جميع هذه الأبواب، وإنما تم كتابة آحاد ثمانية وتسعة أبواب من الواحد التاسع فقط، تاركا كتابة البقية الباقية، ويتضح لكل من يتطلع على كتاب (البيان) ويتصفح ما كتبه الحضرة، أن حضرته عهد بمهمة إتمام بقية الكتاب إلى حضرة بهاء الله.

وكذلك كل من طالع كتاب (البيان) ودرسه بإمعان وسبر غور مطالبه تبين له أن الكتاب لا يرمى إلى تشريع كامل مستقل بنفسه، ولا إلى أحكام

قائمة على حدة دونت لتقوم باحتياجات أمة فى دورة كاملة من دورات الزمن، وإنما يفهم منه أمران :

الأمر الأول : حل نظريات اعتقادية إسلامية ، ومشكلات مهمة أصولية من مثل الرجعة والساعة ، والقيامة والحياة والموت والجنة والنار ونحوها ، وغير خاف أن هذه المواضيع من حيث التفسير والفهم كانت منذ القدم موضع مباحثات علماء الإسلام ومجادلاتهم ومنشأ اختلافهم فى الرأى ، مثال ذلك : أن جمهوراً فهموا من القيامة أنها حشر الموتى بأجسامهم الأولية بعد قيامهم من الأجداث الترابية .

وذهب آخرون إلى تفسيرها بظهور المهدى المنتظر واحتشاد الناس تحت لواء أمره ونيلهم الحياة الإيمانية من الإيمان به والإيقان بصدقه والتخلق بالأخلاق الفاضلة الإلهية ، وكذلك اختلفوا فى معنى الرجعة فذهبت قبائل إلى أنها عبارة عن رجعة الأئمة السابقين بأجسادهم ، ولم تزل هذه القبائل تتصور ذلك اليوم ، وآخرون توصلوا إلى طرق حجب الظواهر وإماطة البراقع عن وجوه الحقائق والسرائر ، واعتقدوا أن المغزى من الرجعة هو رجوع الآثار والصفات التى كانت كالمعنى الذى يفهم من قول القائل عند امتداح فتى بالشجاعة أن فلانا رجعة (رستم) وهو بطل الفرس المشهور[1] .

ويتبين لنا مما قاله صاحب كتاب الكواكب الدرية وهو أحد البهائيين أن وحى الباب يحمل فى طياته دلائل بطلانه وعلائم كذبه لأن كتاب الباب المقدس لا يضطلع بتشريع مستقل بنفسه ولا يفى باحتياجات أمة فى دورة

---

(١) ميرزا عبد الحسين : الكواكب الدرية فى تاريخ ظهور البابية والبهائية ص ٤١٠ - ٤١١ .

شاملة من دورات الحياة ، إلى آخر ما قال مما يقفنا كلام هذا البهائى عليه من النقص والقصور . وحاشا لوحى الله أن يتصف بواحد منهما .

ونحن توضيحاً لملامح الصورة نزود القارىء هنا ببعض النصوص من هذا السفر الذى يزعم الباب أن البشر جميعاً يعجزون عن الإتيان بحرف مثل حروفه .

ولسنا فى حاجة بعد تأمل ما نعرضه على القارىء من نصوص إلى أن ننبه إلى خصائص هذا الكتاب من اضطراب فى المعنى وركاكة الأسلوب وكثرة اللحن وغير ذلك مما يلاحظه القارىء بنفسه .

نصوص من كتاب البيان :

يقول الباب فى اللوح الأول من كتابه البيان :

(آثار النقطة جل وعز البيان فى شئون الخمسة من كتاب الله عز وجل كتاب الفاء : باسم الله الأبهى الأبهى بالله الله البهى البهى ، الله لا إله إلا هو الأبهى الأبهى ، الله لا إله إلا هو البهى البهى ، الله لا إله إلا هو المبتهى المبتهى ، الله لا إله إلا هو المبهى المبهى ، الله لا إله إلا هو الواحد البهيان ، والله بهى بهيان بهاء السموات والأرض وما بينهما ، والله بهيان مبهى مبتهاه والله بهى بهيان ابتهاء السموات والأرض وما بينهما ، والله بهيان مبتهى مبتاه ، قل الله ابهى فوق كل ذى البهاء .

إلى أن يقول : إنا قد جعلناك جلالا جليلا للجالين ، وإنا قد جعلناك جمالا جميلا للجاملين ، وإنا قد جعلناك عظياناً عظيماً للعاظمين ، وإنا قد جعلناك نوراً نوراناً للناورين وإنا قد جعلناك رحماناً رحيماً للراحمين ، وإنا قد جعلناك تماماً تميماً للتامين .

إلى أن يقول : قل إنا قد جعلناك بطشا بطيشا للباطشين ، قل إنا قد جعلناك سكانا سكيناً للساكنين قل إنا قد جعلناك رضهاناً رضياً للراضين ، قل إنا قد جعلناك هدناً هدياً للهادين ، قل إنا قد جعلناك نبلا نبيلا للنابلين ، قل إنا قد جعلناك جهرانا جهيراً للجاهرين .

إلى أن يقول : قل إنا قد جعلناك شمساً مضيئاً للضائين ، قل إنا قد جعلناك قمراً منيراً للناورين ، قل إنا قد جعلناك كواكب مشرقة للشارقين ، قل إنا قد جعلناك سلما ذات ارتفاع للرافعين ، قل إنا قد جعلناك أرضاً ذات السطاح للساطحين ، قل إنا قد جعلناك جبلا ذات ابتذاخ الباذخين قل إنا قد جعلناك بحراً ذات ارتجاج للساترين ، قل إنا قد جعلناك كل شيء ونزهناك عن كل شيء إنا كنا على كل شيء لقادرين ، قل إنا قدجعلناك كل شيء وقدسناك عن كل شيء وإنا كنا على ذلك لمقتدرين ثم يقول : قل إن الله ليظهرن من يظهر الله مثل ما قد ظهر محمداً رسول الله من قبل وأظهر علياً قبل محمد من بعد كيف يشاء بأمره إنه كان على كل شيء قدير . قل لو تريدون كل الرسل فى وجه الله تنظرون ، ولو تريدون كل الكتب فى كتاب الله تنظرون ولو تريدون كل خير من عند الله تدركون ، ولو تريدون تعرفن أسماء الله ثم أمثاله أنتم الذين يؤمنون بمن يظهر الله تعرفون ثم لتحبون) .

ويقول فى اللوح الثانى :

(بسم الله الأقدم الأقدم، بسم الله الواحد القدام، بسم الله المقدم المقدم ، بسم الله القادم القدام ، بسم الله القادم القدام ، بسم الله القادم القدوم ، بسم الله القادم القدمان ، بسم الله القادم المتقدم بسم الله المقتدم المقتدوم ، بسم الله القادم المتقادم ، بسم الله المتقدم المتقدم ، بسم الله القادم القيدوم)[١]

(١) مفتاح باب الأبواب ص ٢٧٦ .

وبعد مطالعة هذه النصوص يتبين القارىء العادى - فضلا عن غيره - ما تتسم به أولا وقبل كل شىء من عيوب وأخطاء لغوية سواء منها النحوية أو الصرفية أو البلاغية مما لا يقع فيها إلا من يهذى بالكلام ويعبث به بحيث يعز علينا أن نسميه كلاماً إلا من قبيل اللغو الفارغ من كل معنى موضوعى .

وهذا هو كتاب البيان الذى يدعى الباب أنه هو وحى الله اليه وأنه أفضل من القرآن ، ولله الأمر من قبل ومن بعد .

إعتقال الباب

رأت السلطة الحاكمة فى إيران أن البابية قد أصبحت خطراً على أمن الدولة وعقيدتها ، فقد نشطت دعوتهم ، وكثر أتباعهم ، وانتشرت آراؤهم المتطرفة فى إيران وخارجها ، فلم تجد الحكومة الإيرانية بدأ من تعقبهم وملاحقتهم ، فقبضت على بعضهم ممن رأت فيه ثقلا ينعكس على ترسيخ الدعوة البابية وتنشيط حركتها ، ورأى العلماء أن القضية ليست هى القبض على بعض البابية مهما يكن خطرهم . بينما لا يزال الباب طليقاً يتحرك بحرية ويستقطب كل يوم أتباعاً جدداً فقاموا بتنبيه الحكام إلى خطورة هذا الأمر فقبض على الباب .

وهيأ الحكام عدة مواجهات فى مجالسهم بين الباب وبين العلماء قامت من خلالها مناظرات حادة بينه وبين العلماء حول دعوته وكتابه البيان وغيره من رسائله إذ كان يصر على أنها وحى من الله إليه وحول ادعائه نسخ شريعته لشريعة محمد ﷺ ، وكانت جميع هذه المناظرات تنتهى إلى ازدياد سخط الحكام والعلماء عليه ، وكان العلماء ينقسمون فى أمره غالباً إلى فريقين: فريق يرى كفره وخروجه على دين الله فيفتى بقتله ، وفريق يرى اختلاط عقله وخياله فيفتى بتعزيره وسجنه ، وغالباً ما كان يأخذ الحكام بالرأى الثانى فى شأنه ويطبقونه عليه ، ويوقعون به أقصى ألوان العذاب ، غير أن الباب تحت وطأة الضرب والتنكيل لجأ أكثر من مرة إلى التظاهر بالرجوع عن مبادئه ودعوته ، ولكنه لا يلبث بعد نوع من العفو عنه أن يعود إلى أشد ما كان عليه تطرفاً . حدث ذلك مرة مع حاكم شيراز ، وأخرى مع حاكم أصفهان ، ولم تجد السلطة مناصاً أمام تفاقم خطر الباب وأتباعه من

نفيه إلى أذربيجان ، واعتقاله للمرة الأخيرة في قلعة جهريق بمدينة ماكوا بالقرب من بايزيد على حدود الدولة العثمانية ، وكان ذلك عام ١٨٥٠م .

مؤتمر برشت :

وكان لاعتقال الباب وسجنه رد فعل معاكس لدى أتباعه ، فقد كان المتوقع أن يرهبهم هذا الموقف من السلطة ، ويحد من نشاطهم الدعائي له ولدعوته ، ولكن الأمر جاء على عكس ما يتوقع ، فقد ازداد نشاطهم وطفقوا يقومون بالدعوة إليه جهراً وينتشرون في مختلف الأماكن والبلدان ، بل إنه قد أضيف إلى مهماتهم وواجباتهم قبل زعيمهم المسجون مهمة ، وواجب إنقاذه من سجنه ، وتخليصه من أسره فانتهوا إلى ضرورة عقد مؤتمر لبحث ذلك الأمر وغيره من الأمور التي يمكن أن تبحث لصالح الدعوة .

وانعقد ذلك المؤتمر في صحراء بدشت الإيرانية الواقعة على نهر شاهرود بين خراسان ومازندران — وكانوا قد أوهموا عامة الأتباع أن الغرض من انعقاد هذا المؤتمر هو إعلان بشائر جديدة للباب تلقوها عنه في سجنه ، وكذلك بحث مسألة اعتقال الباب وما يمكن أن يتخذ من الوسائل لإنقاذه .

وكان من أبرز زعماء هذا المؤتمر : ملا حسين البشروئي الملقب بباب الباب — وملا محمد على البارفروشي الملقب بالقدوس ، وميرزا حسين على المازندراني الملقب فيما بعد بالبهاء ، وأم سلمى (زرين تاج) الذي لقبها الباب بقرة العين .

ولم تقتصر أعمال هذا المؤتمر على مسألة النظر في سجن الباب وإنقاذه وإنما تجاوزتها إلى غيره من المسائل الخطيرة ، لعل من أبرزها مسألة وجوب

نسخ الشريعة الإسلامية بشريعتهم الجديدة ، ووجوب تغيير فرائض الإسلام وفروعه من صلاة وصيام وزكاة وحج وغيرها .

وانتهوا إلى هذا القرار بموافقة الأغلبية من كبار أصحاب الباب وخواص أتباعه .

وكانت قرة العين فى مقدمة الموافقين على قرار نسخ الشريعة وتغيير أحكامها ، ومن أشدهم تحمساً لذلك . وقد بلغ بها تحمسها أن رأت ضرورة تبليغ هذا الأمر إلى سائر الأتباع مع مخالفة بعض زعماء المؤتمر لها فى هذا . ومن بينهم الملا محمد على البارفروشى (القدوس) ومازالت بأصحابها حتى أقنعتهم بضرورة قيامها بهذا الواجب ، وفى غيبة من القدوس خرجت على الناس من خدرها سافرة مجردة من حجابها طارحة لبرقعها ونقابها ، وصعدت المنبر الذى أعدلها ، وقامت فيهم خطيبة معلنة وجوب نسخ الشريعة المحمدية وسقوط التكاليف الشرعية وإباحة التمتع بملذات الحياة بدون قيود ولا حدود ووجوب الاشتراك فى المال والنساء ، وبهذه الإباحية التى ترجمت بها عن نوازعها وتحللها ، قالت فى خطبتها هذه :

(اسمعوا أيها الأحباب والأغيار واعلموا أن أحكام الشريعة المحمدية قد نسخت الآن بظهور الباب ، وأن أحكام الشريعة الجديدة البابية لم تصل إلينا ، وأن اشتغالكم الآن بالصوم والصلاة والزكاة وسائر ما أتى به محمد كله عمل لغو وفعل باطل ، ولا يعمل بها بعد الآن إلا كل غافل وجاهل .

إن مولانا الباب سيفتح البلاد ويسخر العباد وستخضع له الأقاليم السبعة المسكونة ، وسيوحد الأديان الموجودة على وجه البسيطة حتى لا يبقى إلا دين واحد ؛ وذلك الدين الحق هو دينه الجديد ، وشرعه الحديث الذى لم يصل إلينا إلى الآن منه إلا نذر يسير ، فبناء على ذلك أقول لكم ، وقولى هو الحق : لا أمر اليوم ولا تكليف ولا نهى ولا تعنيف وأنا الآن فى

زمن الفترة ، فاخرجوا من الوحدة إلى الكثرة ، ومزقوا هذا الحجاب الحاجز بينكم وبين نسائكم بأن تشاركوهن بالأعمال ، وتقاسموهن بالأفعال واصلوهن بعد السلوة ، وأخرجوهن من الخلوة إلى الجلوة ، فما هي إلا زهرة الحياة الدنيا ، وأن الزهرة لابد من قطفها وشمها ؛ لأنها خلقت للضم وللشم ولا ينبغى أن يعد ولا يحد شاموها بالكيف والكم ، فالزهرة تجنى وتقطف والأحباب تهدى وتتحف .

وأما ادخار المال عند أحدكم وحرمان غيركم من التمتع به والاستعمال فهو أصل كل وزر وأساس كل وبال ، لأنه لم يخلق لنفس واحدة تتلذذ به من حيث يتحسر المحروم ، بل هو حق مشاع فهو مقسوم ، جعل للاشتراك بين الناس ، وللتداول من دون احتكار ولا اختصاص . فليشارك بعضكم بعضاً بالأموال ليرفع عنكم الفقر ويزول الوبال ساووا فقيركم بغنيكم ، ولا تحجبوا حلائلكم عن أحبابكم ، إذ لا ردع الآن ولا حد ولا منع ولا تكليف ولا صد، فخذوا حظكم من هذه الحياة فلا شيء بعد الممات)[1].

وكان ما لا تنتظره قرة العين ولا ينتظره أصحابها من سخط المسلمين واستنكارهم بل ثورتهم على أولئك الذين خدعوهم ثم فاجأوهم بهذا الجحود الصارخ وهذه الإباحية التى لا تعدو أن تكون ردة إلى المانوية المجوسية والباطنية الغليظة ، ولم يجد المؤتمرون بداً من الفرار أمام ثورة المسلمين وسخطهم فتبدد شملهم وتفرق جمعهم وتشتتت السبل بزعمائهم فاتجه البهاء إلى طهران - والبشروئى إلى خراسان - واتفق القدوس مع قرة العين على الالتقاء فى جهريق لإنقاذ الباب من سجنه بعد الاستعداد لذلك باستجماع القوى وتجييش جيش لمواجهة جيش الدولة إن ازم الأمر .

(١) انظر الكواكب الدرية ص ٢١٨ إلى ٢٢٣ ومفتاح باب الأبواب ص ١٨١ .

نهاية الباب

وكانت السلطات الحاكمة فيما قامت به من إجراءات قد نصت اتصال البابيين بالباب فى سجنه ، ولكنهم تمكنوا بشتى الحيل من لقائه والاتصال به وتلقى توجيهاته بأن يكثفوا نشاطهم ويوسعوا دائرة انتشارهم ويخرجوا بالدعوة من طابعها السرى إلى المجاهرة بها وكان موقف الحكومة بعد اعتقال الباب واضطهاد أتباعه وتعقبهم فى حد ذاته عاملا من العوامل التى حولت حركة البابيين إلى شكل جديد ، اختلطت فيه أطماعهم الدينية بأطماع سياسية وبرزت فى مخططهم تطلعاتهم إلى الحكم ، وأصبح من أهدافهم القضاء على الحكومة القائمة حتى يتسنى لهم إقامة مملكة دينية بزعامة الباب .

وتجسدت هذه التطلعات ، تارة فى مواجهات حربية بينهم وبين الجيش الإيرانى ، وأخرى فى تدبير المؤامرات ومحاولة اقتناص الفرص المواتية للفتك بالحاكم .

ويقول باول شيمتز : « تطورت أحداث هذه الدعوة ، إذ وقعت عداوة شديدة بين البابيين والرجعية الحاكمة(١) الذين استندوا فى الحملة ضد البابيين على حاشية الشاه الدكتاتوريين ، فأخذ الصراع صبغة سياسية ، فأطراف الصراع يدافعون عن كيانهم وسلطتهم . اضطهد البابيون اضطهاداً مراً ، وأخذوا بالريبة ، واشتد ضغط السلطة عليهم فتعقبتهم الشرطة فى كل مكان ، وأذاقوهم العذاب ، وفى هذا الجو نمت العداوة بينهم وبين الأسرة المالكة

---

(١) يرمز شيمتز بهذه العبارة السلطة الإيرانية فى موقفها من البابية لتعاطفه مع البابية واعتبار إياها حركة تجديدية .

وتبلورت عندهم ثمرة القضاء عليه ، ليقيموا على أنقاضها مملكة دينية جديدة يكون على رأسها « البـــاب » الذي كلف من الإمام المختفي بتمهيد الطريق لظهوره ، ومن هذا يتبين لنا أن الأهداف السياسية والدينية تشابكت مع بعضها وتقاربت تقاربا يشبه الالتحام ، وبذلك جاءت الدعوة إلى المبادىء الدينية وسيلة للوصول إلى السلطة [1] .

وقد وجدت السلطة أن مسألة سجن الباب لم تزد الأمر إلا صعوبة ولم تزد المشكلة إلا تعقيداً فكتبت إلى ولي عهد الدولة ناصر الدين شاه أن يستدعي الباب من سجنه إلى تبريز مقر حكمه وخاصة أزربيجان . وأن يجمع له مجلساً من العلماء والوجهاء وكبار رجال الدولة وأن يفسح له المجال ليفصح عن آرائه وتعاليمه أمامهم حتى يقرروا فيه قرارهم ويصدر العلماء فتواهم في شأنه وقد وجهوا إليه في هذا المجلس عديداً من الأسئلة حول ما يدعيه من نسخ شريعته للإسلام ، وطالبوه بأن يوضح لهم دواعي ذلك النسخ وأسبابه لا سيما مواطن النقص في أحكام الشريعة الإسلامية التي جاءت شريعته لإكماله كما تقتضيه الحكمة الإلهية من النسخ وإكمال اللاحق من الوحي لأوجه النقص في السابق منه ، إلى غير ذلك من الأسئلة التي ثبت لهم عجزه عن الإجابة عنها . واستفتى ولي العهد المجلس في أمره فانقسم العلماء هذه المرة أيضاً حيث أفتى بعضهم بكفره وإهدار دمه ووجوب قتله ، وأفتى البعض الآخر بهوسه وخبال عقله ، وأخذ ولي العهد بالرأي الثاني كذلك ، وأمر به فضرب وعذب حتى أعلن الرجوع عن دعوته تقية فكفوا عن تعذيبه وأعادوه إلى سجنه بقلعة جهريق حتى تبين أن مسألة سجنه كانت هي السبب في شدة افتتان أتباعه به وزيادة تعاطفهم معه وزيادة تحمسهم له مما أدى إلى زيادة تمردهم

---

(١) انظر : الإسلام قوة الغد العالمية تعريب د/ محمد شامة ص ١٣٣ .

على الدولة ، فرأوا أن العلاج الحاسم للمشكلة لن يكون إلا فى إعدامه والقضاء عليه .

فاستحضره ولى العهد ناصر الدين شاه إلى تبريز مرة أخرى ونزل على رأى العلماء فى فتواهم بقتله ونفذ فيه الحكم بالإعدام وكان ذلك صبيحة اليوم السابع والعشرين من شعبان عام ١٢٦٥ للهجرة الموافق الثامن من يوليه سنة ١٨٥٠ للميلاد[١] .

وأمر بجثته فألقيت فى الصحراء خارج مدينة تبريز زيادة فى التنكيل به ولتكون عبرة لمن يعتبر .

ويذكر أنها اختفت فى اليوم الثانى من إلقائها وترددت الشائعات حول اختفائها ومصيرها ، فمن قائل : إن السباع والوحوش قد انتهشتها ، وقائل : إنه قد رفع إلى السماء ويسند مثل هذا القول إلى البابية كما ينسب إليهم القول : بأنهم قد حملوها إلى مكان مجهول ، إلى غير ذلك من الأقوال التى انتهت إلى أن البهاء خليفة الباب فى زعامة هذه الطائفة قد دفنها فى جبل الكرمل بين حيفا وعكا فى فلسطين .

وهكذا ينال الباب ما يستحقه من مثل هذه النهاية المروعة . أما أتباعه فكان منهم من زاده تنفيذ الإعدام فى زعيمهم إصراراً على الثأر له من الدولة وبخاصة ما توهموه من معجزات ادعوا حدوثها أثناء قتله . فتعقبتهم السلطة ونكلت بهم وأذاقتهم نفس المصير ، ومنهم من فر من التعقب والاضطهاد إلى خارج البلاد حيث يجدون الفرصة لاستئناف نشاطهم .

---

(١) انظر مفتاح باب الأبواب ص ١٣٢ : ٢٣٢ ، والعقيدة والشريعة لجولدتسيهر ص ٢٧٣ .

يقول باول شمتز : « يروى أتباعه ـ أى الباب ومريدوه ـ أساطير حول ما ظهرت من معجزات أثناء تنفيذ الإعدام ، فقد جاء فى إحدى روايات هذه الأساطير أنهم ربطوا الباب مع التلميذ بالحبال مع بعضهما ، بحيث وضع رأس التلميذ على صدر « الباب » ثم تلقى حراس أرمنيون الأمر بإطلاق الرصاص عليهما ، فأطلقوا أول دفعة وعندما انقشع دخان بارودها رأى الحاضرون ، أن الباب والتلميذ واقفان بدون قيد ، وكانت معجزة ، إذ أن الرصاص أصاب القيد فقط ، إلا أن الدفعة الثانية قضت عليهما .

هذه المعجزة التى حدثت أثناء تنفيذ حكم الإعدام أوقدت فى أتباعه حماساً لا يوصف ، دفع بهم إلى حب الاستشهاد فى سبيل دعوتهم ، فسيقت أعداد لا حصر لها إلى ساحة الإعدام ، فقيدوا صفوفاً على حائط المتفصلة ، حيث أعدموا رمياً بالرصاص بصورة جماعية ، أما زعماؤهم فكانوا يربطون على فوهته ماسورة الإطلاق[1] .

ويقول جولدتسيهر : « أما أتباعه الذين فروا من الموت والتعذيب ، والذين اشتدت حماستهم وقوى تعلقهم بمذهبهم بسبب ما عانوه من الاضطهاد ، فقد أمكنهم أن يلتجئوا إلى الأراضى التركية[2] » .

والواقع أن لجوءهم إلى الأراضى التركية ، إنما كان بعد فترة النفى التى قضوها بالعراق والتى بلغت اثنتى عشرة سنة بسبب تمردهم وثبوت اشتراكهم فى محاولة قتل الشاه ناصر الدين ، الذى رأى فيما بعد أن وجودهم بالعراق

---

(١) انظر الإسلام قوة الغد العالمية ص ١٣٣ .

(٢) انظر العقيدة والشريعة الإسلام لجولدتسيهر ص ٢٧٣ .

أصبح مصدر قلق واضطراب بالنسبة له ولدولته ولاسيما أنهم لم يكفوا عن ممارسة نشاطهم ، فاقترح على الباب العالى إبعادهم عن هذه المنطقة ، فاستجابت له الحكومة العثمانية ونفتهم إلى الأراضى التركية ، حتى استقر بهم المقام بأدرنة .

وكان من بين هؤلاء ذلك الشخص الذى أوصى له الباب بخلافته فى زعامة الطائفة من بعده وهو ميرزا يحيى الملقب بصبح أزل[1] وأخوه الذى أوصى له الباب بمنصب النائب عن خليفته يحيى وهو الميرزا حسين على المازندانى .

---

(١) معناه : الفجر الخالد .

البهائيـــة

تمهيد :

أشرنا فيما سبق إلى أن البابين قد مكثوا اثنى عشرة سنة ببغداد بعد طردهم من إيران بسبب شغبهم وتمردهم وتآمرهم على قتل الشاه ناصر الدين ، وأنهم أقلقوا السلطة فى منفاهم ببغداد بسبب اتصالهم بالشيعة أثناء رحلاتهم السنوية إلى مزارات آل البيت بالنجف جنوب بغداد وغيرها .

وأن الشاه ومعه علماء الشيعة ممن ضاقوا بالبابية قد طلبوا من السلطان العثمانى أن يغير منفى البابية بالعراق إلى حيث لا يصل إلى الإيرانيين تأثيرهم وأن الباب العالى قد استجاب لذلك ، وتم استدعاء السلطان العثمانى للبابية إلى استانبول ، ولكن السفير الإيرانى أشار على السلطات فنفتهم إلى أدرنة بالطرف الغربى للمملكة التركية .

وفى أدرنة تغير الوضع ، وقد كان الأمر من قبل على أن زعامة البابية من حق ميرزا يحى طبقاً لوصية الباب بذلك ، ولم يكن دور البهاء إلا مجرد داعية باسم الباب الثانى ، الذى ظل مختفياً عن أعين الرقباء من الجماهير ، أو السلطة . وأما هنا حيث المنفى الجديد فقد وقع الخلاف بين الأخوين على قضية زعامة الطائفة ، وبلغ الخلاف مداه حين أصبح كل منهما يدعى أنها من حقه هو دون أخيه ، وهو إن كان انشقاق من قبل البهاء على أخيه صبيح على نحو ما ذكرنا ، فقد مضى البهاء وأتباعه يزعمون أن الحقيقة هى أن الباب كان يوصى البهاء ليخلفه فى زعامة البابية ، وطفقوا يفسرون كثيراً من كلامه على أنه تبشير بالبهاء .

وأما عن دعوة البهاء إلى تعاليم صبح أزل كنائب عنه فإنما ذلك قد كان بتدبير الباب نفسه حيث يظل أمر البهاء مستوراً وبمنأى عن أذى الخصوم، وتمكن السلطة، فبينما استند البهاء وأتباعه إلى هذا التبرير استند الأزليون اتباع صبح أزل، وجميع الإيرانيين إلى أن وصية الباب الخطية قد كانت ليحيى دون حسين، وعللوا اختفاءه فى الفترة السابقة، وقيام البهاء بالدعوة له بنفس التعليل، وهو خوف الباب عليه من أن تنال منه أيدى الأعداء، وأخذ الخلاف بين الأخوين وأتباع كل منهما شكل التحفز وتربص كل منهما بأخيه وتدبير اغتياله طوراً بالسم وطوراً بالسلاح.

وأصبحت البابية طائفتين متصارعتين:

الأولى: (البابية البهائية): بزعامة الميرزا حسين على المازندرانى الذى سمى نفسه البهاء الذى بلغ به طموحه ألا يقتصر على مجرد زعامته للطائفة، بل يتجاوزه إلى الاضطلاع بالتغيير والتجديد زاعماً بأنه نبى جديد ذو شريعة جديدة ليست بناسخة لشريعة الإسلام فحسب بل هى ناسخة أيضاً لشريعة الباب نفسه.

والطائفة الثانية: هى (البابية الأزلية): وهى أقلية إذا قيست بالبابية البهائية، والأزلية أتباع صبح أزل، وهو لقب الميرزا يحيى الذى كان يرى ضرورة التمسك بمبادىء البابية القديمة، ووجوب الإبقاء على تعاليم البابية.

وعلى هذا فالأزليون هم البابيون المحافظون، والبهائيون هم البابيون المجددون، وأمام هذا الصراع الذى احتدم واشتد أواره اضطرت السلطة إلى التدخل لحسم الأمر، وقررت الفصل بينهما وتغيير منفاهما. فنفى البهاء

إلى عكا ، كما نفى صبح أزل إلى مدينة فاما جوستا بجزيرة قبرص ، وأسندت السلطة التركية أمر الرقابة على كل منهما إلى مجموعة من أتباع الآخر .

وكان عدد أتباع البهاء الراحلين معه إلى عكا سبعين شخصاً ، أما صبح فلم يرحل معه إلا أكثر من الثلاثين شخصاً بقليل .

ودعا كل منهما لنفسه زعيما للطائفة ، وحاولت عيون الأزل المبثوثة من حول البهاء أن تحد من نشاطه فدبر الفتك بهم ، وقضى عليهم جميعاً في ليلة واحدة بالسواطير والرماح ، وقد كان لذلك أثره في اهتزاز مركز الميرزا يحي فقد كانوا هؤلاء شوكته وقوته . وازداد نشاط البهاء ، وقويت شوكته ، وانتشرت دعوته حتى صار الممثل الوحيد للطائفة التي عرفت بالبهائية نسبة إليه ، أما صبح أزل فقد توفى صغير السن في منفاه ، وتفرق أصحابه وتبدد شملهم ، بينما مكن البهاء لنفسه في منفاه ، وظل معترفاً به من أتباعه شيخاً للطائفة ، رغم تحديد إقامته في عكا مدة تقرب من ثلاثين عاماً ، وفي عام ١٨٧٠م حصل على تصريح بمغادرة المكان المحدد إقامته فيه ، والانتقال الى ضيعة له في ضواحي المدينة على أن يكون تحت رقابة رجال الشرطة[1] .

البهاء - حياته ودعوته :

البهاء هو حسين على وهو اسمه مركبا وأبوه الميرزا عباس بزرك ، وآخر وظيفة حكومية تقلدها ذلك الأب مأمور مالية بولاية مازندران .

والبهاء هو لقب حسين على الذى اشتهر به حتى صار علما عليه وكان

---

(١) انظر الإسلام قوة الغد لباول شمتز ص ١٣٥ .

هو الذى أطلقه على نفسه مع كثير من الألقاب الأخرى التى لم تحظ بهذه الشهرة ، وسمى أتباعه بالبهائية نسبة إلى هذا اللقب ، ومن هذه الألقاب الأخرى التى خلعها البهاء على نفسه لقب (مظهر الله) و (جمال الله) .

يقول جولد تسيهر : (وقد فضل بهاء الله أن يتسمى باسم « مظهر » ، أو « منظر الله » الذى يتجلى فى طلعته جمال الذات الإلهية ، والذى ينعكس محاسنها كصفحة المرآة ، وهو نفسه « جمال الله » الذى يشرق وجهه ويتألق بين السموات والأرض كما يتألق الحجر الكريم المصقول . وبهاء الله هو الصورة المنبعثة الصادرة عن الجوهر الإلهى ، ومعرفة هذا الجوهر لا تتأتى إلا عن طريقه)[1] .

وكانت ولادته يوم الثلاثاء الثانى من محرم عام ١٢٣٣هـ ببلدة نور من أعمال ولاية مازندران الإيرانية . ولهذا سمى بالمازندرانى والنورى . وكان سابع إخوة له ستة حظى من بينهم عند أبيه بالتدليل ومزيد العناية به هو وشقيقاه يحيى ومحمد على ، وذلك لحظوة أمهم عند أبيهم .

وقد تلقى هو وإخوته مبادىء العلوم فى طهران تحت رعاية أبيهم ، وقد عرف عنه حدة ذكائه ، وفصاحة لسانه ، وقوة تأثيره وإقناعه . كما أثر عنه شدة حبه للتصوف والمتصوفة فقد سلك سلوكهم ، وأكثر من قراءة علومهم .

أما عن اتصاله بالباب ، فقد قيل : إنه التقى به مع أخيه يحيى الملقب بصبح أزل عن طريق ملا عبد الكريم القزوينى أحد دعاة الباب .

---

(١) انظر العقيدة فى الإسلام لجولد تسيهر ص ٢٧٤ .

وقيل : إنهما رأياه بين قم وقزوين وهو فى طريقه إلى محبسه بمهريق فرشيا كبير الحراس المدعو محمد بيك فدبر لهما لقاءه سراً وتمت بيعتهما له على مبادئه وتعاليمه ، ومضيا يدعوان إلى الباب مجاهرة بطهران ومازندران وغيرهما .

ويذكر عنه اشتراكه فى محاولة اغتيال الشاه ناصر الدين . تلك المحاولة التى قبض عليه بسببها مع سائر من اشتركوا فيها وأودعوا السجن .

ولم يفرج عنه إلا بواسطة الصدر الأعظم لأنه كان من نفس إقليمه ، وقيل : إن السفير الروسى هو الذى توسط له فى إطلاق سراحه ، ولكنه طرد من البلاد الإيرانية مع أخيه صبح أزل وجمع من متمردى البابية إلى العراق العربى حيث اتخذوا بغداداً منفى لهم .

ولما رأى أن الخطر مازال يلاحقه بسبب خلاف وقع بينه وبين علماء الشيعة هرب إلى كردستان متخفياً فى زى الدراويش ، وقيل : إنه هرب ليختفى فى غار قريب من قرية (سركلو) التابعة لناحية « سورداش » فى لواء السليمانية .

وظل على اختفائه هذا حتى عاد بعد سنتين تحت إلحاح أصحابه وأخذ يجمع أتباعه وينظم صفوفهم حتى نجحت مساعى الشاه ناصر الدين ومعه علماء الشيعة فى نفيهم إلى الأراضى التركية . حيث استقر به المقام فى أدرنة التى نفى منها إلى عكا ، كما نفى أخوه يحيى صبح أزل إلى جزيرة قبرص بسبب ما وقع بينهم من صراع على زعامة الطائفة ، وعاش البهاء فى عكا يدعو لنفسه وينشر دينه الجديد الذى ادعى أنه ناسخ لدين البابية السابق ولم تنقطع صلته بأتباعه فى إيران الذين تزايدت أعدادهم يوماً بعد يوم حتى بلغوا مئات الألوف .

ولم يترك البهاء عكا إلى آخر حياته وكانت وفاته فى الثانى من ذى القعدة عام تسعة وثلاثمائة وألف للهجرة ، الموافق ٢٨ مايو عام ١٨٩٢ م ، وذلك فى ضيعة من ضواحى مدينة عكا ودفن فى مقبرة خاصة تحوطها حديقة فيحاء .

وانقسم أتباع بهاء الله بعد موته إثر التنازع الذى قام بين ولديه عباس المسمى بعبد البهاء . ومحمد على ، على الزعامة فى الطائفة فمال بعضهم — وهم المحافظون على شريعة الأقدس وتعاليم البهاء — إلى محمد على وألفوا كتباً بالفارسية والعربية طبعوها فى الهند طعناً فى عباس واتهاماً له بالمروق من دين البهاء .

وأما عبد البهاء فقد امتاز بالتصرف فى المذهب فدعا إلى اعتبار الكتاب المقدس ، كلا جزءيه العهد القديم والعهد الجديد مصدر توجيه بجانب القرآن ، ودعا إلى تأسيس ما يسمى طائفة إنسانية عالمية تدعو إلى التسامح بين الأديان الثلاثة ووجدت أتباعاً لها فى أوربا وشمال أمريكا ، وأقيمت مراكز للطائفة فى فرنسا وانجلترا وألمانيا ، كسبت هذه الدعوة أصواتاً كثيرة فى المجتمع الغربى ، وانضم إليها شخصيات بارزة آمنوا بمبادئها وبذلوا الكثير فى سبيل المحافظة عليها ، وأكبر دليل على تأثيرها فى المجتمع الغربى مافعله مستر برين كان وكيل وزارة فى الولايات المتحدة ، آمن بمذهب البهائية ، وزار قبر بهاء الله فى عكا أكثر من مرة — ترك منصبه الكبير أثناء الحرب لأنه اعتقد أن سياسة ويلسون لا تتمشى مع المبادىء الأساسية للطائفة[1] .

---

(١) انظر الإسلام قوة الغد العالمية ص ١٣٥ ، ١٣٦ .

البهاء يدعى النبوة :

لقد كان المتوقع بعد أن آلت زعامة البابية بعد ميرزا على محمد الشيرازى - على نحو ما مر لك توضيحه - أن يمضى البهاء فى طريق أستاذه ، وأن ينفذ تعاليمه ، وأن يكون أميناً على تطبيق شريعته ، والمحافظة على كتابه المقدس (البيان) لا سيما إذا كان إيمانه يقينياً بنبوة أستاذه ، ورسالته ، وكتابه .

فإن الالتزام حينئذ هو الصدى الوحيد لصوت الإيمان الحقيقى الذى لا يخمد ، والنتيجة الحتمية لذلك هى اليقين الذى لا تجد النفس معه سبيلا إلى مخالفة العقل ، ولا يجد الضمير معه حيلة التنصل أو التفريط .

ولكن ما فاجأ البهاء به أتباعه وغيرهم قد خالف كل التوقعات ، فقد أعلن أنه نبى مرسل كسلفه وأستاذه الباب .

فقال صراحة مخاطبا جميع البابية يدعوهم إلى نبوته الجديدة وشريعته وكتابه الجديدين :

« ياملأ البيان ... قد بعثنى الله وأرسلنى إليكم بآيات بينات وأصدق مابين أيديكم من كتب الله وصحائفه وما نزل فى البيان وقد شهد لنفسى ربكم العزيز المنان »

ونحن نرى أنه لم يقتصر على توجيه دعوته إلى أهل البيان الخانع ماهم عليه من اتباع الباب ووجوب اتباعه واتباع دينه هو بل أنه قد نبههم إلى أن وحيه وآياته التى ضمنها كتابه الجديد وهو ماسماه (بالأقدس) إنما هو أصدق مانزل على جموع من سبقه من الأنبياء والمرسلين بما فى ذلك كتاب البيان المنزل على الباب ، ثم يقول — مهدداً ومتوعداً من لم يتبع دعوته —

وذلك فى فقرة من كتابه الأقدسي (أول ما كتب الله على العباد عرفان مشرق وحيه) ومطلع أمره ، الذى كان مقام نفسه فى عالم الأمر والخلق ، من فاز به قد فاز بكل الخير ، والذى منع أنه من أهل الضلال ، ولو يأتى بكل الأعمال ، إذا فزتم بهذا المقام الأسمى والأفق الأعلى ينبغى لكل نفس أن تتبع ما أمر به لدى المقصود ، لأنهما معاً لايتصل أحدهما دون الآخر ، هذا ما حكم به مطلع الإلهام[1] .

والنتيجة التى يمكن أن ننتهى إليها . هى إيمان البهاء اليقينى بأن القضية من أولها خدعة محكمة ، وفرية مدبرة أستغلت لها جميع الظروف الملائمة ولا ريب أن البهاء إذ يباغت أتباعه بأنه النبي الجديد صاحب الرسالة الجديدة التى نسخت رسالة نبيهم السابق وهم ما زالوا يتعبدون على شريعته ، انما يكون على قناعة تامة بكذب أستاذه وتزييفه وبطلان جميع مدعياته .

وأى مانع من أن يواصل هو نفس الخداع ، ويمارس نفس الكذب والتضليل مادام العائد من وراء ذلك هو ظفره بما تشوف إليه نفسه من الزعامة والرياسة ، بل بما تهيئه له الظروف من الزعامة والرياسة فى ذروتها متمثلة فى مرتبة النبوة .

فلم يتورع البهاء من ادعاء هذه المرتبة لنفسه ، ومضى يزعم أنه نبى مرسل من الله ، كما يقضى بذلك قانون الدورات لمراتب الهـــداية التى يضطلع بها الأنبياء والرسل الذين لن تنقطع سلسلتهم ولن يتوقف ظهورهم وهو مايتحقق به اليقين بعدم انقطاع الفيض الإلهى عن الخلق .

---

(١) انظر مفتاح باب الأبواب لمحمد مهدى خان ص ٢٧٧ .

وإذا كان البهاء قد ظهر بدعوته الجديدة ليحقق (المرحلة التالية فى النظام الدورى التعاقبى ، فأعلن بأنه المظهر الأكمل الذى بشر به أستاذه والذى يتيسر بواسطته إبلاغ رسالته إلى مرتبة أعلى من مراتب الـكمال (فإن الباب كان هو السابق الممهد (له) فالبهاء بالنسبة للباب كيوحنا المعمدان بالنسبة لعيسى . (فيما تتصوره الديانة المسيحية) وفى شخص بهاء الله عادت الروح الإلهية للظهور لـكى ينجز على الوجه الأكمل العمل الذى مهد له هذا الداعية الذى بعث قبله . فبهاء الله أعظم من الباب لأن الباب هو القائم والبهاء هو القيوم (أى الذى يظل ويبقى) ولا عجب فقد وصف الباب خليفته فى المستقبل قائلا - إن الذى يجب أن يظهر فى يوم من الأيام لهو أعظم من ذلك الذى سبق ظهوره[1] .

ولا يعدم البهاء حيلة فى تبرير دعواه النبوة على هذا النحو ، إذ أنه لم يتجاوز فى تبريره ذلك المنطق الذى بررها به أسلافه جميعاً من الباطنية ، وغلاة الشيعة ، والشيخية ، وتلميذهم وأستاذه فى نفس الوقت (على محمد الشيرازى الملقب بالباب) فالنبوة فى منطق هؤلاء جميعاً لم ينغلق بابها ، وهى عبارة عن تجلى الحقيقة الإلهية وظهورها فى صور الأنبياء وهى لا تختفى بانتهاء مرحلة من مراحل الهداية حتى تعود إلى الظهور من جديد فى صورة النبى اللاحق صاحب المرحلة التالية ظهوراً أكمل وأقوى منه فى هيكل النبى السابق والمرحلة المنصرمة .

وصور الأنبياء وأجسادهم لا يتنافى اختلافها وتباينها مع اتحاد جوهرهم ووحدة حقيقتهم ، وهى الحقيقة - الإلهية أو الروح الإلهية - كما يحلوا لهم تسميتها - التى تحل فى تلك الأجساد والصور ، كاختلاف مطالع الشمس مع اتحاد جوهرها وكنهها .

فالأنبياء هم مظاهر صفات الله سبحانه ومطالع ذاته والمرآة التي تنعكس عليها محاسن جماله ، فرؤيتهم هي رؤيته ، ومعرفتهم هي معرفته ، ولقاؤهم هو المقصود من لقائه الذي وعد به في قرآنه وسائر كتبه المنزلة لأن القيامة التي هي محل لقاء الناس بربهم كما وعدهم بذلك سبحانه هي قيامهم بأمره وتبليغ رسالته .

يقرر ذلك كله البهاء في أحد كتبه المسمى بالإيقان إذ يذكر منكراً لما ذهب إليه المسلمون من انقطاع سلسلة النبوة بمحمد ﷺ أنه لا يعقل كيف أجاز المسلمون - انقطاع فيض كلي ورحمة منبسطة لا يتصور في عقل عاقل وإدراك مدرك تناهيه ونفاذه[1] .

إن غاية الفيض الإلهي المقدر للعباد هو لقاء الله وعرفانه الذي وعدوا به وبشروا بتحقيق ظله في آيات كثيرة من القرآن . فما هو المراد بلقاء الله يوم القيامة في هذه الآية ؟ إن كل التفسيرات التي تقال في هذا الصدد يشوبها الخلط والإبهام في نظر البهاء .

فعنده أن الله فيضاً مقدساً على الأنبياء والأولياء . وهو مقام أعظم وأرفع الموجودات ، ولا أكبر وأعظم وأفخم وأكرم من النبيين والمرسلين والصديقين والمتقين . ولا شبهة عند أحد في هذا الحكم ولا يرتاب امرؤ في أنهم مظاهر جميع الصفات الأزلية والأسماء الإلهية والمزايا التي تحاكي الأصل محاكاة تامة . وأن كل ما يرجع إليهم فهو في الحقيقة راجع إلى ذلك الفيض الغائب المتجلي وأن معرفة المبدأ الفياض والوصول إليه لا يكون إلا بمعرفة هذه الكينونات المشرقة من شمس الحقيقة والوصول إليها .

---

(١) الإيقان : ص ٢٢٥ .

وعلى هذا فلقاء الله لا يجتنى إلا من شجرة لقاء هذه الأنوار المتلألئة القدسية والأنوار المتألقة المعنوية . وأن المعرفة به سبحانه لا تحصل إلا من حقل العلم بهم .

وأن رؤية وجه الله إنما تحرز من رؤية صفحاتهم . . . وهنا يمكنك أن تفهم حكمة تخصيص لقاء الله بيوم القيامة كيف ، وهذا اللقاء لا يتيسر لأحد إلا في يوم القيامة التي هي عبارة عن قيام نفس الله بقيام مظاهر محليته ظهوره ونوره فلقاء الله الموعود به يوم القيامة هو لقاء مظاهره يوم قيامهم بالأمر تصديقا للخبر (إذا قام القائم قامت القيامة) .

وإذ كانت الغاية من الفيض الإلهي هي لقاؤه بلقاء مظاهره وكان هذا الفيض لا ينقطع ولا ينفذ ، فإن سلسلة المظاهر لا تنقطع[1] .

وإذا كان البهاء قد أخذ ـ على هـذا النحو ـ بنظرية الباب والشيخية وأسلافهم من الباطنية وغلاة الشيعة في تفسير حقيقة النبوة وفتح بابها على مصراعيه ، فإنه يكون قد وقع فيما وقع فيه هؤلاء من ضلالة الحلول المتنافية بكل اعتبار مع عقيدة التنزيه الإلهي المطلق في الذات والصفات والأفعال المرفوضة لدى جمهور المسلمين سلفاً وخلفاً ، إنطلاقاً من القاعدة القرآنية الشمولية في قوله تعالى : « ليس كمثله شيء » ، وغيرها مما يفيد مطلق التنزيه والتقديس لذاته تعالى من أدنى شوائب التجسيم والتشبيه .

والمستقر عند أئمة أهل السنة والجماعة ، هو الحكم بالكفر على من وقع في ضلالة الحلول ، كما كفرت بها النصارى من قبل .

---

(١) عقيدة ختم النبوة ـ دكتور ـ عثمان عبد المنعم عيش ص ١٢٤ ، ١٢٥ .

ولا يزعج البهاء أن يجد أمامه متشكلا فى عقيدة ختم النبوة وانتهائها بنبوة محمد ﷺ وقد ثبتت بصريح النصوص من القرآن والسنة الصحيحة وبإجماع الأمة الحاسم لكل احتمالات التأويل وأى غرابة فى ذلك !!

والبهاء ما زال مسلحاً بمنطقه الذى أثبت به النبوة لنفسه، وما زال محتفظاً بنفس المقدمات التى أسلمته إلى هذه النتيجة، وإذا كان قد توسل بفكرة الحلول (أو حلول الحقيقة الإلهية) فى صور الأنبياء وتوسل كذلك بفكرة النبوة أو اتحاد جوهرها مهما اختلفت صور الأنبياء وأزمنة بعثتهم، فأثبت بذلك نبوته المزعومة فإنه لا يجد بدأ من إضافة مقدمة ثالثة لاثبات استمرار المظاهر الإلهية وعدم انقطاع سلسلة الأنبياء بعد محمد ﷺ دون أن يتعارض ذلك مع عقيدة ختم النبوة الثابتة بمتواتر النصوص.

هذه المقدمة فى القول بالرجعة المتمثلة فى رجعة أرواح الأنبياء السابقين إلى الظهور فى صور وهياكل الأنبياء اللاحقين، وتلك الأرواح هى المعنية بتجلى الحقيقة الإلهية فى صور الجميع وهياكلهم مع وحدتها فى الكل بمعنى أن يكون محمد ﷺ ـ مثلا ـ بعينه عيسى وموسى ونوح بل آدم.

ويعنى ذلك أيضاً أن يكون المظهر الخاتم هو بعينه المظهر الفاتح، وإذا كان الأمر كذلك فأى مانع من وصف كل واحد من الأنبياء بأنه الخاتم إذا صح وصفه بأنه الفاتح ومحمد ﷺ هو القائل: «أنا آدم الأول ونوح وموسى وعيسى».

يستشهد البهاء بهذا الحديث كما يستشهد بقوله ﷺ: «أما النبيون فأنا».

وإذا صح أن يرى محمد ﷺ نفسه الأول فى سلسلة النبوة متمثلا فى آدم عليه السلام استناداً إلى مثل هذين الحديثين من الأحاديث التى تثبت

وحدة الأنبياء بالجوهر ، ورجعة أرواح السابقين منهم إلى أجساد اللاحقين فلا مانع إذاً أن يرى محمداً نفسه خاتم الأنبياء بنفس المعنى الذى رأى نفسه به أولهم دون أن تنتهى به سلسلتهم ، إذ يجوز أن يصدق على كل واحد منهم وصف البدئية والختمية على نفس الأساس ؛ ولأن فى انتهاء النبوة بنبوة محمد انقطاع الفيض الله الذى لا يسوغ فى العقل انقطاعه ، وتتابع الأنبياء دون انقطاع هو مصدر ذلك الفيض الإلهى ومنبع تلك الرحمة القديمة .

وهكذا لا يرى البهاء انقطاعا لسلسلة النبوة بآية الختم وغيرها من النصوص التى يفيد ظاهرها إنسداد باب النبوة بعـــد محمد ﷺ كنتيجة للمقدمات السابقة . وما تمسك المسلمون بآية الختم فى نظر البهاء إلا تقليداً للأمم السابقة وميلا مع الهوى وانتزاعا للسلطان الدينى[1] .

---

(١) انظر مفتاح باب الأبواب لمحمد مهدى خان ص ٢٧٧ ، وانظر عقيدة ختم النبوة لعثمان عبد المنعم عيشة ص ١٢١ .

بطلان ادعاء البهاء للنبوة

وقد يكون من قبيل تحصيل الحاصل أن ينبه هنا إلى بطلان تلك المقدمات التي اعتمد عليها البهاء في تصويره لمعنى ختم النبوة بما لا يتصادم مع ماثبت في نصوص الكتاب والسنة — كما يزعم — على أنه وصف خاص بنبوة محمد ﷺ على ما تبين لنا من كلامه السابق.

فالحلول — كما نوهنا من قبل غير مرة — مفضى إلى الكفر لما يستلزمه من الجسمية وتوابعها من الحيز والجهة والمكان إلى غير ذلك مما تنزة عنه ذات الله المقدسة.

والرجعة الخاصة برجعة أرواح الأنبياء السابقين إلى صور وأجساد الأنبياء اللاحقين مع القول بوحدتهم في الجواهر وإن اختلفت الصور والرسوم هي بعينها ضلالة التناسخ التي قامت عليها عقيدة الهنود الوثنيين، ومن لها نحوهم في البعث والحساب والجزاء، وما يترتب عليها من إنكار الحياة الأخرى التي تقررت في جميع الأديان السماوية.

ولسنا في حاجة إلى القول: بأن ضلالة التناسخ تفتقد الدليل الواقعي فضلا عن العقلي والشرعي.

أما مسلك البهاء في تأويل ختم النبوة كما ثبت في النصوص المتواترة، وانعقد عليه إجماع الأمة جيلا بعد جيل، وأصبح معلوماً من الدين بالضرورة[1]، ليس غريباً عن اتجاه البهائية العام إلى تأويل نصوص

---

(١) اكتفينا هنا بما أوردناه في الرد على الباب عند موقفه المشابه من ختم —

الشريعة الإسلامية بصرفها عن ظواهرها وحملها على معان توافق وتؤيد ضلالها وانحرافها قاصدين من ورائها فيما قصدوا إليه تشويه حقائق الإسلام وتزييف مقاصده وبالتالى محو الشخصية الإسلامية وانتزاع لواء السيادة من يد الأمة الإسلامية لا يدفعهم إلى ذلك كله إلا حقد مرير وحسد قاتل للإسلام والمسلمين . وهو نفس الدور الذى حمل لواءه من قبل الباطنية الماجوس الذين لا يجدون فى الإسلام إلا خصمهم البغيض وقد تسلمه من بعدهم غلاة الشيعة والبابية ، وها هو البهاء يتصدى للقيام به والتفانى فى إنجازه .

ويصور أحد دعاة البهائية وهو أبو الفضل الجرفادقانى فى كتابه المسمى (الدرر البهية) منهج البهائيين المشار إليه فى تأويل نصوص الشريعة الإسلامية ، فيقول عندما أورده من قوله تعالى : (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله) وقوله تعالى : (هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتى تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق) وقال : « ليس المراد من نصوص تأويل القرآن معانيها الظاهرية ومفاهيمها اللغوية ، بل المراد المعانى الخفية التى أطلق عليها الألفاظ على سبيل الاستعارة والتشبيه والكناية » ثم قال بعد هذا : « قرر الله تنزيل تلك الآيات على ألسنة الأنبياء ، وبيان معانيها وكشف الستر عن مقاصدها إلى روح الله حينما ينزل من السماء » وقال : « إنما بعثوا عليهم السلام لسوق الخلق إلى النقطة المقصودة ، واكتفوا منهم بالإيمان الإجمالى حتى يبلغ الكتاب أجله وينتهى سير الأمة إلى رتبة البلوغ فيظهر روح الله الموعود ويكشف لهم الحقائق المكنونة فى اليوم المشهود » وقال :

= النبوة من تقرير الأدلة على ثبوت ختمها بمعنى نهايتها والسداد بابها . وسنعود إلى تفصيل ذلك عند الرد على القاديانية فى المسألة نفسها .

« وفى نفس الكتب السماوية تصريحات بأن تأويل آياتها إلى معانيها الأصلية المقصودة لا تظهر إلا فى اليوم الآخر ، يعنى يوم القيامة ومجىء مظهر أمر الله ، وإشراق آفاق الأرض ببهاء وجه الله ، ثم قال: ولذلك جاءت تفاسير العلماء من لدن نزول التوراة إلى نزول البيان تافهة باردة عقيمة جامدة ، بل مضلة مبعدة محرفة مفسدة »[1] .

وبهذا أتى داعية البهائية أبو الفضل فى هذا النص على تحديد منهجهم فى تأويل نصوص القرآن فى الإطار العام لنظرية البهاء فى النبوة . ونلاحظ ذلك فيما قرره أبو الفضل من أن مهمة الأنبياء السابقين على البهاء دون استثناء هو مجرد تلقى الوحى وآى التنزيل وتبليغها إلى الناس مع الاكتفاء من الخلق بالإيمان الإجمالى فى حدود تلك الإشارات والرموز التى ما كلف الأنبياء والرسل السابقون على ظهور البهاء ولا استطاعوا الكشف عن معانيها الباطنية ؛ لأن ذلك ، منوط بظهور روح الله وبهاء وجهه .. الخ بقصد البهاء) .

ولأن ظهور البهاء هو لقاء الله الموعود به . وبهذا لم يحد البهائية فى منهجهم طبقا لهذا التقرير عما سبق أن أكدناه غير مرة من الخط الذى رسمه الباطنية واتبعه من قبله معلمه وأستاذه الباب .

لا سيما تأكيد هذا الداعية أصلا من أصول نظرية البهاء المقتبسة أيضا من أفكار أسلافه ، ذلك الأصل هو أفضلية المظهر الجديد عن جميع ما سبقه من المظاهر طبقا للنظام المرحلى المتصاعد فى مراتب الهداية مما يؤكد شراسة حملتهم على الإسلام وعنف استهدافهم لسيادة الأمة الإسلامية وضراوة حقدهم على خير الأنبياء والمرسلين ورتبة نبوته الخاتمة لموكب الأنبياء والرسل المتقدمين .

---

(١) انظر القاديانية والبهائية للشيخ محمد الخضر حسين ص ١٠ .

دين البهـــاء الجديد

علمنا مما سبق أن البهاء قد زعم أن الدين الذى جاء به نسخ ما قبله من الأديان دون أن يستثنى منها دين الباب الذى زعم أنه هو أيضاً ناسخ لما قبله على نحو ما مر بيانه وسنشهد أهم ضلالاته وأباطيله التى يزعم أنها أحكام دينه هذا بذلك بما سنعرض له فى هذا المبحث سواء منها ما هو منقول من كتابه الأقدس الذى زعم أنه موحى إليه ومنقول كذلك عن غير الأقدس من كتبه ، أومنقول عن أتباعه من أقوال نسبوها إليه أو استأثروا بها إسهاماً منهم فى توضيح المذهب .

وعلى كل فهذه هى أحكامه وتشريعاته :

١ — البهاء وعقيدة الألوهية :

نسج البهاء على منوال أستاذه البـــاب فى ادعاء الألوهية إيغالا وتطرفاً فى عقيدة الحلول ، وهو فى نفس الوقت ناسج على منوال الباطنية وغلاة الشيعة . وهو ما يسلم إليه قطعاً منطق الأخذ بهذه العقيدة ، وقد أطاعه أتباعه فألهوه استناداً إلى نفس المنطق ، فقد نقل عنه ابنه وخليفته عباس الملقب « عبد البهاء » قوله : « إن مجىء رب الجنود والأب الأزلى ومخلص العالم الذى لا بد منه فى آخر الزمان كما أنذر جميع الأنبياء عبارة عن تجليه فى الهيكل البشرى كما تجلى فى هيكل عيسى الناصرى إلا أن تجليه فى هذه المرة أتم وأكمل وأبهى . فعيسى وغيره من الأنبياء هيأوا الأفئدة والقلوب لاستعداد هذا التجلى الأعظم » .

هكذا إذن يرى البهاء أن الرب يجىء مخلصاً آخر الزمان فى صورة البهاء كما جاء من قبل مخلصاً فى صورة عيسى مع التفاوت بين عيسى والبهاء من حيث مرتبة التجلى الإلهى فى صورتيهما ، فهى أعلى وأعظم مع البهاء منها مع المسيح.

ويظهر هذا من اللوح الذى كتبه المسمى « بهاء الله » فى التنويه بشأن ابنه عباس فإنه قال : « إن لسان القدم[1] يبشر أهل العالم بظهور الاسم الأعظم[2] الذى أخذ عهده بين الأمم أنه نفسى ومطلع ذاتى ومشرق أمرى من توجه إليه فقد توجه إلى وجهى واستضاء من أنوار جمالى واعترف بوحدانيتى واقر بفردانيتى ... الخ »[3] .

ويوضح أحد دعاة البهائية وهو أبو الفضل الجرفادقانى - الذى سبق لنا ذكره - عقيدة البهائية فى حلول صفات الله وأسمائه فى هياكل الأنبياء بصفة عامة وهيكل البهاء بصفة خاصة فيقول :

« نحن معاشر الأمة البهائية نعتقد بأن مظاهر أمر الله ومهابط وحيه هم بالحقيقة مظاهر جميع أسمائه وصفاته ومطالع شموس آياته وبيناته لا تظهر صفة من صفات الله تعالى فى الرتبة الأولية إلا منهم ، ولا يمكن إثبات نعت من النعوت الجلالية والجمالية إلا بهم ، ولا يعقل إرجاع الضمائر والإشارات فى نسبة الأفعال إلى الذات إلا إليهم ؛ لأن الذات الإلهية والحقيقة الربانية غيب فى ذاتها متعالية عن الأوصاف بحقيقتها .

---

(١) يفسره البهائية ببهاء الله .

(٢) يفسرونه بعباس عبد البهاء .

(٣) انظر القديانية والبهائية لمحمد الخضر حسين ص ١٥ .

فلا توصف بوصف ولا تسمى باسم ولا تشار بإشارة ولا تتميز بإرجاع ضمير، لكونها منزع كل هذه المدارك الحسية وهى فوق الإدراك فكل ما توصف به ذات الله ويضاف ويسند إلى الله من العزة والعظمة والقدرة والقوة والعلم والحكمة وغيرها من الأوصاف والنعوت.

يرجع فى الحقيقة إلى مظاهر أمره ومطالع نوره ومهابط وحيه ومواقع ظهوره ... الخ»[1].

ويقول البهاء فيما نقله عنه صاحب المفتاح: «يا ملأ الإنشاء اسمعوا نداء مالك الأسماء إنه يناديكم من شطر سجنه الأعظم، إنه لا إله إلا أنا المقتدر المتكبر المسخر المتعالى العليم الحكيم... الخ»[2]

ويبلغ البهاء على هذا النحو من التطاول والتجاوز فى هذا المنزع ما لم يبلغه فرعون مع قومه إذ قال لهم أنا ربكم الأعلى، ولكنه نهج نهج فرعون حين استخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوماً فاسقين.

إبطال القول بالحلول :

إن المذهب الحق الذى يتفق مع مقام التنزيه المطلق لذاته تعالى هو أنه لا يصح الاعتقاد بحلول ذات الله تعالى، أو صفة من صفاته فى شخص، أو شىء من أشياء الوجود؛ لأنه لو حل سبحانه فى غيره لزم أولا ألا يكون واجباً لذاته على اعتبار أن الحلول هو الحصول بالتبعية والحصول

---

(١) انظر الدرر البهية ص ٥٤، ٥٦.

(٢) المفتاح ص ٤١٩.

بالتبعية ينافى الوجوب بالذات ، ولزم ثانياً احتياجه إلى ما يحل فيه والاحتياج إلى المحل ينافى الغنى بالذات ؛ لأن الغنى بذاته لا يحتاج إلى غيره مطلقاً ، ولزم ثالثاً تركب ذاته سبحانه من أجزاء فيكون محتاجاً إلى هذه الأجزاء بناء على جواز انقسام المحل

والاحتياج ممتنع فى حقه تعالى كما مر ، فضلا عن أن التركب سبيل إلى الانحلال والفساد وهو أشد بطلاناً وامتناعاً فى حقه تعالى ؛ لأنه ينافى وحدته سبحانه من كل وجه .

وأما على افتراض أن المحل الذى يجوز أن تحل فيه ذاته سبحانه لا يقبل الانقسام فإنه يلزم أن تكون ذاته سبحانه جوهراً فرداً وهو أتفه الأشياء ولا يقول بذلك عاقل فضلا من مؤمن ، ولزم رابعاً إمكان حلوله سبحانه فى الكائنات الحقيرة كالبقة والنملة والنواة ، وذلك لتساوى الأجسام كلها ، وتماثلها فى قبول حلوله فى أى واحد منها ، والخصم لا ينازع فى بطلان هذا اللازم .

ولزم خامساً كونه تعالى متحيزاً وفى جهة ، لأن تحيزه يتبع تحيز المحل . ولا يجوز أن يفسر التحيز بالاختصاص الناعت ؛ لأنه ينتقض بصفاته تعالى وهى قائمة بذاته تعالى ولا يقال إنها متحيزة .

وجميع هذه اللوازم باطلة - كما رأيت - فبطل ملزومها الذى هو حلوله فى غيره ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

وإذا أبطل حلول ذاته تعالى فى غيره ، فإنه يبطل حلول صفة من صفاته فى غيره أيضاً .

لأن الحلول يستلزم الانتقال ، والانتقال من خواص الأجسام دون الصفات[1] .

ويذكر صاحب المواقف وشارحه الطوائف التى ذهبت إلى الحلول ويحصرهم فى النصارى الذين قالوا بحلول ذاته تعالى أو صفة من صفاته فى بدن عيسى أو نفسه وغلاة الشيعة من النصيرية والإسحاقية ، الذين قالوا بحلول ذاته تعالى فى أشخاص الكاملين من أئمة عترتهم ، فالمرم بناء على ذلك .

وبعض المتصوفة الذين اضطرب كلامهم بين الحلول والاتحاد ، وعلى كل فقد أبطل جميع احتمالات الحلول والإتحاد ، ويمكننا أن نرى فى هذه الطوائف الضالة مصدراً من مصادر البهائية ومن قبلهم البابية فيما ذهبوا إليه من حلول ذات الله أو صفاته فى شخص البهاء أو الباب . الأمر الذى ترتب عليه ادعاء البهاء أنه الإله ومن قبله إدعى الباب ذلك ، فنطقا بالكفر وأخرجا أتباعهما الذين استجابوا لهما عن ربقة الإسلام .

٢ — البهاء والقول بقدم العالم :

يذهب البهاء إلى القول بقدم العالم فيقول فى كتابه البهاء والعصر الجديد : « علم بهاء الله أن الكون بلا مبدأ زمنى فهو صادر أبدى من العلة الأولى ، وكان الخالق دائما مع خالقه وهو دائما معهم

وقد ذهب الفلاسفة من قبل البهاء هذا المذهب (وقد تصدى أهل العلم الراسخ لتزييف ما تعلق به هؤلاء فى الاستدلال على هذا الرأى ، وحققوا

---

(١) شرح المواقف ص ٤٨ ، ٤٩ بتصرف .

أن المعلول لابد أن يتأخر عن العلة فى الوجود ، إذ معنى العلة ما أفاض على الشىء الوجود ، والمعلول ما قبل منه هذا الوجود ، ولا معنى لإفاضة الوجود على الممكن الا إخراجه إلى الوجود بعد أن كان فى عدم ؛ وذلك معنى الحدوث)[1] .

وقضية حدوث العالم أى وجوده بعد عدم من القضايا التى تستند فى إثباتها إلى نصوص القرآن والسنة الواردة فى خلق الله للعالم علويه وسفليه والمبينة لكيفية هذا الخلق..

فهذه القضية إذاً نتيجة حتمية يؤدى إليها منطق الخلق الإلهى للعالم من العدم ، وقد اعتمد عليه المتكلمون على اختلافهم كمقدمة عقلية لإثبات وجود المحدث .

ولم يجد المتكلمون كبير عناء فى الاستدلال على حدوث العالم بتغير جواهره وأعراضه سواء من جهة تغيرها بالفعل أو بالقوة وجعلوها مقدمة ـ كما قلنا ـ لإثبات وجود الخالق سواء كانت علة احتياج العالم إلى الموجد هى حدوثه أو إمكانه فالحادث مفتقر إلى المحدث لا محالة والممكن مفتقر إلى من يرجح وجوده على عدمه إذ قابليته للوجود والعدم على السوا .

أما قضية قدم العالم مهما تكلف الفلاسفة فى تصوير كيفية وجوده على نحو ما سبقت الإشارة إليه بعيدة عن منطق النقل والعقل ، والكلام

---

(١) انظر القديانية والبهائية لمحمد الخضر حسين ص ٢٥ .

فى هذا مبسوط فى كتب المتكلمين نكتفى هنا بهذه الإشارة لمقتضيات الإيجاز فى مثل هذا البحث .

٣ - البهاء وإنكاره للمعجزات :

تقع البهائية هنا فى تناقض بين ادعائها للنبوة وما هو فوق النبوة وبين إنكارها للمعجزات مع أن إجماع الأمة الإسلامية معقدا على وقوع المعجزات للأنبياء والعقل قاض بإمكانها ، ولكن البهائية يبنون إنكارهم لها على أنها غير معقولة ، والمقرر لدى علماء الإسلام سلفاً وخلفاً على أن المعجزة وهو من خوارق العادات لا من فوارق العقليات هى أمر يظهره الله على يد مدعى النبوة مقروناً بالتحدى مع إمكان المعارضة ، ولن نمضى فى بيان هذا التعريف فليس هذا مجاله ولكننا نقول : إن الهدف من ظهور المعجزات على أيدى الأنبياء هو تأييد الله لمن اختارهم لتبليغ دينه ورسالته ، وذلك بإلجام خصومه وإقناعهم ، فهى بمثابة الدليل على صدق دعوى النبوة .

وذلك فى مواجهة أساليب التحدى والعناد ، وقد أخبرنا القرآن بجملة من معجزات الأنبياء ، كما دلت عليها ظواهر النصوص وإلا لفقدت مقاصدها وغايتها .

ولم تكن حينئذ من قبيل الأدلة على صدق دعوى النبوة ، ما لم تكن مخالفة لسنن الطبيعة وقوانينها ، وكأن القرآن كبرى معجزات النبى ﷺ تحدى به بلغاء العرب وفصحائهم ، وقد كانوا مطبوعين على البلاغة والفصاحة وقد نزل بلغتهم وبكلام من جنس حروف كلامهم .

وأخبرتنا الأحاديث المتواترة بعديد من معجزاته ﷺ التى جرت

على يديه فى أوقاتها كمعجزات الإسراء والمعراج ، وانشقاق القمر ، ونبع الماء من بين أصابعه ، وأنين الجزع وتسبيح الحصى فى كفه ، ورد عين قتادة ، إلى غير ذلك مما ثبت بالتواتر المعنوى وحيث لا ينكره إلا جاحد ضال . والمنكر للمعجزات كالبهائية ومن نحى نحوهم منازع فى تمام قدرة الخالق وشمول إرادته وإلا فهى ليست من محالات العقول كما يدعى هؤلاء ، ولهذا لجأوا إلى تأويل تلك النصوص التى أخبرت بوقوع المعجزات فى القرآن والسنة جرياً على نفس منهجهم فى التأويل من صرف النصوص عن معانيها الظاهرة إلى معان أخرى تستلزم عدم وقوع المعجزات بالمعنى المستقر عند الأمة الإسلامية . يقرر ذلك أبو الفضل الجرفادقانى فى أحد كتبه ونحن نورد كلامه فى هذا على طوله لنثبت به دعوانا التى هى إنكارهم للمعجزات يقول أبو الفضل الجرفادقانى : ترى كثيراً من أهل العلم حملوا العبارات الواردة فى الإخبار عن المعجزات على ظواهرها فاعتقدوا أن العصا تحولت فى الظاهر حقيقة بالحية والأموات بالأحياء وجرت المياه فى الحقيقة من أصابع سيد الأنبياء ، إلى غيرها من عجائب الأمور وخوارق المقدور .

وكثير من (أهل الفضل وفرسان مضمار العلم) اعتقدوا أن جميع ما ورد فى الكتب والأخبار من هذا القبيل كلها استعارات عن الأمور المعقولة والحقائق الممكنة مما يجوزه العقل المستقيم (ولا يمجه الذوق السليم) ففسروا العصا بأمر الله وحكمه ، فإن موسى عليه السلام بهذه العصا غلب على فرعون وجنوده ، ومحا حبائل عتوه وجحوده ، وبهذه العصا (يعنى أمر الله وحكمه) ضرب الأسباط الإثنى عشر فلانت قلوبهم القاسية ، وانشرحت صدورهم الضيقة ، وتنورت أفئدتهم المظلمة فانفجرت منها عيون العلم والحكمة وانبجست منها ينابيع الفضل والرحمة فصاروا ملوكاً حكاماً

وأئمة أعلاما بعد ما كانوا رعاة جولة وعبيداً رذلة، يسومهم الفراعنة سوء العذاب .

فكان بنو إسرائيل فى طى هذه البأساء وتحمل هذه الضراء كالأحجار التى لا حراك بها، والأموات التى لا حياة لها — إلى أن يقول فلما ظهر موسى عليه السلام، وأعطاه الله الحكم والنبوة وأمره بتخليص بنى إسرائيل من ذل الأسر والعبودية فظهر من هذا الأمر المعبر عنه بالعصا وعن الرسالة المعبر عنها باليد البيضاء أثران باهران لا ينكرهما خبير ولا يجهلهما بصير فإنه محا أولا كيد فرعون ومكره، وجبر ثانيا حال الشعب وكسره وخلص القوم من ذل الأسر وأجلسهم على منصة الملك فجرى من تلك القلوب القاسية كالأحجار الصلدة عيون المعارف والعلم والحكمة فعلم كل إناس مشربهم وعرف كل سبط من الأسباط فى مدة ألف وخمسمائة عام مسلكهم ومذهبهم .

ويقول فى تفسيره لمعجزات عيسى عليه السلام : حتى انتهت دورتهم وانقضت مدتهم (يعنى الأسباط الإثنى عشر) وتفرقت كلمتهم فقست وماتت قلوبهم وبرصت بالذل جباههم وجنوبهم فأحيا الله تعالى بأنفاس عيسى عليه السلام بعضاً من تلك النفوس الميتة وبرأ بيده الكريمة جملة من الجباه المبروصة .

ويقول فى معجمات سيدنا محمد ﷺ : وثم قام الرسول الكريم على إنشاء الديانة الإسلامية وأجرى الله تعالى من أصابعه المباركة ينابيع الحكمة والعلم [1] وفى هذا النص ما لا يدلنا فقط على إنكارهم للمعجزات بحجة عدم

---

(١) الدرر البهية للجرفادقانى ص ٤٨، ٥٤ .

معقوليتها ومن ثم يوجبون تأويلها إلى معانى معقولة وإنما فيه كذلك ما يكشف عن غرضهم الحقيقى وغايتهم الوحيدة هذا الغرض وتلك الغاية يتمثلان فى إنكارهم للقران بل لحقائق الإسلام وأحكامه وإن تحرجوا أو خافوا التصريح بذلك خداعا للأمة الإسلامية وتلبيساً عليها ، فاتخذوا التأويل الفاسد ذريعة مقنعة إلى تحقيق هذا الهدف ، مرة لتحقيق مدعياتهم وأخرى لنفى ما لا يتلائم مع طبيعة هذه المدعيات ، فقولهم لإمكان المعجزات ووقوعها كما أخبر به القرآن وغيره من الكتب المنزلة يتصادم مع مفترياتهم وفى مقدمتها إدعائهم للنبوة بل الألوهية .

فكان إنكارهم للمعجزات سبيلا إلى إمكان صرف الأتباع عن منافذ الشك ومظان الريبة فى مدعياتهم ، وما ذلك إلا لإيمانهم بأنهم كاذبون خادعون فى كل ما أقدموا عليه شكلا وموضوعاً فى هذا الباب

وقد يكون من قبيل الدليل على هذا المنهج الهدام فى تأويل القرآن أن ننوه هنا بموقفهم من قصص الذكر الحكيم ، فقد صرحوا بأن ما فى القرآن من قصص ، ما هى إلا رموز ، وإشارات لحقائق غير واقعية ، ولا يجوز للمؤرخ أن يعول عليها فى معارفه التاريخية وأن الأنبياء عليهم السلام تساهلوا مع الأمم فى معارفهم التاريخية وأقاصيصهم القومية ومبادئهم العلمية فتكلموا بما عندهم ، وستروا الحقائق تحت أستار الإشارات وسدلوا عليها سليها ستائر بليغ الاستعارات . قال هذا الكلام أبو الفضل فى كتابه المسمى الدرر البهية .

ودعوى أن فى القرآن قصصاً غير واقعية نزعم أنها رمز إلى معان خفية ، ليس لها من داع سوى ما يضمره أصحابها من الكيد للقرآن الكريم وإدخال الريب فى أنه تنزيل من لدن عليم .

ولم يقم حتى الآن دليل تاريخي أو نظري يطعن في صحة قصة ساقها القرآن الحكيم : ونحن نستند في صحتها إلى الآيات على أن المبعوث به لا ينطق عن الهوى ، فالمؤرخ المسلم ومعلم التاريخ لأبناء المسلمين يستمد في معارفه التاريخية من آيات الذكر الحكيم ، وهو عندنا أصدق قيلا وأقوى سندا مما يقصه المؤرخ من حوادث تقع في عصره أو قريبا منه ، وهذه الثقة بالطبيعة لا تحصل لمن ينكر أو يرتاب في أن القرآن حجة الله على العالمين ، فلا نطالب المجوسي أو البهائي بأن يدخلوا في مؤلفاتهم التاريخية ما جاء في القرآن من أنباء الأولين وهم لم يطمئنوا إلى أن محمداً ﷺ رسول صادق أمين (١).

٤ - البهائية ينكرون البعث وحقائق القيامة :

يستمر البهائية هنا أيضاً بمنهجهم في تأويل القرآن ، فينكرون البعث والحساب والجزاء والجنة والنار ، ويؤولون ما ورد من آي القرآن في الإخبار بهذه الحقائق إلى معان غير معانيها اللغوية فيخالفون بذلك ما أجمع عليه المسلمون سلفاً وخلفاً من أن هذه الحقائق يجب الإيمان بها كما وردت في القرآن والسنة دون تأويل أو صرف لنصوصها عن معانيها الوضعية وقضوا بالكفر على من أنكرها إنكاراً مطلقاً ، وبالفسق والضلال على من ذهب فيها مذهب البهائية في التأويل كفلاسفة المسلمين ومن نحا نحوهم من المتكلمين ، بيد أن هؤلاء أصحاب شبهة دفعتهم إلى هذا المسلك ، أما البهائية والبابية وأسلافهم من الباطنية الذين انكشفت نواياهم تجاه الإسلام وتبينت مقاصدهم نحو المسلمين ، فإنه لا يتصور أن تكون لهم شبهة في ذلك

---

(١) انظر القديانية والبهائية لمحمد الخضر حسين ص ١١ ، ١٢ .

لأن هذا هو دأبهم فى كل حقائق الإسلام كما حاولنا توضيحه فيما سبق انا عرضه من نماذج فى بابه مما يؤكد إصرارهم فى مثل هذا المسلك على مسخ معالم الإسلام والتمكن من تصديع جداره ، وها نحن أولاء نراهم يفسرون يوم القيامة بيوم مجىء البهاء وظهورها بأمره .

وهو متكرر مع مجىء كل مظهر وبعثة كل نبى ، إلا أن مجىء البهاء هو يوم القيامة الأعظم لأن ظهوره هو الظهور الأعظم .

قال البهاء فى كتابه بهاء الله والعصر الجديد : « وطبقاً للتفاسير البهائية يكون مجىء كل مظهر إلهى عبارة عن يوم الجزاء إلا أن مجىء المظهر الأعظم بهاء الله هو يوم الجزاء الأعظم للدورة الدنيوية التى نعيش فيها » وقال أيضاً : « ليس يوم القيامة أحد الأيام العادية بل هو يوم يبتدىء بظهور المظهر ويبقى ببقاء الدورة العالمية » .

هذا ما يفسرون به يوم الجزاء ويوم القيامة ، ويفسرون الجنة بالحياة الروحانية والنار بالموت الروحانى .

قال فى هذا الكتاب : « إن الجنة والنار فى الكتب المقدسة حقائق مرموزة ، فعندهما (أى البهاء وابنه عباس) الجنة هى حالة الكمال والنار حالة النقص ، فالجنة هى الحياة الروحانية والنار هى الموت الروحانى ، والواقع أن البهائية ومن قبلهم البابية وأجدادهم الباطنية يتفقون جميعاً مع الدهريين الذين أخبر عنهم القرآن والماديين على شتى أصنافهم فى العصر الحديث من حيث إنكارهم لحياة أخرى وراء هذه الحياة يبعث الناس إليها من قبورهم بعد حياة برزخية طويلة ليمتثل الجميع فى ساحة العدل الإلهى لمواجهة الحساب على أعمالهم فى الحياة الأولى حتى ينال كل جزاءه على نوع عمله وعلى قدره ، فإما إلى الجنة وإما إلى النار .

والحكمة التى لا تخفى على عاقل فضلا عن مؤمن بالله . هى أن الحياة الآخرى والبعث والحساب والجزاء ضرورة حتمية لأكثر من مغزى ولعديد من الأسباب ، ولو لم يكن لها من مغزى أو سبب إلا تحقق عدل الله يوم القيامة بالقصاص من الظالم والانتصاف للمظلوم لكفى . فإن الحياة على طولها لا تفى غالباً بوضع هذا الأمر فى نصابه فينقضى عمر الظالم دون أن يقتص منه ، ويموت المظلوم دون أن ينتصف له فضلا عن إمكان الإفلات من طائلة القوانين ورقابة السلطات بالتحايل والخداع ، والإيمان بحياة أخرى وراء هذه الحياة القصيرة إذا قيست بأعمار الناس و مدة إقامتهم فيها ، يقوى فى الإنسان الشعور بأهمية دوره وقيمة رسالته فى هذه الحياة ويملأه يقيناً بحكمة وجوده فيها . يبعثه على هذا الشعور والإيمان أن حياته على قصرها وضآلة ما أعطاه لها وما أخذه منها إذا قيس بعمر الزمن سوف تنتهى إلى عدم محض ومصيره لا يفترق عن مصير الحيوانات الأخرى ، ومن ثم تصبح الحياة مجرد قصة هزلية أو ضرب من ضروب العبث ، وقد أشار القرآن إلى هذه القضية فى قوله تعالى (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون)[1] .

ولكن الجحود والنزعات المادية الغليظة تحجب عن عقول المنكرين للحياة الآخرى وحقائقها ، جلال هذه الحقائق وسمو تلك الحكم ، فلم تتصور عقولهم إمكان البعث الجسمانى وقيام الناس بأجسادهم من حياتهم البرزخية بعد ما تلاشت هذه الأجساد بين ذرات التراب ونفايات الأرض أزمنة متطاولة ، فسهل عليهم إنكار ما بعد ذلك من حقائق اليوم الآخر .

وقد وقف البابية والبهائية فى مصاف هؤلاء الملاحدة وأنكروا ما أنكروه من هذه الحقائق وافتروا على القرآن بأنه لا يخبر بها ولا يدل عليها والقرآن

---

(١) سورة المؤمنون آية ١١٥ .

حين يقرر إمكان البعث الجسماني يخاطب العقول التي لا مناص لها من الحكم بالتسوية بين بدء الخلق من العدم وإعادته من العدم وأهونية الإعادة لا لمجرد مساواتها للبدء. قال تعالى : (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه)[١] .

ويقدم القرآن الدليل على إمكان البعث ووقوعه للمترددين فيه فضلا عن المنكرين له متمثلا هذا الدليل في كيفية خلقهم وأطوار هذا الخلق وما فيها من غرابة وعليهم أن يقيسوا ويقارنوا ويستنتجوا ولكن القرآن لا يضن عليهم بتوضيح النتيجة وذلك من خلال قوله تعالى (يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام مانشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ◦ ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير ◦ وأن الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من في القبور)[٢] .

ثم يواجه القرآن الكريم الذين ينكرون البعث الجسماني ولا يتصورون إمكانه فضلا عن وقوعه بناء على إنكار القدرة على جمع رفاة الأجسام بعد ما بليت واختلطت بعناصر الأرض ورمالها فيقول تعالى (وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم ◦ قل يحييها الذي أنشأها أول

---

(١) سورة الروم آية ٢٧ .
(٢) سورة الحج آية ٥ : ٧ .

مرة وهو بكل خلق عليم ، الذى جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون ، أو ليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم)[1] .

ولا تخلو أكثر سور القرآن من آيات تحج الملاحدة وتفى الكفار فى إنكارهم البعث إذ أن الإيمان بالبعث وبحقائق القيامة جزء لا يتجزء من حقيقة الإيمان ، وهى من العقائد الأساسية الخمس التى يكفر منكرها ، ولكن الماديين الذين لايعترفون بوجود الخالق لا يستغرب منهم إنكار الحياة الآخرى وحقائقها فى صراحة ومجاهرة والأمر مختلف بالنسبة للبهائية أحفاد الباطنية الذين تذرعوا بالقرآن يلتمسون فيه الحجة المفضية إلى موقفهم هذا من إنكار البعث والحساب والجزاء والجنة والنار ومنهجهم غير خاف على المسلمين ، وأعنى بهذا المنهج هو عدم المجاهرة بعداوة الإسلام وخصومة القرآن حتى يتمكنوا من ضربهما من الداخل ولكن الله غير غافل عن مكرهم وكيدهم والمسلمون وراءهم بالمرصاد .

٥ - تشريعات خاصة بالعبادات :

وقد غير البهاء فى شريعته المزعومة كثيراً من الأحكام التى تتعلق بالصلاة والصيام والحج ، كما تقتضيه قضية النسخ لما قبله من أحكام الشرائع السابقة .

(ا) فأما بالنسبة لما يختص بالصلاة من أحكام فقد خالف فيها أحكام البابية كما خالف فيها أحكام الدين الإسلامى إذ جعلها تسع ركعات لثلاث أوقات فى اليوم والليلة وحرم فيها صلاة الجماعة واكتفى بتكليف أتباعه

---

(١) سورة يس آية ٧٨ : ٨١ .

بالصلاة فرادى ، وجعل قبلتهم المكان الذى يقيم هو فيه فهى تتغير كلما تغير مكان إقامته ولكنه ترك شكلا من أشكال الجماعة فى الصلاة أوجبه على أتباعه وخص ذلك بالصلاة على الميت فهذا هو البهاء يقول فيما يتعلق بعدد ركعات الصلاة من كتابه الأقدس : « قد كتب عليكم الصلاة تسع ركعات لله منزل الآيات من الزوال وفى البكور والآصال ... الخ » .

وفى تحديد القبلة يقول : « إذا أردتم الصلاة فولوا وجوهكم شطرى الأقدس المقام المقدس الذى جعله الله مطاف الملأ الأعلى » .

ويقول ابنه عباس « يلزمنا التوجه إلى مركز معلوم وهو مظهر الله » .

ويقول فى نسخ صلاة الجماعة إلا على الميت « كتب عليكم الصلاة فرادى قد رفع حكم الجماعة إلا فى صلاة الميت إنه لهو الآمر الحكيم » .

وقد أبقى البهاء على الوضوء والغسل لكنه استعاض عنهما فى عدم وجود الماء بذكر اسم الله الأطهر خمس مرات فيقول : « من لم يجد الماء يذكر خمس مرات (بإسم الله الأطهر) ثم يشرع فى العمل هذا ما حكم به مولى العالمين » .

قال جولد تسيهر « ترى البهائية أن الشريعة الإسلامية قد انقضى عهدها انقضاءً تاماً وبطل مفعول أحكامها ، وأحلت مكانها أوضاعاً جديدة للصلوات والعبادات ؛ فنسخت صلاة الجماعة بمراسمها الخاصة وأمرت الناس بالصلاة فرادى ، ولم تحتفظ بصلاة الجماعة إلا فى الصلاة على الموتى ، وغيرت القبلة عن مكة وجعلتها نحو المكان الذى يقيم فيه ذلك الذى جعله الله مظهراً من مظاهره فإذا ما غير هذا اتجاهه تحركت معه القبلة حتى يستقر ، ونبذت البهائية الطهارة الجسمانية كالوضوء والغسل ، وحضت عليها كأمور

تعبدية ؛ لكنها حذرت غشيان الحمامات الفارسية التى تعدها البهائية من النجاسات »[١] .

(ب) ويمضى البهاء فى اتجاه التخفف من أعباء التكاليف الشرعية فيخفض المدة الزمنية للصوم فيجعلها تسعة عشر يوماً ويختار لتوقيتها الاعتدال الربيعى من كل عام ويجب أن تتقدمها فترة إباحة وتمتع مطلق بملاذ الحياة بمقدار خمسة أيام .

وفى اختيار البهاء لهذه المدة وتوقيتها للصيام يوافق شريعة الباب كما يوافقه فى تقسيم السنة إلى تسعة عشر شهراً والشهر إلى تسعة عشر يوماً .. إلخ .

(ج) أما عن الحج فقد ألغى فريضته وأبطل مناسكه الإسلامية وأوصى بهدم البيت الحرام عند ظهور رجل مقتدر من أشياعه . وأوجب الحج فى شريعته إلى مدفنه بعكا ، وأسقط هذا الواجب عن النساء .

هذه صورة لما قام به البهاء من عبث بنظام العبادات الذى جاء به الإسلام ، ومن غير المجدى أن تتجه المناقشة مع البهاء فى التغيير الجديد الذى أحدثه فى شكل العبادات ، مادامت القضية الأساسية هى ثبوت نبوته أو عدم ثبوتها ، وقد ظهر لنا بطلان دعواها لما بنيت عليه من مقدمات باطلة كالقول بالحلول ، والرجعة ، ووحدة الأنبياء ، الذين هم فى الحقيقة شخص إلهى واحد يظهر ويختفى ليعود دون توقف أو نهاية لهذه الدورة فى الظهور .

---

(١) انظر العقيدة والشريعة ص ٢٧٧ .

وبعد هذا لا يعنينا ما الذى يأتى به من تغيير كمى أو كيفى فى أنماط العبادات أو أشكال التشريعات الاجتماعية والأخلاقية . ومع ذلك فإننا نرى ضرورة الإشارة إلى نماذج من هذه التشريعات ليتسنى لنا الوقوف على حقيقة دعوى البهائية جدارة شريعتهم لمهمة التوجيه والإصلاح فى النظام الاجتماعى والخلقى وتفوقها فى ذلك المضمار على غيرها من الشرائع ، ولنتبين حدود تلك الإضافة التى قدمتها تلك الشريعة إلى ما قدمه الإسلام الذى باتت تشريعاته فيما تزعم البهائية غير ملائمة لظروف الحياة فى المرحلة الجديدة .

٦ ولما اتجه البهاء بأحكامه وتشريعاته الإصلاحية إلى نظام الأسرة والعلاقات التى تربط بين عناصرها . حدد تعدد الزوجات بحيث لا يتجاوز اثنتين بحال وإن كانت القاعدة هى التزوج من واحدة . وأوجب على الأسرة تربية الأولاد ومنع ترك هذه المهمة لقيام الدولة بها . وأباح الطلاق فى حدود الضرورات الاجتماعية والبشرية ، وأجاز التزوج من المطلقة وحرم الأمهات والأخوات ونساء الأب .

وأحدث نظاماً جديداً فى المواريث إذ قسمها بحسب حروف الجمل ، وهو أثر من الآثار الباقية فى شريعة البهاء من شريعة البابية ، أعنى بذلك التحايل بالحروف ، والقصد إلى مالها من أعداد ، وهى اللعبة التى تحلو وتطيب لأستاذه الباب ، ولذلك رأينا البهاء يقول فى تقسيم المواريث : قد قسمنا المواريث على عدد الزاء .. وللأزواج من كتاب الحاء على عدد التاء . إلخ .

٧ – أما فى جانب العقوبات والحدود فقد أبقى البهاء على القصاص فى حد القتل ، وغير من حد السرقة ، فجعل عقوبة السارق النفى أو الحبس ، كما غير حد الزنا فجعل عقوبة الزانى غرامة مالية ، والذى يتعمد إحراق البيوت عقوبته الإحراق بالنار .

٨ — كما أبقى البهاء على أحكام اللباس فى الإسلام وأباح استعمال أدوات الذهب والفضة، كما أباح الاستماع إلى الغناء والموسيقى. وقد أودع أحكام شريعته هذه (التى عرضنا طرفاً يسيراً منها على سبيل المثال) كتابه الأقدس وهو ما ادعى أنه وحى الله إليه[١].

فإذا ماخطونا خطوة أخرى إلى تشريعاته السياسية رأيناله موقفاً مضاداً لمفهوم الحرية إذ يقول: (إنا نرى كثيراً من الناس يتوقون للحرية ويمجدونها، ولكنهم فى ضلال مبين إذ الحرية تجر فى ذيولها الفوضى التى لا يخبو ما تحدثه من نيران الفتن والاضطرابات. واعلم أن الحرية بدأ ظهورها فى عالم الحيوان ولكن الإنسان يجب أن يخضع للقوانين التى تقيه شر همجيته وشر الأضرار والمفاسد التى يرتكبها الخونة والمجرمون. وفى الحق أن الحرية تقصى الإنسان عن مقتضيات الأخلاق والآداب)[٢].

وموقف البهاء هذا من الحرية لم يرق المجتمع الغربى مما جعل (جولد تسيهر) يرميه بالرجعية بالرغم من تزلف البهاء للشعوب الغربية فى كثير من تشريعاته وأحكام دينه ظناً منه بأن ذلك سبيل إلى إكساب دينه صفة عالمية.

ومن هذه التشريعات دعوة البهاء إلى تأسيس الحكومات الشورية الدستورية، وإنشاء الحكومة العالمية، ونزع السلاح، وتحويل المال الذى يصرف فيه إلى مصالح الناس. وتوكيد الأخوة العالمية، وإزالة الحدود

---

(١) مهدى خان: مفتاح باب الأبواب من ص ٣٨٨ إلى ص ٤٠٦، من ص ٤١٣ إلى ص ٤٢٥.

(٢) العقيدة والشريعة فى الإسلام ص ٢٧٧.

الوطنية ، واحترام جميع الأديان ، والمساواة بين الرجل والمرأة[١] كما حظر الرق حظراً باتاً ودعا إلى المساواة بين أفراد الجنس البشرى ، وجعل من هذه المساواة لب تعاليمها .

تعقيب

وماذا بعد : ؟ .

لم يبق بعد إلا أن نتساءل : هل أضاف البهاء بنسقه التشريعى الذى أشرنا إلى بعض أحكامه فى مختلف المجالات مقومات جوهرية إلى النظام التشريعى الملائم لتوجيه الدورة الجديدة التى جعل نفسه المظهر المضطلع بالمسئولية عنها ؟

وهل دفع بالوحى الإلهى إلى درجة أعلى من درجات الكمال كما يزعم ؟

وهل أصبحت تشريعات الإسلام حقاً غير ذات أثر أمام ما جد من الأحداث والوقائع وبات الإسلام قاصراً بدوره التوجيهى والإصلاحى عن درجة الكفاية ومستوى الجدارة ؟ وليس من العسير أن يحصل المرء على الإجابة الواضحة عن كل تساؤل من هذه التساؤلات .

١ — مما أتى به البهاء من أحكام وتشريعات علاجية أو اجتماعية أم خلقية أو سياسية يجب رفضها قولا واحداً وللوهلة الأولى وقبل النظر فى

---

(١) أبو الفضائل من البرهان اللامع ومقالة فى البهائية مترجمة عن الروسية تحت هذا العنوان وهما من منشورات الجمعية العلمية البهائية بمصر . نقلا من عقيدة ختم النبوة ص ٣٢ ، ٣٣ للدكتور عثمان عيسى .

قيمتها التوجيهية والإصلاحية مادمنا قد انتهينا إلى بطلان وفساد نبوته المدعاة بناء على منطقه الفاسد الذى حاول إثباتها به وهو منطق القول بحلول الإله أو صفاته فى مظاهر الذات الإلهية كما يدعوها ويقصد بها الأنبياء وهو بلا ريب منهم أو على رأسهم .

والقول بوحدة الأنبياء بالجوهر والخصائص دون تأثير الأشكال والهيا كل .

والقول أخيراً برجعة الأنبياء الذين هم شخص واحد بنفس واحدة على الحقيقة تظهر وتختفى لتظهر المرة تلو المرة طبقاً لما تقتضيه دواعى الهداية ومراتب الفيض الإلهى ، ولسنا فى حاجة إلى إعادة مناقشة هذا المنطق الذى هدمناه من قبل .

وقبل ذلك وبعده تكذيب البهاء لحقائق القرآن والسنة المحمدية التى قطعت بنصوصها سلسلة النبوة بنبوة محمد ﷺ وأغلقت بابها إلى يوم القيامة

هذا مافهمه المسلمون من نصوص القرآن والسنة الصريحة فى تثبيت ذلك وترسيخه فى القلوب والعقول . وهو ما أجمعوا عليه جيلا بعد جيل ، فأصبح كل من يخرج عن هذا الإجماع إنما ينكر أمراً معلوماً من الدين بالضرورة ، وبذلك ينسلخ عن الإسلام .

والبهاء لا يكترث بقضية انسلاخه عن الإسلام لأنه يعلنها مبدئياً إذ يعلن نسخ شريعته للإسلام وإبطالها لسائر أحكامه وتشريعاته .

وليس فى وسع المرء أن يعتبر البهاء فى عداد المجددين والمصلحين فى إطار الأحكام الإسلامية ربطاً لها بما يجد من أحداث أو ظروف وغير ذلك من دواعى الاجتهاد والتجديد ، لأنه من جهة لم يدع ذلك ، ومن جهة أخرى

يخرج بما يتقدم به من أحكام لا سيما فى مجال العبادات عن حدود المعايير الإسلامية بما لا يصلح له قياس ولا يدخل تحت نص شرعى عموى ولا يتفق مع إجماع . فالدعويان باطلتان دعوى النبوة ودعوى التجديد

٢ – فأى كمال يمكن أن يرتجى فى تشريعات البهاء وأحكامه نصاً وروحاً على هذا النحو ؟ والمتفحص لتشريعاته هذه كل واحد منها على حدى إذا غضضنا النظر عن أساسها المنهدم لا يجدها إلا خليطاً من الآراء وشتاتاً من الأفكار مقتبسة من شرائع الهوى والشيطان . وبعض القوانين البشرية التى لم تثبت وجودها فى الإصلاح والتوجيه وحل المعضلات الدينية والاجتماعية أمام التشريعات الإسلامية .

ولا يزال الإسلام بتشريعاته وحلوله الحاسمة لشتى المشكلات الاجتماعية ، ومنهجه المثالى فى توجيه الحياة والسمو بها منذ تركه محمد ﷺ غضاً معطاء لا ينضب ولا يغيض .

وكم قيض الله له من فرسان العلم والبصيرة ممن لم يخل منهم زمان ولا مكان من أقبلوا على تراث النبوة من كتاب وسنة فقها وتحليلا ومقارنة واستنباطاً ولم يدخروا جهداً فى الإقبال على علومه تصنيفاً وتحديداً ، لا يخرجون عن مقاييسه ولا يحيدون عن طريقه ويواجهون ما يجد من الظروف والأحداث بما من الله عليهم من نعمة الاجتهاد وما أوتوا من أسسه وقواعده يستنبطون أحكامها ويستخرجون تشريعاتها لا يصطدمون بنص من نصوصه ولا يعارضون أصلا من أصوله ، ولا يخرجون على اتفاق أمتهم وإجماعها ولا ينفصلون عن روحه النفاذة فكان منهم على مر الزمان وتوالى الأجيال ، هؤلاء الأئمة الأفذاذ المتميزون فى شتى ميادين العلم والمعرفة ، وكان هذا النتاج الضخم فى مختلف العلوم الإسلامية التى تزيد الموكب إشراقاً والتراث

غنى وثراء ، بحيث يمكن القول : إن التراث الإسلامي لا يكاد يكون له نظير في أي نهضة فكرية أو حضارية على مستوى العالم كله ، وما زال هذا التراث ممتد العطاء متجدد الإغداق مابقي علماء المسلمين وهم جنود الله الذين اقتضت حكمته سبحانه أن تناط بهم مهمة حماية الدين والكشف عن أسراره وإبراز جوانب عظمته ، فقد تكفل الله بحفظه إلى يوم القيامة حيث قال تعالى : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون »(١) .

وعلماء المسلمين وأئمتهم في كل مجال من مجالات العلوم الإسلامية لم يحظوا من المسلمين بمكانة فوق مكانة العلماء . ولم ينالوا من الأمة درجة فوق درجة الإمامة في العلم . وماكان للمسلمين في كل طبقة من طبقات الأئمة والعلماء أن يخلعوا عليهم صفة القداسة أو يثبتوا لهم العصمة أو يرفعوهم في مصاف الأنبياء إلا من انحرفوا عن جادة الطريق كالشيعة والباطنية ومن نهج نهجهم كالبابية والبهائية وغيرهما ممن باعوا أنفسهم ودينهم لعناصر أجنبية عن الإسلام والمسلمين كالمجوسية واليهودية وغيرهما .

وما ادعى واحد من أئمة المسلمين وعلمائهم منزلة فوق منزلة العلم ولم يكن رائده في جده واجتهاده ومثابرته وإنفاق عمره في التأليف والتصنيف والذب عن كيان الإسلام والأمة الإسلامية إلا صالح الدين ومصلحة الأمة وقبل ذلك وبعده وجه الله ومرضاته .

فكانوا بحق أصدق البراهين على كمال الدين ، وأسطع الأدلة على تفوق الإسلام وصلاحيته لكل عصر ومصر حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

---

(١) الحجر .

تطبيقاً لقوله تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً »[١] .

فكمال الدين الإسلامى لا يزال على أيدى هؤلاء العلماء مستوعباً لكل الأزمان والأماكن ، ملائماً لكل الظروف والملابسات ، صالحاً لكل الشعوب والأمم ، مابقى القرآن والسنة المحمدية بأحكامهما وتشريعاتهما المعجزة ، وما دام باب الاجتهاد فى الدين مفتوحاً على أسسه المنضبطة وأصوله المحددة ، ولن يكون فى إمكان دعى ، ولا فى استطاعة غوى أن ينتحل لنفسه خاصية التجديد فى الدين أو صفة الاجتهاد فى أحكامه جاهلا أو متجاهلا قواعد الاجتهاد وأصول الاستنباط التى استقرت عليها الأمة الإسلامية وليس فى مقدور هؤلاء أن يعملوا فى الخفاء أو فى غيبة من بصيرة الأمة الإسلامية النافذة ، أو بمعزل عن أعين المسلمين الساهرة على حماية الدين وصيانة شريعته ، مهما كان سلطان هؤلاء الأدعياء ، ومهما أمهل الله لهم ، وأن الله ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته .

فالبهائية والبابية والقاديانية وأمثالها من الفرق المارقة من الإسلام والمذاهب الهدامة مهما ادعت لنفسها من الشرف والفضل حتى ولو وصل إلى شرف النبوة وفضل الرسالة وتلقفها أتباع من أغرار الناس وسفهائهم أو من ذوى المصالح الشخصية والأطماع الخاصة من وراء هذا الأتباع كانوا كغيرهم على مختلف العصور الإسلامية من جنود الشيطان الذين سخرهم لإفساد دين الله ، وكم توالى على الإسلام من المذاهب الضالة والنحل الباطلة ، كل تدعى لنفسها جدارة التوجيه والإصلاح ، وكلها تلاشت وانهارت أمام قوة الحق القاهرة وتراجعت واندثرت أمام شمس الإسلام الساطعة .

---

(١) المائدة .

والذى بقى شامخاً كريماً معطاء هو الإسلام .

فليت البهائية يقفون على هذه الحقيقة ولا يغفلون عن هذه العبرة ، ومهما غفلوا أو تغافلوا فلن يدعهم المسلمون يعبثون بعقول العامة ، ولن يتركوهم يتابعون تنفيذ مخططاتهم ضد الإسلام وأحكامه وتعاليمه . دون أن يحملوا عن ضلالاتهم ويكشفوا عن حماقاتهم ويقوضوا مابنوا عليه هذا الباطل من أسس واهية ، وقواعد مهتزة ، ولن يخلف الله وعده فى قوله سبحانه : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدوننى لايشركون بى شيئاً ومن كفر فأولئك هم الفاسقون »[1].

---

(١) النور .

القاديانيـــة

تمهيـــد :

١ - القاديانية : هو اللقب الذى خلعه المسلمون على هذه الفرقة ذات النحلة والعقيدة التى سنقوم بعرضها ومناقشتها فى هذا الكتاب ، وإن كانت تسمى نفسها (بالأحدية) بغرض إيهام الناس بصواب مبادئها وحقية عقائدها .

والقاديانية - كما سماها المسلمون - نسبة إلى قاديان ، وهى إحدى مدن مقاطعة بنجاب بالهند ، حيث نبتت هذه الفرقة بنحلتها ونمت فيها .

أما لقب الأحدية الذى اختاره القاديانيون لأنفسهم دون سواه فهو نسبة لهم إلى زعيمهم ومؤسس نحلتهم (غلام أحمد ابن غلام مرتضى ابن عطا محمد)[1] .

وقد ظلت قاديان مركز نشاط هذه الفرقة حتى انقسمت الهند وانفصلت عنها باكستان . فلم يرض القاديانيون أن ينعم المسلمون بدولتهم الجديدة فهاجر أكثرهم إلى باكستان تعقباً للمسلمين ومقاومة لبعثهم الجديد فى دولتهم الجديدة ، وبذلوا فى سبيل ذلك غاية الوسع ، وأسسوا هنالك مدينة خاصة بهم سموها (ربوة) مدعين أنها المرادة من قوله تعالى : « وآويناهما إلى ربوة

---

(١) ص ١٣٤ .

ذات قرار ومعين »(١) كما هو دأبهم فى تأويل القرآن وحمل نصوصه على مقاصدهم وأغراضهم الباطلة .

وقد انقسمت القاديانية إلى فرقتين ، هما :

١ - القاديانية أو الأحمدية ، وهى تعتقد فى الميرزا غلام أحمد نبياً مرسلا من الله تعالى ومسيحاً موعوداً .

٢ - واللاهورية ، وهى تعتبره مجدد القرن الرابع عشر الهجرى والمسيح الموعود .

وهذه دعوى يبطلها كثير من أقوالهم وتصريحاتهم مما ضمنته كتبهم ومؤلفاتهم ، وكل من الفرقتين تسمى نفسها بالأحمدية ، والمسلمون لا يفرقون بينهما فى فهما نظارهم سواء(٢) .

لماذا انشقت جماعة لاهور عن جماعة قاديان ؟

كان انشطار القاديانية إلى جماعة قاديان وجماعة لاهور بعد وفاة الميرزا غلام أحمد ووفاة خليفته الأول فى زعامة القاديانية الحكيم نور الدين فى ١٣ مارس عام ١٩١٤ م . أى أنه لم ينعم بهذه الخلافة إلا سنوات ست .

وكانت قضية تكفير المسلمين ممن لا يؤمنون بنبوة غلام أحمد قد واجهت رد فعل إسلامى عنيف فى تلك الصحوة الإسلامية التى حمل لواءها نخبة من كبار علماء المسلمين فى ذلك الوقت من أمثال الشيخ ثناء الله الأمر

---

(١) سورة المؤمنون .

(٢) ما هى القاديانية - أبو الأعلى المودودى ص ٢٠ .

تسرى والشيخ الفاضل محمد حسن البتالوى والشيخ الجليل محمد إبراهيم السيالكوتى والشيخ العلامة الحافظ محمد الجوندلوى وغيرهم ، إذ قاموا بتوعية إسلامية يكشفون فيها عن بطلان عقائد القاديانية وخروجها عن حدود الإسلام، سواء كان ذلك عن طريق كتب ألفوها لهذا الغرض أو عن طريق المناظرة والمحاجة والخطابة فقد كان لذلك أثره الكبير فى اهتزاز موقف القاديانية وسخط المسلمين مما أزعج الاستعمار الإنجليزى فى الهند حينئذ ، فقد كانت القاديانية بزعامة غلام أحمد متنبئهم وسيلة الإنجليز التى استخدموها بتصميم وإصرار فى كبح جماح المسلمين وصرف غضبهم وحنقهم على المستعمرين .

وخاف الإنجليز أن يفقدوا هذا السلاح الفعال فى الدفاع عن أمنهم واستقرارهم فى الهند ، وانتهوا إلى ضرورة تغيير مسار النشاط القاديانى ، واختاروا واحداً من أخلص عملائهم هو محمد على اللاهورى الذى كان مندوبا سامياً لهم فى قاديان ، وأوعزوا إليه أن يؤسس جماعة جديدة لاهور يعلن أنها تختلف مع جماعة قاديان فى معتقداتها ، وإن كانت تلقب بالأحمدية لأنها لم تنفصل عن المؤسس الأول غلام أحمد . ولأن الغرض من تكوينها هو استرداد ما فقدوه من القاديانيين ممن لم تعد تتوفر عندهم القناعة بنبوة غلام أحمد والمحافظة على ما بقى منهم ممن لا يزالون مؤمنين بنبوته ، وبذلك يضمن الاستعمار الإنجليزى بقاء القاديانية مؤدية وظيفتها فى البعد بأتباعها عن الإسلام الذى يفرض على المسلمين الجهاد ضدهم .

ولهذا أعلنت هذه الجماعة أن غلام أحمد لم يكن نبياً وإنما كان مجدداً للإسلام ومصلحاً ، وأن ما صدر عنه من أقوال صريحة تفيد ادعاءه النبوة ،

ما هوم إلا كلام مجازى واجب التأويل ، هذا ما أعلنوه فى الظاهر خداعاً للمسلمين وكسباً لمساحة أكبر من جماهيرهم ، والحقيقة خلاف ذلك .

فقد جاء على لسان زعيم هذه الجماعة ما يتضمن حقيقة معتقده ومعتقد أتباعه من الأحمديين اللاهوريين فى غلام أحمد نبياً ومسيحاً موعوداً مما لا يخالف معتقد الأحمديين فى القاديان الذين لم يداروا معتقداتهم فى نبوة الغلام ولم يساوموا عليه ولم يخفوه ولذلك رموا جماعة لاهور بتهمة النفاق لأنهم أرادوا التوفيق بين إيمانهم بنبوة الغلام ومبادئه وبين استجداء الجماهير وإرضائها .

وهذه هى النصوص التى تشهد بحقيقة معتقد زعيم اللاهوريين فى غلام أحمد . ونبوته يقول محمد على فى تفسيره المسمى بيان القرآن عند قوله تعالى : « ورسولا إلى بنى إسرائيل »[1] (أن ابن مريم الذى أخبر الرسول بقدومه ليس معناه إلا أن يأتى أحد أفراد هذه الأمة فى لون ابن مريم ، كما تحققت نبوءة « إلياس » بقدوم « يحى » فى لونه)[2] .

والذى جاء فى لون ابن مريم من أفراد هذه الأمة فيما يرى محمد على هو غلام أحمد ، إذ كان يسميه مسيح هذه الأمة والمسيح الموعود[3] .

ويصرح محمد على بنبوة الميرزا ويعلن إيمانه وإيمان جماعته بعدم النجاة

---

(١) سورة آل عمران آية : ٤٩ .

(٢) بيان القرآن جـ ١ ص ٣١٧ .

(٣) رد تكفير أهل قبلة لمحمد على ص ٥ وكتاب النبوة فى الإسلام ومناظرة راولبندى ، نقلا من القاديانية نشأتها وتطورها . حسن عيسى عبد الظاهر ص ١٩٣ .

لمن لم يؤمن بنبوة الغلام ، جاء هذا على لسانه ، (نحن نعتقد أن غلام أحمد مسيح موعود ومهدى معهود وهو رسول الله ونبيه ونزله فى مرتبة ومنزلة بينها لنفسه ـ أى أفضل من جميع الرسل ـ كما نحن نؤمن بأن لا نجاة لمن لا يؤمن به)[١]

كما جاء على لسانه : (إن كان موسى نبى الله وعيسى رسول الله ـ فغلام أحمد نبى ورسول لأن العلامات التى عرفنا بها أنبياء الله توجد جميعها فى حضرة غلام أحمد القاديانى فداه أبى وأمى عليه الصلاة والسلام)[٢] .

وسيراً على نهج المراوغة والخداع رجعت هذه الجماعة عن تكفير المسلمين واكتفوا بتفسيقهم مهما كانت فضيلتهم ومهما حسنت أعمالهم طالما أنهم يلفظون مرزا وآراءه[٣] .

وهكذا نجح الاستعمار الإنجليزى فى تجنيد جماعة لاهور لحسابه ومصالحه الخاصة ضد الإسلام والمسلمين ، وبقيت هذه الجماعة تمارس نشاطها وتنشر أفكارها دفاعاً عن القاديانية بأسلوبها الجديد ومنهجها المتطور إلى جانب جماعة قاديان التى ظلت تؤدى دورها فى اتجاهها المحافظ على عقائدها الأساسية .

٢ - القاديانية نكسة للحقائق الإسلامية :

من النكسات التى أصابت المسار الإسلامى بعد منتصف القرن التاسع عشر

---

(١) ريويو آف ريليجنز ج ٣ نمره ١١ ص ٤١١ .
(٢) المرجع السابق ج ٩ نمرة ٧ ص ٢٤٧ .
(٣) القاديانية نشأتها وتطورها ـ حسن عيسى عبد الظاهر ص ١٦٣ .

وإن بدأ يتفاقم خطرها فى الربع الأول من القرن العشرين النحلة القاديانية تلك التى اعتنقها زمرة غلام أحمد القاديانى وفروعها وأتباعها .

ولا يروعنك اعتبارنا لوجود هذه الفرقة نكسة - فإن الغلام الدعى ومن بعده شيعته بالرغم من تستره بسياج الإسلام وزعمه الانتماء إلى خير أمة أخرجت للناس ، فإن قوام دعوته لم يكن إلا الانحراف عن مسيرة الإسلام وتراث المسلمين سلفاً وخلفاً وسيرة خاتم النبيين .

ولم يقم منهجه ولم يكن ليقوم إلا على تزييف الحقائق الإسلامية وهى محل قبول الأمة وإجماعها، وتشويه مفاهيم القرآن الذى لا يجرؤ عليه شخص هز قلبه بشاشة لإسلام . ودونما خوض فى التفاصيل نشير إلى بعض مظاهر هذا التزييف والتحريف كادعائه النبوة ، واستناده فى دعواه إلى نصوص الإسلام قرآنه وسنته بعد تحريفها وتأويلها بما يخدم رغبته وهواه التى يترفع عن التفكير فيها فضلا عن الجهر بها مسلم حقيقى،لا يغيب عنه تواطؤ الأمة الإسلامية وإجماعها على أن محمداً ﷺ هو الخاتم لسلسلة النبوة فلا نبى بعده فضلا عن رسول .

ومن ذلك أيضاً محاولة طمس الغلام فريضة الحج إلى بيت الله الحرام ، والعبث بمشاعر المسلمين نحو أماكنهم المقدسة ، ومحاولة صرفهم عن مكة والمدينة إلى كعبة جديدة ، ومكة أخرى ، ومزارة مستحدثة ، حيث القاديان مقر دعوته ومهبط وحيه المكذوب ، فقد جعل الحج إليها ناسخاً الحج إلى الكعبة ، أو متمماً له فى أكثر القرائن اعتدالا ، وفضلت القاديان عنده مكة أو تساوت بها ، وأصبح قبره عند أتباعه بعد وفاته مزاراً للمسلمين على سبيل السنة بدلا من قبر محمد صلى الله عليه وسلم .

بل إن مقالات القاديانية قد انتهت إلى تفصيل غلامهم الكافر على بعض

أولى العزم من الرسل ، بل يمكن على ما جاء في جريدة الفضل لسان حالهم - أن يكون أفضل من جميع الأنبياء .

ويعنى ذلك اعتقادهم أفضلية هذا الغلام على محمد ﷺ ولو على سبيل الإمكان .

وفى نفس هذه الصحيفة أنكروا الفرق بين أصحاب النبى ﷺ - خير القرون - وبين تلاميذ ميرزا غلام أحمد - الحمقى - إلا أن أولئك رجال البعثة الأولى وهؤلاء رجال البعثة الثانية . ومن ضلالاته كذلك إسقاط فريضة الجهاد عن المسلمين حيث لم تعد ثمة ضرورة إليه بعد انتشار الإسلام شرقاً وغرباً وشمالا وجنوباً ، حيث أصبح الإسلام طبقاً للشريعة نبيهم الجديد دين السلام لا دين السيف والحرب ..

إلى غير ذلك مما وقعوا فيه من زيغ فى العقيدة ، وإنحراف فى موقفهم من سائر المسلمين وتكفيرهم لكل مسلم غير قادياني ، مما سيبرز خبث الرجل وكذبه على الله وعلى دينه وإسهامه فى ظاهرة الكذابين من أدعياء النبوة كمسيلمة وطليحة وسجاح ، وغيرهم ممن برهنوا على حقدهم وكراهيتهم للإسلام ونبيه وأمته .

وستكشف عن كل ذلك دراستنا المقبلة فى المباحث التالية التى سنتوخى فيها التفصيل قدر الإمكان :

عوامل نشأة القاديانية

أما عن العوامل التي أسهمت في ظهور القديانية وساعدت على نشر مبادئها فإنها لتتبدى في تلك المواقف المختلفة .

لكل أولئك الذين يسعون جميعاً على اختلاف نزعياتهم ووسائلهم إلى مطلب واحد هو تقويض الإسلام والقضاء على أثره من العالم .

وفي وسعنا أن نحصرهم في هذه الأصناف . .

أولا — اليهود

فاليهود هم أول المعنيين بتحقيق هذا الهدف .

ومن ثم لم يضنوا بتقديم المساعدة من أى نوع لتمكين القاديانية من نشر دعوتها ، إذ رأت فيها إحدى الوسائل للقضاء على الإسلام ، والتشويش على عقول المسلمين ، ولعل القاديانية فى الهند كشقيقتها البهائية فى إيران قد حظيت برعاية الماسونية التى توجهها الصهيونية العالمية وتسخرها للسيطرة على العالم .

ولكل من القاديانية والبهائية مركز توجيه ودعاية وعمل فى إسرائيل .

والمركز القاديانى فى إسرائيل دور هام فى نشر مبادىء القاديانية عن طريق المطبوعات كتباً ومجلات دورية يتولى المركز الإشراف عليها طبعاً وترجمة وتوجيهاً . وقد كانت ترجمة أكثر كتب الغلام إلى العربية من بعض مظاهر النشاط المركز .

وكان من علائم عناية الدولة اليهودية بالقاديانيين أن كان يرتب لبعض شخصياتهم الهامة لقاءات برئيس الدولة ، ولا يدخر الإعلام الإسرائيلى صحافة وإذاعة جهداً فى نشر أخبارهم ، والتنويه بمبادئهم إلى جانب الكثير من التسهيلات ممثلة فى المعونات المالية وبناء المدارس والمساجد والمكتبات التى تدعم نشاطهم وتمكنهم من محاولة إعاقة المد الإسلامى ومسخ الكيان العربى وذلك هو هدفهم المشترك .

وقد نشرت القاديانية فى أحد كتبهم بعنوان مراكزنا فى الخارج عن المركز الإسرائيلى – ما يؤيد ذلك فقالوا :

(إن المركز القادياني يقع على ماؤنت كارمال في حيفا ، ونحن نملك هناك مسجداً وبيتاً للمركز ومكتبة عامة للمطالعة ، ومكتبة خاصة لبيع الكتب ومدرسة ، ويصدر المركز مجلة شهرية باسم « البشرى » التي ترسل إلى ثلاثين بلداً عربياً مختلفاً ، وقد ترجم أكثر مؤلفات المسيح الموعود (الغلام) إلى العربية بطريق هذا المركز وأن مركز القاديانية تأثر من تقسيم فلسطين من عدة وجوه . وأن المسلمين الذين بقوا في إسرائيل قد أخذوا من المركز الفوائد الجمة ومركزنا لا يضيع أية فرصة لخدمتهم . وقبل مدة زار وفد المركز رئيس بلدية حيفا وبحث معه عدة مواضيع وأبدى رئيس البلدية استعداده لبناء مدرسة في كبابير ، الذي يسكن فيه القاديانيون بكثرة ، كما وعدنا برد الزيارة في كبابير .

وجاء بعد ذلك يرفقه أربع شخصيات معروفة في حيفا عندنا ، فاستقبلتهم جماعتنا وطلبة المدارس وأقاموا احتفالا خاصاً للترحيب بهم وقبل الرجوع وقعوا على سجل الزيارات وسجلوا تأثيراتهم ، ويمكن للقارئين أن يعرفوا مكانتنا في إسرائيل بأمر بسيط ، بأن مبلغنا جوهدري محمد شريف حينما أراد الرجوع من إسرائيل إلى باكستان سنة ١٩٥٦ م ، أرسل إليه رئيس دولة إسرائيل بأن يزوره قبل مغادرته البلاد ، فاغتنم المبشر هذه الفرصة وقدم إليه القرآن المترجم إلى الألمانية ، الذي قبله بكل سرور . وقد نشر تفاصيل اللقاء في الصحف الاسرائيلية كما أذيع في الإذاعة [1] .

---

(١) مراكزنا في الخارج ص ٧٩ ، وانظر القاديانية دراسات وتحليل - إحسان إلهي ظهير ص ٤٧ وما بعدها .

ثانياً — الهندوس

أما الهندوس فقد كان لهم منهج مختلف فى الترحيب بوجود القاديانية والترويج لها ، ولقد كان أساس هذا المنهج خلق نزعة شعوبية وتكوين نعرة قومية لدى مسلمى الهند الذين قصرت كل الحيل فى إخضاعهم وتنحيتهم عن دينهم وتراثهم وأمتهم

فانتماؤهم الحقيقى لايقوم على العرق وصلة الدم بقدر ما يقوم على الدين والعقيدة ووحدة المشاعر الروحية المتمثلة فى العبادة والمقدسات . سواء منها المكانية والزمانية ، فحبهم الحقيقى إنما هو لأمتهم الإسلامية وسلفهم الصالح ونبيهم العربى الذى جاء بدعوته لأهل الأرض جميعا .

عز على الهنادك وبخاصة المتعصبين منهم لقوميتهم — أن يخفقوا فى توجيه مسلمى الهند نحو بلدهم وتاريخهم . وشدهم إلى التمسك بميراث براهما وبوذا

بالرغم من جهودهم فى سبيل ذلك إلى الإغراء تارة والتحريض ثانية ، والعنف تارة ثالثة . فكأنهم وجدوا ضالتهم بعد ذلك فى التمهيد لإيجاد النعرة القومية وترسيخها فى نفوس مسلمى الهند ، وذلك عن طريق الإسهام بالمال والقلم واللسان إنجاح الغلام المأفون وقاديانيته ، والتركيز على أن تكون دعوته قائمة على أن يكون الغلام صاحب نبوة جديدة يبعثه الله فى الأمة الهندية كما بعث محمداً ﷺ فى الأمة العربية ، ولتنتزع الهند فى زعمهم خاصية القداسة من شبه جزيرة العرب شرف انتساب النبوة إليهم ، ولتصبح الهند موجهة كل مسلم قاديانى ، وتصبح قاديان مهوى أفئدتهم فى أى مكان من

العالم يتواجدون فيه . فمن القاديان نشرت جريدة الفضل: (ماهى القاديان ؟ القاديان هى آية باهرة من آيات جلال الله وقدرته كما قال حضرة المسيح الموعود ـ أى الغلام ـ وأيضاً هى دار خلافة رسول الله ومسكن المسيح ومولده ومدفنه ، وفى هذه القرية بيت يسكنه منجى العالم وقاتل الرجال ومكسر الصليب ومظهر دين الإسلام على جميع الأديان)[1] .

وعن بعض القاديانية أيضاً (هى منزل أنوار الله ووضعت الخيرات فى أزقتها وفى بيوتها ، وجعل كل لبنة من لبناتها آية من آيات الله ، مساجدها ذات نور ، وآذان مؤذنها نورانى ، ورفع من منارات هذه المساجد صوت قد ارتفع قبل أربعة عشر قرنا فى الجزيرة العربية)[2] .

ويقول محمود أحمد خليفة القاديان : (أقول لكم صدقا إن الله أخبرنى بأن أرض قاديان ذات بركة وتنزل فيها نفس البركات التى تنزل فى مكة المكرمة والمدينة المنورة)[3] .

ويقول أيضاً : (إن القاديان مورد نعم الله وبركاته ، ولا تنزل هذه البركات والفيوض فى أى محل آخر مثل ما تنزل فى القاديان ، وقد قال غلام أحمد : إن الذى لا يجىء إلى القاديان أخاف على إيمانه)[4] .

أما الغلام فقد قال : (إن كانت أرض العرب تفتخر بأرض الحرم فإن

---

(١) الفضل ١٣ ديسمبر ١٩٣٩ م .
(٢) الفضل ١ يناير ١٩٢٩ م .
(٣) قول محمود أحمد بن الغلام المنقول من الفضل ١٠ ديسمبر ١٩٣٢ م .
(٤) أنوار الخلافة ص ١١٧ لابن الغلام وخليفته الثانى .

أرض العجم تفتخر بأرض القاديان)[١] .

وقال بعضهم أيضاً : (يا أرض قاديان ، ماذا أقول لقضائك المنور الذى تستثير منه عيون الحور العين ، وماذا أقول لك أنت ؟ القبلة والكعبة أو مسجد الملائكة)[٢] .

ويجعلها خليفة القاديان فى إحدى خطبه أم القرى والمقام المقدس الذى لا يمكن الحصول على أية منفعة دونه[٣] .

كما جاء فى نفس الصحيفة : (إن الذى يزور قبة المسيح الموعود - أى القلام - البيضاء يساهم فى البركات التى تختص بقبة النبى الخضراء بالمدينة فما أشقى الرجل الذى يحرم نفسه من هذا التمتع فى الحج الأكبر إلى قاديان)[٤] .

هكذا تفيض نفوسهم الخبيثة وألسنتهم الموجهة وأقلامهم المأجورة بهذه الأقوال التى ترفع القاديان عش الشيطان ووكر الجاسوسية الطابور الخامس فوق مكة والمدينة فيخطون بذلك طبقاً لمخططهم خطوة هامة فى صرف وجهة المسلمين نحو أمة جديدة وحرم جديد ومقدسات جديدة .

وإذا كان ذلك هو شأن القاديان قداسة وتفوقا على أماكن الحج فى الإسلام الأصيل ، فمن الطبيعى فى منطقهم المغرض أن يفوق الحج إليها فى قيمته وأهدافه الحج إلى بيت الله الحرام فى مكة المكرمة كما أشرنا من قبل .

---

(١) الفضل الصادرة فى ٢٥ سبتمبر ١٩٣٢ م .
(٢) الفضل ١٨ أغسطس ١٩٠٢ م .
(٣) الفضل ٣ يناير ١٩٢٥ م .
(٤) نفس المصدر العدد ١٩٤٨ م

تترجم أقوالهم هذا المعنى إذ يجعل الغلام بمجرد المجيء إلى القاديان يحصل درجة الحج فيقول : (المجيء إلى القاديان هو الحج)[١] .

ويفضل بمجرد البقاء بها على الحج النفلي إذ يقول : (إن البقاء في القاديان فقط أفضل من الحج النفلي)[٢] .

كما يجعل الغلام الحج الحقيقي هو حضور مؤتمرهم السنوي بقاديان يعني به الحج إليها — فيقول : (إن مؤتمرنا السنوي هو الحج ، وأن الله اختار المقام لهذا القاديان . وممنوع فيه الرفث والفسوق والجدال)[٣]

ويقول أحمدهم : (لا إسلام بدون الإيمان بالغلام القادياني كما لا حج بدون الحضور في المؤتمر القادياني ، لأنه لا تتم مقاصد الحج في مكة الآن)[٤] .

ونشرت صحيفة الفضل : (إن الحج إلى قاديان حج ظلي إلى البيت)[٥]

ثم يتجاوزون حد المبادىء الجوهرية في الإسلام إذ ينشرون في بيغام صلح الصحيفة الرسمية للفرع اللاهوري : (إن الحج في مكة بغير الحج إلى قاديان لا يؤدي رسالته ولا يفي بغرضه)[٦] .

وقد كشف الكاتب الهندوسي الكبير الدكتور شنكرداس ، عن خطة القوميين هذه فقال مخاطباً الهنود جميعاً : (إن من أهم المسائل التي تواجهها

---

(١) نفس المصدر ٥ يناير ١٩٣٣ م .
(٢) مرآة كمالات الغلام ص ٣٦٢ للغلام ص ٣٥٢ للغلام
(٣) بركات الخلافة لمحمود أحمد ص ٥ ، ٨ .
(٤) بيغام صلح ١٩ ابريل ١٩٣٣ م .
(٥) المجلد العشرين عدد ٦٦ .
(٦) المجلد ٢١ عدد ٣٣ .

بلادنا الآن ، هى كيف نستطيع أن ننشىء نعرة القومية فى قلوب المسلمين .
وقد حاولنا معهم كل المحاولات ، محاولات التحريض والترغيب ، والمعاهدات والضمانات ، ولكن مسلمى الهند لم يتأثروا من هذه الأشياء كلها وإلى الآن هم يتصورون إنهم قوم مستقل ، ويتغنون بأغانى العرب ، وإن استطاعوا لجعلوا الهند قطعة عربية ، وفى هذا الظلام الدامس لا يرى محبوا الوطن والقوميون الهنود شعاع نور إلا من جانب واحد وهو جانب القاديانية ، فكلما يزيد المسلمون ميولا إلى القاديانية يتصورون القاديان قبلتهم وكعبتهم ، بدل مكة .

وهكذا يتقربون إلى القومية الهندية ، فلا يمكن الا أن يزيل التهذيب العربى والقومية الإسلامية إلا ارتقاء القاديانية ، فينبغى لنا أن ننظر إلى القاديانية بوجهة القومية الهندية ، فيقوم رجل من خطة بنجاب هندية ، ويدعو المسلمين إلى اتباعه ، فمن يتبعه يصير مسلما قاديانيا بعد أن كان مسلما فقط ، ويعتقد :

١ ـ أن الله يرسل حينا بعد حين رسلا لإرشاد الناس وهدايتهم .

٢ ـ فقد أرسل إلى العرب زمن انحطاطهم محمداً رسولا .

٣ ـ ثم احتاج الله بعد محمد إلى نبى آخر فأرسل ميرزا غلام أحمد القاديانى .

فلعله يسأل إخوانى القوميون ماذا يفيدنا عقيدته هذه ؟

فأقول : كما أنه لو أسلم هندوسى ينتقل حبه من رام وكرشن ، وويد ، وجينا وراماين إلى القرآن والعرب ، هكذا وبنفس الطريقة حينما يصير المسلم قاديانيا ، تتغير وجهته وينقل حبه لمحمد ، وينقل خلافته من الجزيرة العربية وتركستان إلى القاديان ، ولاتبدو له مكة إلا كالمقامات المقدسة البالية

فكل قادياني أينما يكون في العرب أو التركستان أو إيران أو في أية منطقة من مناطق العالم ، دائماً وأبداً يتوجه إلى القاديان بالحب والتقدير ، وتكون القاديان مركز النجاة له ، وفي هذا سر لتقديس الهند ـ فكل قادياني يقدس الهند ، لأن القاديان في الهند ، وغلام أحمد هندي ، وخلفاءه وزعمائهم كلهم هنود ، ولأجل هذا ينظر المسلمون المتعصبون إلى القاديانية نظرة شك وريب ، لأنهم يظنون أن القاديانية عدو لتهذيب عربي وإسلام حقيقي ، وفي حركة الخلافة[1] ماوافق القاديانية المسلمين ، لأنهم يريدون إقامة الخلافة في القاديان ، بدل قيامها في العرب أو التركية ، وهذه ضربة قوية على عامة المسلمين الذين يحلمون بالنهضة الإسلامية ، ولكنها مسرة وفرح للقوى الهندي حقيقة[2] .

هذا وحينما كتب الشاعر الدكتور محمد إقبال مقالات ضد القاديانية بين فيها كذبهم وضلالهم ، كان أول من رد عليه ودافع عنهم هو زعيم القوميين الهندوس (جواهر لال نهرو) فكتب عدة مقالات تأييداً لهم ؛ حتى أعلن خليفة القاديان محمود أحمد محرضاً القاديانية على استقباله : إن جواهر لال نهرو الموقر رد على مقالات الدكتور محمد إقبال التي كتبها لإثبات أن القاديانية فئة كافرة ، مستقلة ، لا علاقة لها بالإسلام ،

---

(١) قام المسلمون الهنود عند سقوط الخلافة في تركيا بالمظاهرات العنيفة في الهند وطالبوا قيام الخلافة مرة أخرى وسموا حركتهم هذه حركة الخلافة ، وإلى هذا أشار هذا الكاتب الهندوسي بأن القاديانية ما قاموا مع المسلمين في مطالبة قيام الخلافة مرة أخرى . . إلخ .

(٢) مقال الدكتور شنكر داس بي إليس سي ، إم بي بي إس المنشور في جريدة هندوسية بندى ماترم ، الصادرة ٢٢ إبريل ١٩٣٢ م .

فرد عليه جواهر لال نهرو وأثبت أن اعتراضاته على القادنية غير معقولة قطعاً ، فلذا على القاديانية أن يستقبلوا جواهر لال نهرو بكل الترحيب(١) .

ثم رد شاعر الإسلام على جواهر لال نهرو . وحال تأييده بالقاديانية وقال : إن جواهر لال نهرو ومن معه من القوميين مضطربون من انتعاش المسلمين ونهضتهم ، كما أن القاديانية مضطربة أيضا لنفس السبب وهم يعرفون أن هذا الانتعاش وهذه الحركة سوف تقضى على خطتهم ، خطة تمزيق أمة رسول عربى (فداه أبى وأمى) وتكوين أمة جديدة لمتنبىء هندى (٢) .

ولأجل هذا يؤيدهم جواهر لال نهرو وإلا فأى علاقة له بهم(٣) .

وكان علماء المسلمين هم الذين أطلقوا شرارة الثورة ضد الإنجليز الذين نالوا من مكانة المسلمين وتفننوا فى تعقبهم حيث أفتوا ممثلين فى زعيمهم عبد العزيز الدهلوى ابن الشاه ولى الله صاحب حجة الله البالغة .

بأن الهند أصبحت دار حرب ومن ثم يتوجب على المسلمين أن يجردوا الجيوش ويستجمعوا القوى أداء لفريضة الجهاد ، وقد حققوا انتصارات

---

(١) خطبة جمعة ألقاها الخليفة القادياني فى القاديان ، المندرجة فى جريدة قاديانية الفضل . الصادرة ١٨ يونيو ١٩٣٦ م .

(٢) مقال الدكتور محمد إقبال : القاديانية والإسلام ، المنشور فى مجلة إنجليزية الصادرة ٢٢ يناير ١٩٣٦ .

(٣) القاديانية دراسات وتحليل إلهى ظهير ـ الطبعة الثالثة ص ٣ ـ ٦ .

كثيرة حتى كانت هزيمتهم بيد الخونة من المسلمين العملاء عام ١٨٣١ م في مقاطعة بارا كوب فى بنجاب .

وكان السجن والنفى لعلماء المسلمين وزعمائهم أحد آثار هذه الهزيمة التى لم تلبث أن ولدت انتفاضة أخرى ، بل ثورة شاملة عام ١٨٥٧ م ، وهى وإن لم تكن فى صالح المسلمين إلا أنها لم تكن فى نفس الوقت نهاية كفاحهم فى سبيل استرداد ملكهم وكرامتهم .

ثالثا : الاستعمار

أما الاستعمار فقد كان دور الاستعمار الإنجليزى من أبرز العوامل إن لم يكن أبرزها على الإطلاق فى التأثير على وجوه القاديانية ونموها وانتشار مخططها بعد أن أعوزته الحيل وضاقت به السبل فى السيطرة على مسلمى الهند بعد ضمه الهند إلى خريطته ووضعها فى دائرة الدول المحتلة وكان ذلك فى أوائل النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، وليس ذلك فحسب ، بل لقد روع الإنجليز نجاح بعض الحركات المضادة لوجودهم وأهدافهم فى مختلف المناطق الإسلامية فى العالم ، لعل من أبرزها تلك التى قامت فى الهند ذاتها فى الربع الأول من القرن التاسع عشر وكان موجهها السيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد وكان قوامها إثارة وتحميس المسلمين إلى الجهاد ضد الاستعمار ومقاومة عدوهم أياً كان وأينما وجد وقد شقيت الحكومة الإنجليزية من جراء هذه الحركة وقاست الأمرين ، ولم تكن لتغفلها وقد استجاب لها قلبا وقالباً الآلاف من المسلمين .

وكان علماء المسلمين هم الذين أطلقوا شرارة الثورة ضد الإنجليز الذين نالوا من مكانة المسلمين وتفننوا فى تعقبهم حيث أفتوا ممثلين فى زعيمهم عبد العزيز الدهلوى ابن الشاه ولى الله صاحب حجة الله البالغة .

بأن الهند أصبحت دار حرب ومن ثم يتوجب على المسلمين أن يجردوا الجيوش ويستجمعوا القوى أداء لفريضة الجهاد ، وقد حققوا انتصارات كثيرة حتى كانت هزيمتهم بيد الخونة من المسلمين العملاء عام ١٣٨١ م فى مقاطعة بارا كوب بنجاب .

وكان السجن والنفى لعلماء المسلمين وزعمائهم أحد آثار هذه الهزيمة

التى لم تلبث إن ولدت انتفاضة أخرى ، بل ثورة شاملة عام ١٨٥٧ م ، وهى وإن لم تكن فى صالح المسلمين إلا أنها لم تكن فى نفس الوقت نهاية كفاحهم فى سبيل استرداد ملكهم وكرامتهم .

ثم الحركة التى انبعثت فى السودان على يد مهديها السيد محمد أحمد عبد الله ضد الاستعمار الإنجليزى أيضا وهزيمته القائدين هكس ـ وجوردن .

وكان أولهما من قواد الجيش الإنجليزى الذين اشتركوا فى قمع الثورة الهندية سنة ١٨٥٧ م ـ وثانيهما من الضباط الدوليين الذين اشتركو فى تدريب الجيش الصينى على النظام الحديث وقمع الثورة على حكومة بكين[1] .

وقتل كلا القائدين أمام حركة المهدى السودانى وكاد يقضى على الحكم الإنجليزى فى السودان نتيجة لذلك وذاعت أخبار هذه الهزائم ، واستبد الخوف بالإنجليز وحكومتهم فى الهند من أثر الحركة المهدوية السودانية فى توجيه ثورة المسلمين فى الهند افتتاناً وإيماناً بالمهدوية السودانية المنتصرة .

فدفع الإنجليز هذا إلى خلق القاديانية ، ولعل انتشار دعوة السيد جمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده باسم الجهاد ضد الاستعمار الانجليزى فى العالم .

لعلها كانت من بواعث الحكومة الانجليزية فى الهند إلى الاتجاه نحو هذه الحركة المضادة للإسلام والمناهضة للمسلمين .

ثم كانت مقاومة خمسين مليوناً من المسلمين بالهند لحكمهم قبل كل ذلك وبعده الدافع الرئيسى لتفكير الإنجليز فى أن يتجهوا بثورة المسلمين هذه نحو الخداع والتضليل وبخاصة بعدما ثبت فشلهم فى أكثر من تجربة لاحتواء الثورة الإسلامية والمسلمين . فقد جربوا فى ذلك أسلوب التشكيك

(١) الإسلام فى القرن العشرين ، عباس محمود العقاد ص ١٦٤ ، وانظر القاديانية ، ثورة على النبوة والإسلام لأبو الحسن الندوى ص ٤ .

حق الإسلام وعقائده ومبادئه ، وكانت المقاومة هى رد الفعل الوحيد .

ثم جربوا العنف والمضايقة والنفى للكبراء والعلماء ولم يختلف رد الفعل ولم يكن أمامهم بد من اللجوء إلى مؤامرة القاديانية .

وتذكر مجلة العروة الوثقى - للسيد جمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده - وقد صدر العدد الأول منها فى ١١ مارس سنة ١٨٨٤ . وصدر العدد الأخير وهو الثامن عشر فى ١٧ أكتوبر سنة ١٨٨٤ - فى أحد أعدادها وصفاً لهدف الحركة التقدمية التى قام بها السيد أحمد خان [1] . فى الهند تقول :

لما استقرت أقدامهم - الإنجليز - فى الهند وألقوا بها عصام ، ومحيت آثار السلطنة التيمورية (نسبة إلى تيمور لنك مؤسس دولة المغول فى القرن السادس عشر الميلادى) نظروا إلى البلاد نظرة ثانية فوجدوا فيها خمسين مليوناً من المسلمين ، كل واحد منهم مجروح الفؤاد بزوال ملكهم العظيم ، وهم يتصلون بملايين كثيرة من المسلمين شرقاً وغرباً وشمالا وجنوباً ، أحسوا المسلمين ما داموا على دينهم ، وما دام القرآن يتلى بينهم ، فمحال أن أن يخلصوا فى الخضوع لسلطة أجنبى عنهم ، خصوصاً إن كان ذلك الأجنبى خطف الملك منهم بالخديعة أو المكر تحت ستار المحبة والصداقة .

فطفقوا - الإنجليز - يفتشون بكل وسيلة لتوهين الاعتقاد الإسلامى ، وحملوا القسس والرؤساء الروحانيين على كتابة الكتب ونشر الرسائل محشوة بالطعن فى الديانة الإسلامية ، مفعمة بالشتائم والسباب لصاحب الشريعة - برأه الله مما قالوا - فأتوا من هذا العمل الشنيع ما تنفر منه

---

(١) ١٧ أكتوبر سنة ١٨١٧ ، ١٨٩٨ م ، وله مؤلفات حياة محمد سنة ١٨٧٠ وتفسير القرآن ١٨٨ ، ١٨٩٥ إلى سورة الكهف . وتفسير الإنجيل وقد سماه تبيان الكلام سنة ١٨٦٢ .

الطباع ولا يمكن معه لذى غيرة أن يقيم على أرض تنتشر فيها تلك الكتب وأن يسكن تحت سماء تشرق شمسها على مرتكبي ذلك الإفك العظيم .

وما قصدهم بذلك إلا توهين عقائد المسلمين ، وحملهم على التدين بمذهب الإنجليز . هذا من جهة . ومن جهة أخرى أخذوا فى تضييق سبل المعيشة على المسلمين ، وتشديد الوطأة عليهم والإضرار بهم من كل وجه ، فضربوا على أيديهم فى الأعمال العامة ، وسلبوا أوقاف المساجد والمدارس ، ونفوا علماءهم وعظماءهم إلى جزيرة إندومان ، رجاء أن تفيدهم هذه - إن لم تفدهم الأولى - فى رد المسلمين عن دينهم بإسقاطهم فى أغوار الجهل بعقائدهم حتى يذهلوا عما فرضه الله عليهم .

فلما خاب أمل أولئك الحكام الجائرين فى الوسيلة الأولى ، وطال عليهم الأمد فى الاستفادة من الثانية نزعوا إلى تدبير آخر فى إزالة الدين الإسلامى من أرض الهند أو إضعافه ، لأنهم لا يخافون إلا من المسلمين أصحاب ذلك الملك المنهوب والحق المسلوب . فاتفق أن رجلا اسمه (أحمد خان بهادور) لقب تعظيم فى الهند - كان يحوم حول الإنجليز لينال فائدة من لديهم ، فعرض نفسه عليهم ، وخطا بعض خطوات لخلع دينه ، والتدين بالمذهب الإنجليزى ، وبدأ الأمر بكتابة كتاب [1] يثبت فيه أن التوراة والإنجيل ليسا محرفين ولا مبدلين لينال بذلك الزلفى عندهم ثم راجع نفسه فرأى أن الإنجليز لن يرضوا عنه حتى يقول : إنى نصرانى . وأن هذا العمل الحقير لا يؤتى عليه أجراً جزيلا . خصوصاً وقد أتى بمثل كتابه ألوف من القسس والبطارقة . وما أمكنهم أن يحولوا من المسلمين عن الدين أشخاصاً معدودة - فأخذ طريقاً آخر فى خدمة حكامه الإنجليز ، بتفريق

---

(١) اسمه تبيان الكلام : أخرجه فى سنة ١٨٦٢ ، وفسر فيه الإنجيل .

كلمة المسلمين وتبديد شملهم . فظهر بمظهر الطبيعيين الدهريين ، ونادى بأن لا وجود إلا للطبيعة العمياء ، وليس لهذا الكون إله حكيم . إن هذا إلا الضلال المبين.. » وأن جميع الأنبياء كانوا طبيعيين لايعتقدون بالإله الذى جاءت به الشرائع « نعوذ بالله » ولقب نفسه بالطبيعى . وأخذ يغرى أبناء الأغنياء من الشبان الطائشين فمال إليه أشخاص منهم ، تملصا من الشرع الشريف وسعياً خلف الشهوات . فراق الحكام الإنجليز مشربه . ورأوا فيه خير وسيلة لإفساد قلوب المسلمين ، فأخذوا فى تعزيزه وتكريمه ، وساعدوه على بناء مدرسة فى عليكرة وسموها مدرسة المحمديين لتكون فخا يصيدون به أبناء المؤمنين ليربوهم على أفكار هذا الرجل أحمدخان بهادور.

وكتب أحمد خان تفسيراً[1] على القرآن الكريم يحرف الكلم عن مواضعه ويبدل ما أنزل الله . وأنشأ جريدة باسم تهذيب الأخلاق ، لا ينشر فيها إلا ما يضل عقول المسلمين ويوقع الشقاق بينهم ، ويلقى العداوة بين مسلمى الهند وغيرهم ـ خصوصاً بينهم وبين العثمانيين ، وجهر بالدعوة لخلع الأديان كافة ، لكن لا يدعوا إلا المسلمين ونادى الطبيعة الطبيعة ، ليوسوس للناس بأن أوربا ما تقدمت فى المدنية وما ارتفعت فى العلم والصنعة ، وما فاقت فى القوة والاقتدار إلا برفض الأديان ، والرجوع إلى الغرض المقصود من كل دين ـ على زعمه ـ وهو : بيان مسالك الطبيعة . . . قد افترى على الله كذبا .

ولما كنا بحيال الدين فى الهند ـ فى سنة ١٨٧٩ ـ أحسسنا من بعض ضعاف العقول اغتراراً بترهات الرجل وتلاميذه ، فكتبنا رسالة فى بيان

(١) عمل فى هذا التفسير من ١٨٨٠ إلى ١٨٩٥ م وانتهى فيه إلى سورة الكهف .

مذهبهم الفاسد وما ينشأ عنه من المفاسد ، وأثبتنا أن الدين أساس المدنية وقوام العمران وطبعت رسالتنا فى اللغتين الهندية والفارسية (اسمها : الرد على الدهريين) هؤلاء الدهريون ليسوا كالدهريين فى أوربا ، فإن من ترك الدين فى البلاد الغربية تبقى عنده محبة أوطانه ، ولا تنقص حميته لحفظ بلاده من عاديات الأجانب ويفدى مصلحتها بروحه أما أحمد خان وأصحابه فإنهم كما يدعون الناس لنبذ الدين ، يهونون عليهم مصالح أوطانهم ويسهلون على النفوس تحكم الأجنبى فيها ، ويجتهدون فى محو آثار الغيرة الدينية والجنسية ... لا لأجر جزيل ولا شرف رفيع ولكن لعيش دنىء وتقع زهيد ، وهكذا يمتاز دهرى الشرق عن دهرى الغرب بالخسة والدناءة بعد الكفر والزندقة[1] .

ويقول السيد جمال الدين الأفغانى فى عدد آخر من أعداد هذه المجلة[2] ومن هذا ـ من أسباب السياسة الأوربية ـ ما سلك الإنجليز فى الهند لما أحسوا بخيال السلطنة يطوف على أفكار المسلمين منهم لقرب عهدهم بها ، وفى دينهم ما يبعثهم على الحركة إلى استرداد ما سلب منهم ، وأرشدهم البحث فى طبائع الملل إلى أن حياة المسلمين قائمة على الوصلة الدينية ، وما دام الاعتقاد المحمدى والعصبية الملية سائدة فيهم فلا تؤمن بعثتهم إلى طلب حقوقهم ، فاستهووا طائفة ممن يتسمون بسمة الإسلام ويلبسون لباس المسلمين ، وفى صدورهم غل ونفاق ، وفى قلوبهم زيغ وزندقة ، وهم المعروفون فى البلاد الهندية بالدهريين والطبيعيين . فاتخذهم الإنجليز أعواناً لهم على إفساد عقائد المسلمين وتوهين علائق التعصب الدينى ليطفئوا بذلك نار حميتهم ، ويبددوا

---

(١) العروة الوثقى ص ٥٧٢ - ٥٧٥ .

(٢) ص ٩٦ .

جمعهم ويمزقوا شملهم - وساعدوا تلك الطائفة على إنشاء مدرسة فى عليكرة ، ونشر جريدة لبث هذه الأباطيل بين الهنديين حتى يعم الضعف فى العقائد ، وتهن الصلات بين المسلمين فيستريح الإنجليز فى التسلط عليهم » . ويعلق الدكتور البهى على هذا بقوله : لحركة السيد أحمد خان ، كانت تقوم على الافتتان بالعلم الطبيعى والحضارة الغربية المادية ، كما يفتتن فى عصرنا الحاضر بعض المفكرين بما يسمى العلم ، وبالمركبات الحضارية التى قامت عليه ، والافتتان بالعلم الطبيعى أو بالطبيعة كما يقال ، يؤدى إلى خفة وزن القيم الروحية والمثالية . وهى القيم التى تقوم عليها رسالة الأديان السماوية التى يمثلها الإسلام أوضح تمثيل - وقد يصير الافتتان بهذا العلم الطبيعى إلى إنكار كل قيمة أخرى عما لا يشاهد فى الطبيعة ويدرك بالحس الإنسانى . ومن هنا ربط السيد جمال الدين الأفغانى بين إلحاد السيد أحمد خان ومذهبه الدهرى أو الطبيعى - مع بقاء انتسابه إلى الإسلام ، ونعته بالإلحاد رغم ما كان يكرره (السيد أحمد خان) من القول بأنه يدافع عن الإسلام ، وأنه يبغى أن يوجد طريقاً للمسلم المعاصر ، يوفق فيه بين إسلامه وتقبله الحياة العصرية التى قامت إثر نهضة العلم الطبيعى .

وقد نهج السيد أحمد خان فى تفسيره للقرآن الكريم ، على تطبيق آياته على أساس طبيعى عما يناقض تماماً القول بالمعجزات وخوارق العادات ولهذا جعل النبوة غاية تحصل وتكتسب عن طريق الرياضة النفسية فهى غاية إنسانية طبيعية ، وطريقها طريق إنسانى غير خارق للعادة ، ولكنه مع ذلك يقر ختم الرسالة الإلهية ببعثة المصطفى عليه الصلاة والسلام .

وفى شرحه [illegible]ات القتال . أضعف من فريضة الجهاد فى الوقت الحاضر كما أنه فى الآيات الأخرى الخاصة بأهل الكتاب عبر فى غير لبس عن توهين

الفجوة بين أهل الكتاب من جانب والمسلمون من جانب آخر ، وطلب التعاون بين المسلمين والغربيين ، ودعا إلى ما أسماه . إنسانية الأديان . أى المعنى الإنسانى العام الذى تدعو الأديان السماوية إلى اعتباره وحفظه ، وهو ما يشبه اليوم فكرة العالمية . التى تتبناها اليهودية الرأسمالية والشيوعية الدولية ، وقد كانت من قبل تلقب بالفكرة الماسونية ، وفى هذه الفكرة تنمحى كل الفوارق بين الأوطان والقوميات والأديان والمذاهب .

ولم يكن السيد أحمد خان داعية فقط لهذا التجديد (المفرض) ، أو هذه التقدمية (المنحرفة) فى الإسلام وإنما كان كذلك صحفياً ومؤلفاً ومدرساً ومشرفاً على كلية علمية[1] دينية (الكلية الإنجليزية الشرقية المحمدية) خرجت الكثير من شباب الهند التقدميين ، وتحولت الآن إلى الجامعة الإسلامية فى الهند . بعد تقسيم سنة ١٩٤٨ م ، وفيها تدرس المسيحية بالعناية التى يدرس بها الإسلام ، مع أخذ حظ وافر من العلوم الحديثة والنظم الجامعية الغربية (الإنجليزية) .

ولهذا كان للسيد أحمد خان نفوذ سياسى تربوى يقترن بنزعته التجديدية الدينية ، أثرت بدورها فيما بعد فى خلق المذهب القاديانى[2] وقد حاول بعض المفسرين أن يفصلوا دور السيد أحمد خان فى هذا المجال عن دور مؤسس القاديانية غلام أحمد ، مشبهين دوره فى الهند بدور الشيخ محمد عبده فى مصر ، من أن كليهما كان يرمى إلى أن يعد المسلمين للتزود من العلوم

---

(١) وقد افتتحت فى مايو سنة ١٨٧٥ م .

(٢) الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى . الدكتور محمد البهى ص ٤٣ .

الحديثة بجانب العلوم الإسلامية ، ولو كان ذلك عن طريق مداهنة الاستعمار ، وهو توسع من هؤلاء فى مفهوم التجديد الدينى والتماس المعاذير لرجل الهند .

ولكن رجلا كالسيد أحمد خان يدخل دائرة الإلحاد ، ويدعو إلى خلع الأديان ، وينحرف عن خط الإسلام العقدى ، فلم يؤمن بغير وجود الطبيعة مصدراً للحياة وأصلا للكائنات .

رجل كهذا لا يسمح الحكم الموضوعى عليه بأن يعد فى مصاف المجددين والرواد فى مجال الدين الإسلامى ، والحق هو ما ذهب إليه السيد جمال الدين الأفغانى من كونه مرحلة أولى قصد بها الاستعمار قصداً أن تكون هكذا لظهور القاديانية .

أسباب ترجيح الاستعمار لغلام أحمد :

ولعل دور السيد خان لم يكن كافياً ولم يجد فيه الاستعمار الغنية عن دور الغلام القاديانى وقد جاهر بالإلحاد والدعوة إلى التنصل من الأديان لأن درجة الاستجابة فى هذه الحال لم تكن مقنعة ولن تكون ريادته مثمرة .

فالمسلمون ذوو الطبيعة الدينية لن يؤتوا من قبل دينهم إلا عن طريق الخديعة والمكر . هذا ما أنتجته الدراسة والمداولات التى أعد الإنجليز لها الاجتماعات ذات المستوى الرفيع فى عاصمتهم بانجلترا .

ولم يكن بد أمام الحكومة الإنجليزية من تنفيذ هذا المخطط الذى يقوم على اختيار شخصية من بين المسلمين أنفسهم اشتهرت على درجة ما من الشهرة بالدرس والبحث فى التراث الدينى والتنسك والترسم برسوم العبادة والتى يتوفر فيها مقومات أخرى كثيرة ترجع فى أصلها وغايتها إلى الولاء والحب للإنجليز ، ولا يمكن أن يكون لهذه الشخصية وجود من بين طوائف

العقلاء وأصناف المتدينين الصادقين ، بل يجب أن تكون هذه الشخصية مضطربة الفكر مهزوزة العقيدة ، معتلة النفسية متناقضة الرأى والأخلاق .

ولقد وفق الإنجليز فى اختيار غلام أحمد ليقوم بهذه المهمة خير قيام ، إذ اكتملت كل مقومات الشخصية العميلة فى هذا الرجل .

وينقل الأستاذ أبو الحسن الندوى عن دائرة المعارف القاديانية ، قاديانى مذهب ، للأستاذ محمد إلياس البرنى .

أن شخصية غلام أحمد اجتمع فيها ثلاث خصال يتحير المؤرخ أيها كانت فى المكانة الأولى والدافع الحقيقى :

أولاها : الطموح إلى تبوء الزعامة الدينية والاستيلاء على العالم الإسلامى باسم النبوة .

وثانيتها : الماليخوليا التى لها شواهد وبينات تفيض بها كتبه وتراجمه ، وقد تواتر ذلك عنه واستفاض .

والثالثة : وهى أدهى وأمر . الأغراض السياسية الغامضة وخدمة الحكومة البريطانية والعمل لمصلحتها[1] .

ويكشف بعض الباحثين حقيقة تدينه وتسربله بسرابيل العباد ومسوح المتصوفة والمجاذيب وتعلقه بالكرامات والمكاشفات وأن كل ذلك إنما كان منه قصداً إلى الحصول على أسباب التعايش التى افتقدها وتقطعت به إلى مهاوى الفاقة والأعواز ، وبخاصة بعد افتقاده لوظيفته فى سيالكوت ، فوجدا الفرصة فى افتتان المسلمين بعلمائهم والتفافهم من حولهم وتقديمهم كل معونة من مال وخدمات لحماة الإسلام والمدافعين عن عقيدته وتراثه من غائلة أعدائه وشر مناهضيه .

---

(١) القاديانية ثورة على النبوة والإسلام ص ٥

وهم حينئذ يتمثلون فى الهندوس ورجال الدين المسيحى ، فتقمص الغلام شخصية العالم المسلم وشهر سيفه فى وجه الهندوس والمسيحيين ، وجرد قلمه فى الرد على هؤلاء وأولئك وملاحقتهم فى الصحف المشهورة والخطب المؤثرة والمناظرات الحادة ، وحين نجحت خدعته للمسلمين فى انبهاره بدينه أعلن عزمه على تأليف كتاب يستقصى فيه كل ماورد على الإسلام من شبهات وإيرادات من قبل خصومه وأعدائه أياً كانت عقيدتهم ، ثم أعلن أنه سيبلغ بالكتاب خمسين مجلداً .

ودعا المسلمين أن يعاونوه فى تكاليف الطبع ولو عن طريق الاشتراكات وما كان للمسلمين أن يقصروا فى إجابة دعواه ، وإصدر أجزاء خمسة من هذا الكتاب .

أولها : ما يعرف بالبراهين الأحمدية ، وكلها لا تحتوى إلا على التنويه بمناقبه وكراماته ، ومديحه الاستعمار الإنجليزى ، فوق ما يخالف من المبادىء أصول الإسلام ، وكان المنتظر أن تجند مثل هذه الكتب لخدمة الإسلام والزود عنه كما وعد بذلك ، وظهرت حقيقة مسلكه المخادع للحصفاء من المسلمين وعلمائهم ، وبان لهم أن هدفه الحقيقى كان فى الظفر بأموال المسلمين لا بإيجادهم ، وإحراز الشهرة والجاه ، لا الانتصار للإسلام ومبادئه .

كل ذلك وغيره قد هيأ للاستعمار الإنجليزى أن يختاره ليواصل رحلة الخديعة ويتمادى فى تلوين وتنويع الكيد للمسلمين مؤكداً شدة حرصه على الإسلام وإخلاصه لأمته ، لاسيما أن غلام أحمد كان سليل تلك الأسرة التى عرفت بشدة ولائها للاستعمار وتفانيها فى خدمة الإنجليز وأهدافهم ضد وطنها وأمنها .

غلام أحمد وموالاته وحبه للإنجليز :

ولم يكن غريباً حينئذ أن يجعل موضوع الجزء الثالث من كتابه السابق الذكر مدح الإنجليز والتنويه بمفاخرهم وإحساناتهم ، ولما سئل عن ذلك ادعى أنه مامدح هذه الحكومة إلا اتباعاً لتعاليم القرآن والسنة[1] وكثيرة تلك العبارات التى اشتهرت فى أقواله وكتاباته من مدح الإنجليز وحكومتهم وأفضالهم عليه وعلى أسرته ، وما يجب لهم عليه من الولاء والطاعة وما يمكن أن يحصل عليه بجهده الزائد ونشاطه المتصاعد من خضوع أكبر عدد من المسلمين وطاعتهم للحكومة الإنجليزية دون أن تراق قطرة دم فى هذا الصدد لذا رفع من أول وهلة شعار « انتهاء عهد الجهاد بالسلاح وسقوط فريضته عن المسلمين ، إذ لم تعد بهم حاجة إليه بعد انتشار الإسلام وقوة شوكته ومما اشتهر من أقواله فى حب الحكومة الإنجليزية والولاء لها ومكافأتها بإضعاف فريضة الجهاد وقوله : « لقد قضيت معظم عمرى فى تأييد الحكومة الإنجليزية ونصرتها وقد ألفت فى منع الجهاد ووجوب طاعة أولى الأمر الإنجليز من الكتب والنشرات مالو جمع بعضها إلى بعض لملأ خمسين خزانة وقد نشرت جميع هذه الكتب فى البلاد العربية ومصر والشام وكابل والروم[2] » ويقول فى موضع آخر : « لقد ظللت منذ حداثة سنى - وقد ناهزت اليوم الستين - أجاهد بلسانى وقلمى لأصرف قلوب المسلمين إلى الإخلاص للحكومة الإنجليزية والنصح لها والعطف عليها وأنفى فكرة الجهاد التى يدين بها بعض جهالهم والتى تمنعهم من الإخلاص لهذه الحكومة[3] » .

---

(١) إعلان الغلام المندرج فى براهين أحمدية . الجزء الرابع .

(٢) ترياق القلوب تأليف غلام أحمد القاديانى ص ١٥ .

(٣) ملحق بكتاب (شهادة القرآن) من قلم غلام أحمد القاديانى الطبعة السادسة ص ١٠ .

ويقول فى نفس الكتاب : « أنا مؤمن بأنه كلما ازداد أتباعى وكثر عددهم قل المؤمنون بالجهاد لأنه يلزم من الإيمان بأنى مسيح أو مهدى إنكار الجهاد»⁽¹⁾ وقال فى موضع آخر : « لقد ألفت عشرات من الكتب العربية والفارسية والأردنية وبينت فيها أنه لا يحل (الجهاد) أصلا ضد الحكومة الإنجليزية التى أحسنت إلينا بل – بالعكس من ذلك – يجب على كل مسلم أن يطيع هذه الحكومة بكل إخلاص ، وقد أنفقت على طبع هذه الكتب أموالا كبيرة وأرسلتها إلى البلاد الإسلامية وأنا عارف أن هذه الكتب قد أثرت تأثيراً عظيما فى أهل هذه البلاد (الهند) وقد كون أتباعى جماعة تفيض قلوبهم إخلاصاً لهذه الحكومة والنصح لها ، إنهم على جانب عظيم من الإخلاص وأنا أعتقد أنهم بركة لهذه البلاد ومخلصون لهذه الحكومة الإنجليزية »⁽٢⁾ . ثم يصل به الأمر إلى أن يدعو أتباعه إلى أن يجعلوا طاعتهم للحكومة الإنجليزية واجباً شرعياً لأن الحاكم الإنجليزى يعد فى نظره ولى أمر المسلمين فطاعته استجابة لأمر الله فى قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » ومن كلامه فى هذا (أنا أشكر الله عز وجل أنه أظلنى تحت ظل رحمة بريطانية التى أستطيع تحت ظلها أن أعمل وأعظ فواجب على رعية هذه الحكومة المحسنة أن تشكر لها وخصوصاً على أن أبدى لها الشكر الجزيل لأنى ما كنت أستطيع أن أنجح فى مقاصدى العليا تحت ظل أية حكومة أخرى سوى حكومة حضرة قيصر الهند وقال : لعنة الله على من يريد الافتراق والفساد وعلى من لا يريد أن يكون تحت أمر الأمير مع أن الله قال أطيعوا الله والرسول وأولى الأمر فالمراد من أولى الأمر هنا هو الملك المعظم ولذا أنا أنصح مريدى وأشياعى بأن

---

(١) ص ١٧

(٢) (القاديانية ثورة) لأبى الحسن الندوى .

يدخلوا الإنكليز فى أولى الأمر ويطيعوه من صميم قلوبهم بلذة»(١) لم يمن على الحاكم الإنجليزى بخدماته وتضحياته فى سبيل حكومته حينما كان يستجديه ويطالب معونته فيقول :

« العريضة التى أعرضها إلى حضرتكم مع أسماء أتباعى ليس المقصود منها إلا أن تلاحظوا الخدمات الجليلة التى أديت أنا وآبائى فى سبيلكم وكما ألتمس وأرجو من الدولة العالية أن تراعى الأسرة التى أثبتت بكمال وفائها وإخلاصها طوال خمسين سنة بأنها من أخلص المخلصين للحكومة والتى أقر واعترف بولائها أكابر أمراء الحكومة العظمى وحكامها وكتبوا لها وثائق وشهادات على أن هذه الأسرة أسرة خدام وأسرة مخاصين ، فلذا أرجو منكم أن تكتبوا للحكام الصغار برعاية هذه الشجرة وحفظها التى ماغرسها إلا أنتم كما أرجو أن ينظروا إلى أتباعى بنظرة خاصة وديه لاننا ماتأخرنا أبداً عن التضحيات فى سبيلكم لا بالنفوس ولا بالدماء كما لانتأخر بعد ذلك فلأجل هذه الخدمات الجليلة نحن نستحق أن نطالب من الحكومة العظيمة المد والعون لكى لايجرؤ أحد علينا(٢) .

ويخرجنا عن إصابة الغرض استقصاء أكثر من ذلك الذى عرضناه من أقوال الغلام التى تفيض بإخلاصه فى عمالته للإنجليز .

الأمر الذى كان فى مقدمة مقومات اختياره لخداع المسلمين واستمالتهم لصالح الحكومة الإنجليزية باسم الإسلام وباسم تعاليم القرآن والسنة التى أوغل فى تحريفها بمسلكه الباطنى فى تأويل نصوص القرآن والسنة لتوافق مصالحه وأطماعه الشخصية كما سيتبين فيما بعد .

---

(١) فى رسالة تحفة قيصرية ص ٢٧

(٢) عريضة غلام أحمد نائب أمير الهند المندرجة فى كتاب تبليغ رسالة جـ٧ القاسم القاديانى

التعريف بشخصية الميرزا غلام أحمد
وأهم مقومات شخصيته

إن طرح شخصية ميرزا غلام أحمد موضوعاً للتحليل العلمي يكشف عن شخصية أفضل ما يقال عنها إنها تفتقد كل المقومات التي يجب أن تتوفر لواحد يعد من العظماء الذين احتفظ لهم التاريخ بمثل من الآثار المبرزة، أو يمكن أن يعتبر واحداً من الزعماء والمصلحين أصحاب الرسالات التوجيهية المتميزة في باب الزعامة والإصلاح.

بل إن شخصية الميرزا لتبلغ أمام هذا التحليل أقصى مبلغ من الاهتزاز والضآلة في سائر جهات الشخصية، ولنحاول الآن تقصي هذه الجهات بما يتسع له المجال من التحليل حتى تؤكد الدعوى بالدليل.

١ - فمن الجهة النفسية: تتفق المصادر كلها سواء منها ما نسب إلى غلام أحمد نفسه، أو ما نسب إلى كبار المخلصين من أتباعه، على أن الميرزا كان مصاباً بأمراض الهستيريا، والماليخوليا، وسوء الذاكرة، وغيرها من الأمراض النفسية التي لا يشك عاقل من أن ما يصدر عن مثله من كلام عادي فضلا عن دعوى الوحي والرسالة إنما هو قبيل العبث والهذيان.

أما عن إصابته بالهستيريا فيذكر بشير أحمد ابن الميرزا أن طبيب أبيه الدكتور محمد إسماعيل القادياني قد أخبره أن حضرة المسيح (غلام أحمد) مبتلى بهستيريا[1].

---

(١) سيرة المهدي ج ٢ ص ٥٥.

وتذكر زوجة الميرزا غلام أحمد ـ أن حضرة المسيح الموعود أصيب بالصداع ودوار الرأس والهستيريا أول مرة حين ولادة البشير الأول . . ثم توالت نوبات هذه الأمراض الخطيرة مرة بعد أخرى [١] .

وأما عن إصابته بالماليخوليا فينقل عنه أحد أتباعه قوله إنى مصاب بالهستيريا ، وكان يقول أحياناً إنى مصاب بالقطرب [٢] .

وتذكر رسالة ريفيفيو قاديان أنه أصيب بالقطرب إلا أن هذا المرض لم يكن متوارثاً وإنما أصابه من مؤثرات خارجية [٣] .

والقطرب نوع من الماليخوليا الذى ضرب من الجنون وهو يفسد العقل ويقطب الوجه ويديم الحزن ويهيم بالليل ويغور العينين وينحل البدن [٤] .

كما تذكر مجلة قاديانية أن حضرة المسيح ابتلى بمرض المراق بسبب ضعف فى الدماغ [٥] .

وقال غلام أحمد نفسه (إنى مبتل بمرض المراق) [٦] .

والمراق نوع من الماليخوليا كما قال الطبيب العلامة برهان الدين فى شرح الأسباب والعلامات لأمراض الرأس [٧] .

---

(١) نفس المصدر ج ١ ص ١٣ .

(٢) المصدر السابق جـ ٢ ص ٥٥ .

(٣) العدد الصادر فى أغسطس ١٩٢٦ م ص ١٠ .

(٤) ما هى القاديانية (أبو الأعلى المودودى جـ ١ ص ١٧ .

(٥) مجلة قاديانية ريويو آف ريليجنز أغسطس ١٩٢٦ م .

(٦) جريدة قاديانية ـ الحكم ـ ٣١ أكتوبر ١٩٠١ م .

(٧) شرح الأسباب جـ ١ ص ٧٤ وانظر القاديانية دراسات وتحليل إحسان إلهى ظهير ص ١٣٢ .

وأما عن مرض سوء الذاكرة : فيقول غلام أحمد عن نفسه (ذاكرتي سيئة جداً إلى حد أني مهما قابلت أحداً من الناس مراراً وتكراراً أنساه ، ولا أستطيع الإعراب عما أعاني من فساد الذاكرة من الآلام)[1].

هذه نماذج من أخطر الأمراض النفسية التي بلي بها شخص الميرزا غلام أحمد الذي تجاوز حد العقل والعرف حين ادعى النبوة ، والمسلمون من أهل العلم بالرواية والدراية يردون مرويات أولئك الذين اختل فيهم شرط الضبط والحفظ .

وعدم الضبط وسوء الحفظ قد لا يكون سببه أحدهما الجنون أو الهستيريا .

فمجرد رواية الوحي يردها علماء الحديث لعدم الضبط وسوء الحفظ ، فقبول دعوى الوحي والرسالة من مجنون شهد هو بجنونه لا يكون إلا نوعاً أشد وأفظع من الجنون .

٢ - فإذا تجاوزنا المقومات النفسية لغلام أحمد إلى مقوماته الخلقية لم نجده أسعد حظاً في هذا الباب من سابقه - ونستطيع القول أن أخلاق الرجل - كما سيتضح من الدراسة الآتية - لا ترشحه لأن يكون شخصاً جديراً بأدنى درجات التقدير والاحترام فضلا عما فوق ذلك من الدرجات والمراتب ،أليس ذلك بالشيء الكثير - على شخص عرف بالكذب في القول وبذاءة اللسان والتزوير وسوء المعاملة وتعاطي المخدرات وغير ذلك مما تشهد به أقواله وأقوال أتباعه ومريديه عنه .

(١) المكتوبات الأحمدية ج ٥ رقم ٣ ص ٢١ .

فلدينا أمثلة على هذه الرذائل يكفينا أن نعرض بعضها ، فقد أورد إحسان إلهى ظهير - وهو كاتب باكستانى مسلم - فى كتابه (القاديانية) كثيراً منها ، وكتابه ثبت فى كثير من الحقائق والأخبار الموثقة عن هذه الطائفة .

وعاطفة المؤمن الجياشة مما أضفى على كتابته كثير من الحماس فغلب عليها طابع الخطابة ومع ذلك فقد نال كثيراً من إعجابى وقد أفدت منه كثيراً .

كذب الميرزا غلام أحمد :

وأكاذيب الغلام غير قليلة بصرف النظر حتى عن أكذوبته الكبرى - أعنى ادعاءه النبوة والرسالة - فهى أصل دعوانا التى نحشد لإبطالها كل هذه الأدلة .

فمن هذه الأكاذيب قوله : إنه قد بايعه فى السنوات العديدة أكثر من مائة ألف شخص ، ذكر هذا فى أحد كتبه المسمى بتحفة الندوة .

كما نشر له مثل ذلك التصريح فى مجلة قاديانية[1] .

ثم بعد ذلك بنحو ثلاث سنوات ونصف صرح فى بعض كتبه أنه قد تاب على يديه قريباً من أربعمائة ألف شخص[2] .

ومن الممكن أن لا يكون ذلك من قبيل التناقض بين الكلامين بأن يكون العدد قد بلغ أربعة أضعافه فى هذه المدة الوجيزة ، مع عدم خلوه من المبالغة

---

(١) ريو يو آف ريليجنز سبتمبر ١٩٥٢ م .

(٢) تجليات إلهية ص ٣ المطبوع ٣ مارس ١٩٠٦ م وتتمة حقيقة الوحى ص ١١٧ .

الظاهرة ، وبخاصة أن ابنه وأحد خلفاءه قد صرح بعد موت أبيه بنحو أربعة عشر سنة أن أفراد القاديانية قد بلغوا مالا يزيد عن هذا الرقم بعدد كثير[١] .

ولكن ابنه هذا أتى بما يناقض ويكذب كلامه وكلام أبيه من قبله حيث نشرت مجلة قاديانية تصريحاً له بأن عدد القاديانية فى بنجاب ست وخمسين ألف نسمة حسب الإحصاءات الرسمية ويقدر عدد القاديانية فى بقية الهند عشرين ألف قاديانى ، فهكذا يبلغ عددنا ستا وسبعين ألف شخص[٢] .

ومن أكاذيب الغلام أيضاً قوله : أن نبوءاته أكثر من ثلاثة آلاف نبوءة[٣] .

قال ذلك سنة ١٨٩٩ م وكذبه بنفسه بعد ذلك بسنتين إذ جاء عنه أن نبوءاته لم تزد على مائة وخمسين[٤] .

كما ورد عنه القول بزيادة معجزاته على المليون معجزة[٥] .

وكان الأمر يهون عند هذا الحد،ولو أن الكذب رذيلة لا تبرر . إلا أنه قد بلغ فى هذا الباب أخطر ما يمكن أن يبلغه كذاب مفحش فى الكذب . إذ لم يسلم القرآن ولم تنج السنة من كذبه وافتراته .

---

(١) جريدة قاديانية (الفضل) ٢٦ يوليو ١٩٢٢ م .

(٢) خطاب محمود أحمد ابن الغلام وخليفة القاديانية المندرج فى جريدة قاديانية (الفضل) ٢١ يونيو ١٩٣٤ م .

(٣) حقيقة المهدى ص ٨ المطبوع ١٨٩٩ م .

(٤) إزالة غلطة ص ٧ المطبوع ١٩٠١ م وانظر القاديانية إحسان إلهى ظهير ص ١٥٢ .

(٥) تذكرة الشهادتين للغلام ص ٤١ .

فقد زعم أن من آيات القرآن آية تقول : (وجادلهم بالحكمة والموعظة الحسنة)[١] وليس ذلك قطعاً من القرآن ، والذى هو من القرآن وأراد تحريفه هذا الغلام قول الحق تبارك وتعالى « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن »[٢] .

وآية أخرى تقول : « يوم يأتى ربك فى ظلل من الغمام »[٣] وصحة النص القرآنى « هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة وقضى الأمر وإلى الله ترجع الأمور »[٤] .

وآية ثالثة تقول : (لا يوجد أظلم ممن افترى على وأنا أهلك المفترى عجلا ولا أمهله)[٥] ويبدو أن الغلام يقصد « فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته أنه لا يفلح المجرمون »[٦] .

وهكذا افترى الرجل على القرآن الكريم فنسب إليه ما ليس منه ولا يمكن أن يقبل منه زعم رواية القرآن بالمعنى ، فهذا غير جائز فيما تقرر عند طلاب العلم فضلا عن أئمته وقد كذب على السنة أيضاً كما كذب على القرآن .

من ذلك ما نسبه إلى النبى ﷺ حين سئل عن القيامة متى تقوم من قوله :

---

(١) نور الحق للغلام جـ ١ ص ٤٦ .

(٢) سورة النحل آية ١٢٥ .

(٣) حقيقة الوحى للغلام ص ١٥٤ .

(٤) سورة البقرة آية ٢١٠ .

(٥) تذكرة الشهادتين للغلام ص ٣٤ .

(٦) سورة يونس آية ١٧ .

تقوم القيامة بعد مائة سنة على جميع بنى آدم (كـذا)[١] .

والـكذب فى نسبه هذا الـكلام إلى رسول الله ﷺ أظهر من أن يناقش لأنه يتصادم مع متواتر القرآن من قوله تعالى : « ويسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت فى السماوات والأرض لا تأتيـكم إلا بغتة »[٢] وغير ذلك من الآيات التى تدل على أن وقت القيامة مما استأثر الله بعلمه .

وأكاذيبه فى السنة كثيرة نكتفى الآن منها بهذا المثال .

ومن المقررات الشرعية أن الـكذب من كبائر الذنوب والمعاصى ، وهو كما ورد فى الحديث الصحيح يهدى إلى الفجور ، والفجور يهدى إلى النار ، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الـكذب حتى يكتب عند الله كذاباً[٣] ، وقد حرمه الله لأنه فوق كونه من أقوى الوسائل لطمس الحق الذى كان إقراره وترسيخه من أهم مقاصد الشريعة إن لم يكن أهمها على الإطلاق : فوق كونه كذلك فهو علامة قوية على جبن صاحبـه وضعفه عن مواجهة الحقيقة .

ولهذا كان حرياً بالـكذاب أن يكون شخصاً ملفوظاً من قبل مجتمعه لا يحظى بثقة أحد مهما كانت وثاقة الصلة بينهما وغنى عن التنبيه حينئذ أن تقبل من الـكذاب دعوى النبوة ، لأنه لا يوثق فى أقل أخباره قيمة . ومن

---

(١) رواه مسلم الأوهام للغلام ص ٢٥٣ .

(٢) سورة الأعراف آية ١٨٧ .

(٣) كتاب البر باب القبح الجزء جـ ٥ ص ٤٦٧ .

مقررات العلم البينة أن الصدق واجب الأنبياء والكذب مستحيل عليهم وهو المنطق الذى يتفق مع مقام التبليغ عن الله . وكذب الغلام على هذا كان يكفى أن ينقض دعواه النبوة من أساسها لولا ما التزمناه من قضية تحليل شخصيته من جميع جوانبها حتى لا يبقى هنالك مطمع من قبل أطماعه المخادعين فى عذر أو تبرير .

معاملاته المالية :

وإذا ما انتقلنا إلى سلوكه فيما يتعلق بالمعاملات المالية حتى مع مريديه ظفرنا بإحدى مخازيه مما لا يرتفع بمستوى إمام هذه الطائفة الخطرة عن مستوى السوقة والسفلة من الناس ، ولنجتزىء الأمثلة الآتية أنه دعا أتباعه ومريديه إلى التبرع بالمال وجمع ما يمكن جمعه منه وإرساله إلى حضرته ، وبرر ذلك بأنه من لوازم الدعوة لتقوية وتنشيطاً لها ، وبأن ذلك كان يحدث فى عهد محمد ﷺ وغيره من الأنبياء وتوعد من لم يستجب لدعواه هذه بأن يمحى من قائمة المريدين[1] .

وكان طبيعياً أن يستجيب الأتباع ويرسلوا إليه ما جمعوه من أموال طائلة ، وكان أكثر طبيعية أن يسخر إمامهم هذه الأموال فى خدمة الدعوة وإثراء حركتها .

ولكنه بدلا من ذلك يستغل هذه الأموال فى مآربه الشخصية والترفية عن نسائه ونساء المقربين إليه حيث يبلغ ذلك حد السرف والسفاهة ،

---

(١) لوح الهدى للغلام ص ١ ، وإعلان الغلام المندرج فى جريدة قاديانية (بدر) ٩ يوليو ١٩٠٣ م .

وبحيث يذكر من شهدوا عليه بذلك من كبار أتباعه مثل محمد على أمير الجماعة اللاهورية من القاديانيين وخوجة كمال الدين وغيرهما بأن حياة الأوربيين لا تساوى أكثر من واحد إلى عشرة بالنسبة لحياة الغلام وأهل بيته والمقربين إليه من قاديان بفضل هذه الأموال التى كان ينبغى أن تنفق لنصرة الدعوة ومبادئها (١) .

وابن الغلام نفسه فى خطاب له يؤكد : أن رجلا من أدهيانة (مدينة من مدن الهند) قال مرة : إننا نرسل التبرعات إلى القاديان بعد تحمل المشاق والمصائب ، وهناك تصرف هذه الأموال على حلى زوج غلام أحمد وأثوابها فما الفائدة من هذه التبرعات ؟ فلما بلغ هذا الخبر حضرة المسيح الموعود (الغلام القاديانى) قال : حرام عليه أن يرسل بعد ذلك شيئاً إلينا ثم ننظر ماذا يضرنا هذا (٢) .

ولما طلب من الغلام مرة أن يقدم الحساب لأتباعه قال مغضباً : أنا لست بتاجر حتى أحتفظ بحساباتى ولست بخازن لجمعية حتى أحاسب ، أنا خليفة الله فى الأرض فلا ينبغى أن أسأل أين أنفقت وأين صرفت ، والمؤمنون حقاً هم الذين يعطوننى مالا ثم لا يسألوننى سواء فهموا أو لم يفهموا . ويعتبرون الاعتراض موجباً لسلب الإيمان (٣) .

---

(١) كشف الاختلاف المفتى القاديانى سرور شاه ص ١٣ .

(٢) خطاب محمود أحمد بن الغلام وخليفته المندرج فى جريدة قاديانية (الفضل) ٣١ أغسطس ١٩٣٨ م .

(٣) ملخصاً إعلان الغلام القاديانى المندرج فى جريدة قاديانية (الفضل) ١٩ سبتمبر ١٩٣٦ م .

هكذا برر الغلام إمام القاديانية أكل الحرام . واعتبر المؤمن من أتباعه منحصراً فيمن لم يعترض عليه ولا يسأله عما أكله من أموال الناس بالباطل مع أن فيمن اعترض عليه رؤوس أتباعه من أمثال الأستاذ خوجة كمال الدين والشيخ محمد على زعيم الطائفة اللاهورية ، وقد اشتد غضبه من رسالة بعث بها الأخير إليه تتضمن مساءلته عن تلك الألوف من الروبيات التي يستغلها فى مصالحه ونزواته محتجاً بأن هذه الأموال إنما تجمع بسببه ولولاه ما جمعت فهو وحده صاحب الحق فى تصريفها ولا حق لأحد فى مساءلته[1] .

ولدينا مثال آخر : أعلن الغلام أنه يعزم على طبع كتابه (براهين أحمدية) فى خمسين مجلداً وعلى المخلصين من أتباعه أن يرسلوا إليه قيمة الكتاب مقدماً واستجاب له الكثير منهم ، ولم يخرج من هذا الكتاب إلا خمسة أجزاء فقط ، ولما سئل عن بقية أجزائه إنجازاً لما وعد قال : (نعم أنا وعدت بطبع الكتاب فى خمسين مجلداً ولكن لما أنه لا فرق بين ٥ و ٥٠ إلا نقص النقطة الواحدة فلذا لم أخلف الوعد)[2] .

ولما طلب الناس منه أن يرد إليهم قيمة ما لم يظهر من أجزاء الكتاب قال : هذا مال أعطانيه الله ولا أرد منه شيئاً ولن أجيب أحداً عن هذه المسألة ومن يسألنى الحساب ينبغى أن لا يعطينى بعد ذلك شيئاً[3] .

---

(١) مكتوب ابن الغلام إلى نور الدين المندرج فى حقيقة الاختلاف لمحمد على القاديانى ص ٥٠ .

(٢) مقدمة براهين أحمدية الغلام جـ ٥ ص ٧ .

(٣) إعلان الغلام المنشور فى جريدة قاديانية الحكم ٣١ مارس ١٩٠٥ م .

هكذا يسلك المتنبيء القاديانى فى معاملاته المالية مسالك المراوغين المماطلين مستغلا مسألة الدعوة ودعمها واحتياجها إلى المال الكثير فى الحصول على أقوات المخدوعين من أتباعه وأموالهم دون أن يسوغ لواحد منهم محاسبته أو مساءلته لأنه خليفة الله . ولأنه ليس بتاجر ولا بخازن جمعية ولأن الله هو الذى أعطاه هذا المال ومن يريد محاسبته فإن كل ما يستفيده هو أن لا يبعث إليه بشيء بعد ذلك .

والعجيب أن يظل مثل هذا المخادع متمتعاً بثقة أتباعه ومريديه يبث فيهم سمومه ضارباً أسوأ الأمثال لشخصية الداعية فى قوله وعمله .

ثم هو مع ذلك يقول أنه نبي آخر الزمان .

بذاءة لسانه :

وقد كان للغلام أسلوب آخر فى مقاومة خصومه ومخالفيه فبدلا من أن يقدم الحجة على صواب مسلكه فقد ألهب أعراضهم بسليط لسانه الذى ينم عن فقد روح خبيثة لا يملك مثل هذه الروح وتلك النفس إلا شيطان ملعون ، ضرب أسوأ المثل لاستعمال لسانه بأقبح وأفحش عبارات السب والشتم إلى حد تجاوز معه كل إسفاف وارتذال .

إن الإنسان لا يخجل أن يلوث الصفحات بكتابة مثل هذه العبارات إلا من باب تقديم البرهان على خلق هذا المتنبيء الأحمق وسننتق على الرغم من ذلك أقل العبارات التى وردت عنه حدة فمما ورد عنه فى سب مخالفيه من العلماء : لا يوجد فى الدنيا شيء أنجس من الخنزير ، ولكن العلماء الذين يخالفونى هم أنجس من الخنزير ، أيها العلماء يا آكلى الجيفة وايتها

الأرواح النجسة[١] . ثم يصف بعض مخالفيه بقوله : بعضهم كالكلاب وبعضهم كالذئاب وبعضهم كالخنازير[٢] ، ويسب مناظره المعروف الشيخ ثناء الله الأمرتسرى قائلا له : يا كلب يا آكل الجيفة[٣] - يا أبا جهل[٤] - وابن الريح الغدار[٥] .

ويصل به عدم الانضباط النفسى فى السباب حداً يستحق عليه حد القذف شرعاً ذلك حينما يسب عالماً من علماء المسلمين بقوله له :

آذيتنى خبثا فلست بصادق - إن لم تمت بالخزى يابن بغاء[٦] .

بل إنه ليسب سائر الأمة ممن ليسوا على نحلته وهو يتحدث عن كتبه فيقول تلك كتب ينظر إليها كل مسلم بعين المحبة والمودة وينتفع من معارفها يقبلنى ويصدق دعوتى إلا ذرية البغايا الذين ختم الله على قلوبهم فهم لا يقبلون[٧] .

تطاوله على الصحابة :

ولا يقف الأمر بهذا الغلام عند سب علماء المسلمين وأاضلهم ، وإنما

---

(١) إنجام آتهم للغلام ص ٢١ .
(٢) خطبة إلهامية للغلام ص ١٥٠ .
(٣) حاشية إنجام آتهم الغلام ص ٢٥ .
(٤) تتمة حقيقة الوحى ص ٢٦ .
(٥) إعجاز أحمدى الغلام ص ٤٣ .
(٦) إنجام آتهم ص ٢٨٨ .
(٧) مرآة كمالات الإسلام ص ٢٤٧ وانظر القاديانية لإحسان إلهى ظهير ص ١٤١ وما بعدها .

يصل إلى غايته من الخروج والتصدى لحدود الله فينال لسانه الدنس من أصحاب رسول الله ﷺ فيصف أبا هريرة رضى الله عنه بالغباء والجهل[١] .

ويرى نفسه أفضل من الحسين حب رسول الله ﷺ ومن أبى بكر وعمر رضى الله عنهم ، وفى ذلك يقول : إنهم يغضبون على لأنى أفضل نفسى على حسين مع أنه لم يذكر اسمه فى القرآن ، فى حين أنه قد ذكر اسم زيد ، وإذا كان الحسن أفضل فإنه كان ينبغى أن يذكر اسمه فى القرآن . وأما نسبة النبوة فقد قطعت بقوله : « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله » الآية[٢] .

والغلام يعتقد أن اسمه مذكور فى القرآن إذ هو المعنى كما يزعم بأحمد فى قوله تعالى : « ومبشر برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد »[٣] .

وفى تفضيل نفسه على الحسن والحسين يقول كذلك : يقولون أنى أفضل نفسى على الحسن والحسين ، فأنا أقول نعم أنا أفضل نفسى عليهما وسوف يظهر الله هذه الفضيلة[٤] .

وفى تفضيل نفسه على على يقول : « اتركوا التنازع للخلافة القديمة وخذوا الخلافة الجديدة ، ويوجد فيكم على حى فتتركونه وتبغون عليا ميتا »[٥] .

وفى تقديم نفسه على أبى بكر رضى الله عنه منزلة ومكانة يقول : أنا هو

(١) إعجاز أحمدى للغلام ص ١٨ .
(٢) ملحوظات أحمدية جـ ٤ ص ١٩١ ، ١٩٢ .
(٣) سورة الصف آية ٦١ .
(٤) إعجاز أحمدى ص ٢٨ .
(٥) ملحوظات أحمدية جـ ١ ص ٤٠ .

المهدى المنتظر الذى سئل عنه ، هل هو فى مرتبة أبو بكر فقال : أين أبو بكر منه ، بل هو أفضل من بعض الأنبياء[١] .

تطاوله على مقام النبوة :

ولا يستغرب هذا الخروج عن حدود الأدب والدين من هذا الرجل إذ رأى نفسه مقدماً على كثير من أنبياء الله ورسله .

فيقول عن آدم عليه السلام : « إن الله خلق آدم وجعله سيداً مطاعاً وأميراً حاكما على كل ذى نسمة كما يظهر من قوله تعالى : « اسجدوا لآدم » ثم أغواه الشيطان وأخرجه من الجنة ورجع الحكم إلى الشيطان وصار آدم ذليلا مصغراً ، ثم خلقنى الله لأهزم الشيطان[٢] .

وعن نوح عليه السلام يقول : إن الله أنزل لصدق دعواى آيات وبينات بهذه الكثرة ، لو أنزلت لنوح لم يغرق أحد من قومه، ولكن هؤلاء المعاندين ، مثلهم مثل رجل أعمى الذى يقول ليوم مشرق هذا ليل لا نهار[٣] .

ويقول عن يوسف عليه السلام : إن يوسف هذه الأمة ، يعنى أنا العاجز الحقير أفضل من يوسف بنى إسرائيل ، لأن الله شهد ابراءتى بنفسه وبآيات كثيرة حينما احتاج يوسف بن يعقوب لبراءته إلى شهادة الناس[٤] .

ويقول عن عيسى عليه السلام : إن الله أرسل من هذه الأمة المسيح

---

(١) معيار الأخبار للغلام القاديانى المندرج فى تبليغ رسالته ج ٦ ص ٣٠ .
(٢) ما الفرق بين آدم والمسيح الموعود .
(٣) تتمة حقيقة الوحى للغلام ص ١٢٧ .
(٤) براهين أحمدية .

الذى هو أعظم شأناً من المسيح الأول بمراتب، والله الذى فى قبضته روحى إن كان عيسى فى الزمن الذى أعيش فيه أنا ما كان يستطيع أن يعمل ما أعمله أنا ، وما كان فى إمكانه أن يظهر الآيات البينات التى أظهرها أنا [١] .

ويقوله عنه أيضاً : عيسى ابن مريم منى وأنا من الله سعيد الذى يعرفنى وشقى الذى غبت عن عينيه [٢] .

ويقول ابنه : قال أبى إنه أفضل من آدم ونوح وعيسى ، لأن آدم أخرجه الشيطان من الجنة ، وهو يدخل بنى آدم فى الجنة ، وعيسى صلبه اليهود ، وهو يكسر الصلب ، وهو أفضل من نوح لأن ابنه الكبير حرم من الهداية ، وأما ابنه فدخل فى الهداية [٣] .

وفى نفس الاتجاه الذى خلقت فيه روحه فى آفاق الكفر والرذيلة وتحررت من كل أثر للإيمان والورع يتفنن فى سب نبى الله فيتهمه بأنه ما كان يتنزه عن شرب الخمر [٤] .

وأخرى بخسة أصله وانحداره من أسرة كانت تعتاد الزنا فيقول : إن أسرة عيسى أسرة عجيبة ، كانت جداته الثلاثة فاجرات زانيات ، ومن هنا

---

(١) حقيقة الوحى للغلام ص ١٤٨ .

(٢) مكتوبات أحمدية جـ ٣ ص ١١٨ .

(٣) ملخصاً من خطاب محمود أحمد بن الغلام المنقول فى الفضل ١٨ يوليو سنة ١٩٢١ م .

(٤) ريويو جـ ١ ص ١٢٣ - ١٩٠٢ ، ست بچن للغلام حاشية ص ١٧٢ ، سفينة نوح للغلام ص ٦٥ .

الدم المطهر ، تكون وجود عيسى .. ولعله كان ميلان عيسى إلى المومسات لهذه النسبة ، وإلا لا يسمح أحد من المتقين أن يمس رأسه شابة زانية ، وتعطره بالما الحرام ، فيفهم الناس كيف كان أخلاق هذا المسيح[١] .

ولن نستطرد كثيراً فى موقف الغلام من أنبياء الله ورسله فرداً فرداً على هذا النحو المزرى لأنه أخزاه الله قد حدد موقفه هذا على سبيل العموم فقدم منزلته على منزلة الجميع دون استثناء فى كلمات تذكر له بكل خزى وبكل أسى .

وحسبنا أن نذكر له فى هـــذا قوله : جاء أنبياء كثيرون ولكن لم يتقدم أحد على فى معرفة الله ، وكل ما أعطى لجميع الأنبياء أعطيت أنا وحدى بأكمله[٢] .

وقوله أيضاً : الكمالات التى كانت توجد فى جميع الأنبياء وجدت فى رسول الله ﷺ وأكثر منها ، ثم انتقلت كل هذه الكمالات إلى . ولذا سميت آدم وإبراهيم وموسى ونوح وداود ويوسف وسليمان ويحيى وعيسى[٣] .

وتظهر فى هذا القول عقيدة الرجعة والتناسخ وهى كما عرفنا عقيدة الهنود الوثنيين وقد أسس الغلام عليها وعلى التأويل الباطنى لنصوص الشرع نظرية فى النبوة كما سيأتى بيانه .

---

(١) ضميمة إنجام آتهم للغلام ص ٧ .
(٢) الدر الثمين للغلام ص ٢٨٧ ، ٢٨٨ .
(٣) ملحوظات أحدية للغلام جـ ٤ ص ١٤٢ .

تعاطيه المخدرات والمسكرات :

وبعد موقفه هذا من أنبياء الله ورسله يمكن للمرء العادى فضلا عن المنصف أن يحكم عليه بالخلل العقلى فوق ضياعه الروحى وانحطاطه النفسى ، وإن كانت قضية خلله العقلى قد ثبتت بما مر من كلامه وأخبار أتباعه فيكون موقفه هذا بمثابة الدليل على مالايحتاج إلى دليل .

والغريب أن أتباعه من السذج وضعاف النفوس قد يبررون ذلك بأنه نبى ، وهو تبرير لا يصدقه إلا من كان فى مستواهم سذاجة وبله ، فإن صاحب الخلل النفسى ، والنفسية المضطربة ، والأخلاق الوضيعة لا يفتقر سلوكه وأقواله إلى تبرير ، لاسيما إذا انكشفت بعد ذلك رذيلة تضاف إلى رذائله السالفة وجريمة تضم إلى جرائمه الخلقية ، بالرغم من شناعتها وفظاعتها ، ألا وهى جريمة الشرب وتعاطى المخدرات . ولا يستبعد من شخص أدمن الشرب والمخدرات أن يكون الانحراف مسلكه والهراء والسفاهة منطقه وكلامه .

ودليلنا على تحريم الغلام باقتراف الشرب - وهو المتنبىء المجدد للدين فيما يزعمون - ما قاله أحد القاديانية عن إباحة الخمر حتى بالنسبة لإمامهم غلام أحمد . فقد قال : « وأى شىء فى استعمال (براندى وروم) فى حالة المرض ، وأى شىء على إمامنا إن استعملهما لأجل المرض ؟ مع أنه كان ضعيفاً ، وكان تبرد يداه ورجلاه ، وأحياناً كان يفقد وعيه ، فإن شرب فى مثل هذه الأحوال ، ليس مخالفاً للشريعة بل هو عين الشريعة »[1] .

---

(١) مجلة قاديانية : بيغام صلح ١٤ مارس ١٩٣٥ م .

كما كتب الغلام إلى أحد مريديه فى لاهور أن يرسل إليه (وائن) ويشتريه من دكان رجل يقال له (بلومر) وحينما سأل بلومر عن (وائن) ماذا هو ؟ قال : (وائن) قسم قوى مسكر من أقسام الخمر الذى يستورد من انجلترا فى القوارير المختومة (١) .

وعن تعاطيه الأفيون نستدل بهذا الكلام الصادر من ابنه محمود أحمد وخليفته الثانى إذ يقول : إن الأفيون يستعمل فى الأدوية كثيراً ، حتى إن أبى كان يقول : إن الأفيون نصف الطب ، ولذا فإن استعماله للتداوى يجوز ولا بأس به . وأبى قد صنع دواء باسم ترياق إلهى بهدى الله واعينه ـ وكان الجزء الأكبر فى هذا الدواء الأفيون ، وكان يعطى هذا الدواء لخليفته الأول نور الدين ، كما كان يستعمله هو أيضاً حيناً بعد حين لمختلف الأمراض(٢) .

ورذيلة شرب الخمر وتناول المخدرات لا يجوز أن يبرر بالضرورة التى تبيح المحظورات ، وبخاصة إذا كان المقام هنا مقام النبوة التى يدعيها الغلام وتدعيها له طائفته ، حتى على القول بإباحة التداوى بهما ، فإن المقرر عند أهل العلم أن الخواص إنما يتنزهون عن كثير مما يباح لعوامهم . وأن أكثر الناس قرباً من الله يتسامون عن صغائر الذنوب حتى عن ما يعتبر فى حق البعض من الأفاضل من قبيل الحسنات ، ولهذا قول : حسنات الأبرار سيئات المقربين ، فما بال المرء بمقام النبوة ؟ .

ومن المقرر أيضاً عند أهل العلم أن العصمة واجبة لأنبياء الله ، وأن الله

---

(١) مكتوب الإمام باسم الغلام للطبيب القاديانى محمد حسين ص٥ ، ٢ وكتاب جنون الغلام للطبيب محمد على المسلم .

بحفظ ظواهرهم وبواطنهم من كبائر الذنوب وصغائرها ، لاسيما بعد دعوى النبوة .

وصاحبنا مع تنبؤه ما ترك كبيرة من الكبائر فضـــلا عن الصغائر إلا ارتكبها فى سفور ومجاهرة ، كما أوردنا طرفا منها ، وكان مصدرنا فى فى هذا الطرف تصريحاته واعترافات أتباعه ومريديه ، وبهذه الوضاعة الخلقية تتبدى لكل ذى بصيرة شخصية الغلام متنبىء القاديانية فى جانبها السلوكى والأخلاقى ، ولولا أن مقام الدراسة مقام التفصيل والاستقصاء ، لا كتفينا بهذه الرؤية لشخصية الرجل دليلا على إبطال دعواه ، فمع كل ذلك ما يزال للرجل أتباع فى العالم الإسلامى يروجون له وينشرون عقائده من أنصار الباطل وشياطين الكفر والضلال .

٣ - حالته الجسمانية :

وإذا كانت الحالة النفسية والعقلية ترتبط فى كثير من الأحيان بحالة الشخص الجسمانية صحة وفساداً ، فمن السهل علينا حينئذ أن نفسر ما منى به غلام أحمد من العقد النفسية والأمراض الروحية والعقلية ، فإن نصيبه من أمراض الجسم كان وافراً .

نعم كان مصـــاباً بعدة أمراض يكفى الواحد منها لأن يغرق صاحبه فى بحر من الأزمات والمشكلات النفسية فلا ينعم باستقرار ولا يحظى بأمان .

وقد يكون من قبيل التعويض الشعورى أو اللاشعورى لما اعترى الشخص من النقص فى جسمه أو نفسه أن يسعى وراء شهرة أو أن يبحث عن مجد وزعامة .

والارتباط بين طلب الشهرة والمجد رغبة فى التعويض وبين نقائص الشخص وأمراضه ارتباط مضطرد من حيث الحجم قوة وضعفاً .

فطلب الغلام للنبوة والرسالة قد يكون على حجم ما توفر لصاحبنا من قائمة الأمراض الطويلة على اختلاف نوعياتها .

وأمراضه الجسمانية ترددت بين سلسى البول وسائر أمراضه والسل وما يتبعه من أدواء الجهاز التنفسى ، إلى غير ذلك من دوار الرأس وشبه شلل فى ذراعه الأيمن وخراب فى الأسنان إلى حد العفن ، وغيرها .

فأما عن أمراض البول ودوار الرأس ، فقد قال الغلام :

يلازمنى مرضان خطيران : مرض فى النصف الأعلى من جسدى ومرض فى النصف الأسفل منه ، أما الذى فى النصف الأعلى فهو دوار الرأس ، وأما الذى فى النصف الأسفل فهو سلس البول "(١)

وعن مرض السل والصدر يقول أحد أتباعه : إن حضرة الأقدس أى الميرزا . ذكر أمراض السل والصدر فيما ذكر من الأمراض التى أصابته ، وقد أصابه هذا المرض حين كان والده حياً يرزق ، وقد لازم الفراش حوالى ستة أشهر بسبب هذا المرض "(٢) .

ويروى ابن الغلام عن أمه قولها : إن حضرة الميرزا أصابه مرض السل وكان والده حياً ، وقد اشتد هذا المرض حتى كدنا نيأس من

---

(١) حقيقة الوحى للغلام ص ٢٠٦ ، ٢٠٧ .
(٢) حياة أحمد ـ يعقوب على القاديانى ج ٢ رقم ١ ص ٧٩ .

حواته(١) .

ويذكر الغلام طائفة أخرى من أمراضه فيقول : أنا رجل دائم المرض ينتابني بين حين وآخر دوار الرأس ، والصداع والأرق ، والتشنج القلبي ، وكذلك يلازمني الديابيطس من أمد غير يسير ، وتمسني الحاجة إلى البول أكثر من مائة مرة في ليلة واحدة ، وأن الأمراض التي تنشأ عن سلس البول هي كلها تلازمني(٢) .

وعن علة ذراعه اليمنى ذكر ابنه : إن أمي أخبرتني أن والدي (الغلام) انكسرت يده اليمنى وإلى آخر العمر كانت هذه اليد ضعيفة ، وبهذه اليد كان يستطيع أن يرفع اللقمة ولكن ما كان يستطيع أن يرفع بها إناء الماء أو شيئاً غيره من الأشياء الثقيلة ، وحتى في الصلاة كان يستند باليد اليسرى(٣) .

وعن عفن أسنانه يقول ابنه : وأما أسنانه فقد خربت وحصل فيها الدود(٤) .

وحسبنا هذا الكم من أمراض الغلام الجسمانية وجدير بمن يعتريه واحد من هذه الأمراض أن تتحرك روحه وتهتز نفسه ، ويندفع بكليته إلى

---

(١) سيرة المهدي جـ ١ ص ٤٣ لبشير أحمد ، وانظر ما هي القاديانية لأبي الأعلى المودودي ص ١٧ ، ١٨ .

(٢) ملحق الأربعين للغلام رقم ٣ ، ٤ ص ٤ .

(٣) سيرة المهدي جـ ١ ص ١٩٨ .

(٤) سيرة المهدي جـ ٢ ص ١٣٥ .

خالقه يرجوه المعونة ويطلب منه النجاة بكل خضوع وإذعان ، وأن يتجسد ذلك فى سلوكه وعمله رقة وتواضعاً واستقامة.

ولكنا رأينا غلام أحمد بالرغم من كثرة الأمراض القاسية التى منى بها يتبدى فى صورة معاكسة سواء من حيث علاقته بربه يجترىء ويكذب عليه ، أو من حيث علاقته بالناس . إذ رأيناه شخصية شديدة الشذوذ فى سلوكها ، واضحة الانحراف فى أخلاقها ، وقد يكون ذلك لأنه شخص فطر على غلظ النفس وجفاف الروح فنشأ على الفجور ، وتعود الجرأة والانحراف . ولعله من قبيل التنبيه على أمر معلوم أن مجموعة الأمراض التى رزق الله بها متنبىء القاديانية كفيلة وحدها بأن تكون دليلا على كذب الغلام فى تنبؤه ، إذ الله يحفظ أنبياءه من الأمراض المنفرة ، أو التى تعوق حركة الدعوة وسيرتها ، والحركة والحيوية ضرورة لكل دعوة وكل داعية مما يستلزم القوة البدنية والصحة النفسية والسلامة العقلية فى بدن الداعية ونفسه وعقله ـ وحتى تتوفر للداعية أهم مقومات الدعوة من الحركة والنشاط والتمكن من الإختلاط بالناس والالتحام بالأتباع الذين يجب أن يلتفوا حوله ويتبركوا بمجلسه ويأنسوا بسماع حديثه ، ومن هنا كان أنبياء الله ورسله وفى مقدمتهم محمد ﷺ المثل العليا لأممهم خلقاً وخلقا . ومن هنا قال الله تعالى موجها المسلمين إلى هذه الحقيقة « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة »[1] وقال سبحانه لنبيه « وإنك لعلى خلق عظيم »[2].

---

(١) سورة الأحزاب آية ٢١ .

(٢) سورة القلم آية ٥ .

٤ - حياته وبيئتـه :

ولعل المرء بعد هذه الرؤية المستوعبة لمقومات الغلام الشخصية ليتساءل عن تلك البيئة التى نمت فى تربتها هذه الشجرة الخبيثة ؟

والواقع أن فى الإجابة عن هذا التساؤل كثيراً من التفسيرات لما يكتنف هذه الشخصية من الغموض وما تنطوى عليه من الألغاز ، ذلك من خلال ما يرسمه من صورة محددة الملامح لبيئته وحياته الاجتماعية .

وأول ما يطالعنا من ملامح هذه الصورة أن الميرزا غلام أحمد قد كان من نتاج أسرة باعت دينها ووطنها لأعداء الإسلام والمسلمين مرة للسيخ إبان استيلائهم على بعض مناطق الهند ، وأخرى للإنجليز حين فرضوا سيطرتهم على شبه القارة الهندية بعد انتهاء حكم السيخ فى الهند .

فبالنسبة لعلاقة هذه الأسرة بالسيخ ، فقد كانت شديدة الولاء والإخلاص لهؤلاء المحتلين .

فحين استولى السيخ على مقاطعة بنجاب وما جاورها من البلدان ، بعد تفكك الحكم الإسلامى فى البلاد أعملوا فيها أيدى السلب والنهب ، وعاثوا فى الأرض فساداً ، وكانوا يأتون المنكرات ويشفون غليلهم بقتل النساء والعجزة وهتك الأعراض ، وسفك دماء الأبرياء من أبناء الإسلام وإهانة المساجد وتعطيل شعائر الإسلام ، وقد كانوا جفاة غلاظاً لم يرقبوا فى الأهالى إلا ولا ذمة . إلا أن الميرزا غلام مرتضى (والد الميرزا غلام أحمد) لم يقصر فى مساندة حكام السيخ الطغاة ، وكان بينه وبين الحكام السيخ من علاقات الصداقة والود ما دفعت المهراجا رانجيت سنغ مؤسس دولة السيخ إلى طلب عودته إلى قاديان (وطنه القديم) من مهجره الذى كان

يعيش فيه ، فجاء وانضم هو وإخوانه إلى جيش المهراجا رانجيت سنغ .

وقد جاء فى كتاب المجدد الأعظم الذى ألفه أحد أتباع الميرزا غلام أحمد فى سيرته . « من المؤكد أن أسرة الميرزا غلام مرتضى قد تغيرت أحوالها فى عهد المهراجا رانجيت سنغ فاستبدلت بالضيق فرجاً ، وبالعسر رخاء ورغداً ، حيث أعاد المهراجا إلى هذه الأسرة ما كان لها من عقارات فى مدينة القاديان وما جاورها ، وأسند إلى الميرزا غلام مرتضى منصبا عسكرياً حساساً تحت إشرافه المباشر ، وقد قام الميرزا غلام مرتضى بخدمات عسكرية جليلة تحت توجيه المهراجا »[١] .

وجاء فى موضع آخر من هذا الكتاب : « إن الميرزا غلام مرتضى انضم إلى جيش المهراجا رانجيت سنغ ، وأبلى بلاءاً حسناً فى معارك نشبت فى ثغور كشمير وغيرها ، كما أنه أدى خدمات عظيمة فى قمع القلاقل التى حدثت فى منطقة هزارة »[٢] .

هكذا كان ولاء هذه الأسرة وإخلاصها لأعداء الإسلام والمسلمين لقاء عرض من الدنيا يسير ، وكان الذى أنعم به رانجيت سنغ على هذه الأسرة من الأملاك والعقارات هو بعض ما كانت تملكه قبل ذلك ، وفى حكم السيخ أنفسهم إذ كان الميرزا كل محمد الجد الثانى لغلام أحمد صاحب إمارة تحتوى على خمس وثمانين قرية فى عهد الدولة المغولية ، ولكن الميرزا عطا محمد جد الغلام أيضا قد خسرها فى حرب دارت بينه وبين السكه وقضوا

---

(١) المجدد الأعظم ـ الدكتور بشارت أحمد ص ١٦ ، ١٧ نقلا من ما هى القاديانيه أبو الأعلى المودودى ص ١٠ ، ١١ .

(٢) المجدد الأعظم ص ٢١٥ نقلا من ما هى القاديانية ص ١١ .

على ممتلكاته وقراه وطردوه هو وأسرته من قاديان التى كانت مقرهم حينئذ ولم يعودوا إليها إلا عام ١٨١٨ بعد أن سمح لهم رانجيت سنغ بالعودة إليها كما أدار إليهم جزءاً يسيراً من ممتلكاتهم القديمة لا يتجاوز الخمس قرى ، وذلك كله كان فى مقابلة ما قدمه الميرزا غلام مرتضى والد الميرزا غلام أحمد من خدمات عسكرية للسيخ ، الذين نكلوا بالمسلمين أشد أنواع التنكيل .

هذا ما كان من أمر أسرة الغلام المتنبىء مع السيخ ، وعلى نفس المستوى من الوضاعة كان أمرهم مع العدو الثانى للإسلام والمسلمين المتمثل فى الاستعمار الإنجليزى للهند ، فقد انتقل ولاء هذه الأسرة للإنجليز حين آلت إليهم السيادة فاستبدلوا عدواً بعدو يبيعون له مبادئهم وقيمهم ودينهم لأنها أمور ترخص فى مقابل المال والمنصب والشهرة ، وهى أغلى ثمن لما يقدمونه من الدين والمبادىء والوطن ، ولو كان الذى يدفع هذا الثمن هو الشيطان .

يقول غلام أحمد ـ مقراً بانتقال ولاء أسرته وإخلاصها للحكومة الإنجليزية مقابل جزء آخر ردته إليهم من ممتلكاتهم (ثم رد الله إلى أبى بعض القرى فى عهد الدولة البريطانية) [١]

وقد برز تعاون هذه الأسرة مع الإنجليز أول مرة حين نشبت ثورة عام ١٨٤٨ ضد الحكومة الإنجليزية فى الهند ، وحين انتفض الثوار فى الهند بالثورة الشاملة ضد الحكم البريطانى عام ١٨٥٧) كان لغلام مرتضى جهود جبارة فى مجال التجنيد العام وكان الميرزا غلام قادر (أخو الميرزا غلام أحمد) فى فرقة صاحب السمو الجنرال نكلسون وكان يحارب المسلمين مع

---

(١) التبليغ ص ٧٦ .

العساكر الإنجليزية . وحينما تولى الجنرال نكلسون فى موقعة تريمو وأعدم الثوار الذين هربوا من مدينة سيالكوت كان غلام قادر من رجال حاشيته [١] .

ويقول غلام أحمد مفاخراً : ان تبخل عائلتى ولم تضن ولن تبخل ولن تضن بدماء أبنائها فى خدمة مصالح الحكومة الإنجليزية أبداً [٢] .

وقال كذلك : نحن نتحمل كل البلايا لأجل حكومتنا المحسنة وسنتحمل أيضاً فى المستقبل لأنه واجب علينا أن نشكرها لإحسانها ومنتها علينا ، ولاشك نحن فداء بأرواحنا وأموالنا للحكومة الإنجليزية ودوماً ندعو لعلوها ومجدها سراً وعلانية [٣] .

هذا ما كان من شأن الغلام وأسرته مع أعداء الإسلام والمسلمين وتعاونهم مع أعداء دين الله وخياناتهم لدينهم وإخوانهم من المسلمين طلباً للمجد والشهرة ونحن لا نتجاوز فى تقويمنا لمسلك هذه الأسرة وحكمنا عليهم حكم القرآن الذى أنزله الله على خاتم أنبيائه محمد ﷺ ، إذ نفى عن أمثالهم الإيمان ممن يوالون ويوادون أعداءه وأعداء رسوله محمد ﷺ حيث يقول سبحانه : « لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم والآخر يوادون من حاد الله ورسوله ، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم وإخوانهم أو عشيرتهم . . . الآية » [٤] .

---

(١) البرية غلام أحمد ص ٣ .

(٢) ترياق للقلوب : غلام أحمد . ص ١٥ .

(٣) آرية دهرم للغلام ص ٧٩ ، ٨٠ .

(٤) سورة المجادلة آية ٢٢ .

وفى موطن آخر يحذر الله المؤمنين من موالاة غير المسلمين على حساب الإسلام بأن ذلك يدخل المؤمنين فى زمرة من والوهم من غير المسلمين ، يقول تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدى القوم الظالمين » (١).

والحديث عن أسرة غلام أحمد على هذا النحو يدفعنا إلى تساؤل آخر عن هوية تلك الأسرة وجنسيتها .

وغلام أحمد نفسه يتكفل بالإجابة المطلوبة ، فيذكر أن أسرته من السلالة المغولية سلالة تيمورلنك . والمغول فرع من الترك وكانت قد هاجرت من سمرقند إلى قاديان ويوثق الغلام ذلك بأنه قد قرأه فى كتب سوانح آبائه وأجداده ، وبأنه تلقاه عن أبيه .

ولكنه على عادته فى الخداع والتزييف قصداً إلى تآلف القلوب وتوسيع دائرة دعوته بتعلق مختلف الأجناس : يزعم أنه مع معرفته بمغولية أسرته أخذاً عن أبيه وعن الوثائق فإنه قد أوحى إليه بأن أسرته فارسية الأصل ، كما أوحى إليه بأن بعض جداته من نسل فاطمة من أهل بيت النبى ﷺ ، ليس ذلك فحسب بل يدعى كذلك أن أسرته صينية الأصل تحقيقاً لنبوءة ابن عربى .

يقول غلام أحمد فى ذلك : (قرأت فى كتب سوانح آبائى وسمعت من

---

(١) سورة المائدة آية ٥١ .

أبى أن آبائى كانوا من الجرثومة المغولية ولكن الله أوحى إلى، أنهم كانوا من بنى فارس لا من الأقوام التركية . ومع ذلك أخبرنى ربى بأن بعض أمهاتى كن من بنى فاطمة ومن أهل بيت النبوة ، والله جمع فيهم نسل إسحاق وإسماعيل من كان الحكمة والمصلحة)[1] .

وقال أيضاً : (إن محيى الدين بن عربى تنبأ عنى فى كتابه « فصوص الحكم » حيث قال : (يولد فى آخر الزمان ولد يدعو إلى الله . يكون مولده بالصين ولغته لغة بلده ، فأنا هو المقصود لأنى أنا صينى الأصل)[2] .

وبهذا التناقض والتخبط ينسخ الغلام هوية أسرته مرة بالوحى وأخرى بلبوءة ابن عربى . وإذا كان ذلك من قبيل الخداع أو النفاق - كما سبق - بغريب على متنبيء الهند الكذاب لأنه إحدى ثمار تلك الأسرة التى باعت الدين بالدنيا واشترت الضلالة بالهدى . فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين .

والأسرة هى المصدر الأول الذى تستمد منه الشخصية أهم مقوماتها النفسية والأخلاقية والاجتماعية وذلك بما تضفيه على الطفولة فى مرحلتها الشديدة الحساسية والتقبل من روحها وعاداتها وتوجيهاتها . ناهيك بحظ الشخص من الوراثة التى لا مناص منها .

وإذا شئنا أن نقف على شيء من طفولة غلام احمد من حيث نشأته فى كنف هذه الأسرة لما عدمنا الكثير من أخباره عن هذه المرحلة .

---

(١) الاستفتاء ص ٧٥ .

(٢) حقيقة الوحى متناً وحاشية الغلام ص ٢٠٠ .

نسبه : أما عن نسبه فإنه يذكره فى قوله : (فاعلموا رحمكم الله أنى أنا المسمى : بغلام أحمد ، ابن مرزا غلام مرتضى ، ابن ميرزا عطا محمد ، ابن ميرزا كل محمد ، ابن ميرزا فيض محمد ، ابن ميرزا محمد قائم ، ابن ميرزا محمد أسلم ابن ميرزا دولاور بيك ابن ميرزا الله دين ، ابن ميرزا جعفر بيك ، ابن ميرزا محمد بيك ، ابن ميرزا محمد عبد الباقى ابن ميرزا محمد سلطان ، ابن ميرزا هادى بيك)[1] .

مولده :

وقد كان مولد غلام أحمد سنة ١٢٥٢ هـ ١٨٣٩ م فى حضن أسرته هذه ، وكانت تقطن حينئذ قاديان إحدى قرى مديرية عوردا سفور ، إحدى مديريات إقليم البنجاب بالهند وكانت عاصمته لاهور وكان أكثر سكانه من المسلمين .

نشأته وتعليمه :

وقد كان الغلام فى المرحلة الأولى من نشأته لا تخلو طفولته من بعض الشذوذ والاهتزاز وربما كانت تعكس هذه الطفولة كثيراً من سلوك أسرته المتناقض والمنحرف فى اللاوعى كثيراً مما يبرر لنا ما كان يتميز به غلام أحمد الطفل بما يشبه التخلف العقلى والاضطراب النفسى والواقعة التالية تؤكد ذلك : فيذكر بشير أحمد بن الغلام وخليفته أن أمه أخبرته بأن أباه حدثها مرة أنه حين طفولته قال له بعض الأطفال : هات لنا السكر من البيت ، جئت إلى البيت ، وبدون أن أسأل أى واحد أخذت ما

---

(١) الاستفتاء ص ٧٥ .

ما ظننته سكراً ، وفي الطريق بدأت آكله فلما وصل هذا الشيء إلى الحلقوم اختنقت وأوذيت إيذاء شديداً وعرفت أن ما كنت أفهمه سكراً كان ملحاً)[١].

ولا شك أن هذا العته الذي عاناه هذا الطفل حيث لا يميز بين السكر والملح قد استمر معه في شبابه وشيخوخته حيث تجسد فيما بعد في سوء الذاكرة وشدة الغفلة التي لم يكن يميز معها بين يمنى نعله من يسراها فكان يلبسهما معكوستين بحيث لجأ إلى تمييزهما بعلامة من الحبر .

كما كان مغرماً في طفولته باصطياد العصافير .

أما في شبابه الباكر فقد برزت فيه صفتان وهما : الجبن والسرقة ، فأما عن الجبن : فقد تمثل في إحجامه عما كان يقدم عليه أمثاله من أبناء الأسر النبيلة مما كان يتعارف عليه بأنه مظهر للشجاعة حينئذ ، فيذكر يعقوب على القادياني الكاتب القادياني المعروف في سيرته (أن حضرة المسيح - أي الغلام - لم يدخل في المنازلات والمصارعات كعادة أبناء الشرفاء آنذاك ، ولم يتعلم الفنون العسكرية ، مع أن الناس كانوا يعدون هذه الأشياء من لوازم الشرف والشجاعة)[٢] وأما سرقته وسطوه على ما ليس من حقه : فيروى ابنه في سيرته حادثة تؤكد هذه الحقيقة حيث ذهب ذات يوم ليصرف راتب جده المتقاعد في صحبة صديق له في مثل سنه ، وبعد تسلم الراتب ذهب هو وصديقه إلى خارج القاديان يلهوان ويتنزهان ، وليس معهما ما يتنزهان به من المال إلا راتب جده الذي يجب أن يعيده إليه ،

---

(١) سيرة المهدي ج ١ ص ٢٢٦ .
(٢) حياة النبي ج ١ ص ١٣٨ .

ولم يلبث هو وصديقه أن أنفقاه عن آخره ، ولأنه خجل أن يعود بدون راتب جده لاذ بالفرار والهرب من قاديان إلى سيالكوت حيث أقام هناك ومارس حياة العمل والوظيفة لقاء راتب لا يتجاوز خمس عشرة روبية ، وهكذا غيرت حادثة السرقة مسار حياته على هذا النحو[٣] .

ونحن قد عرفنا فيما سبق أنه ظل متمرساً لسلوك السطو والنهب حتى بعد إعلانه دعوى النبوة .

تعليمه : وقد حظى غلام أحمد بنصيب غير يسير من التعليم فى طفولته وشبابه سواء ما كان منه عن طريق التلقى ، وما كان بمجهوده الذاتى ، وسواء ما كان منه فى بيته ، وما كان فى كتاب قريته ، وفى بعض المدارس الرسمية . وقد طفق فى طفولته المبكرة يتلقى شيئاً من العلوم بالإضافة إلى حفظ القرآن .

ومن أساتذته : فضل إلهى الذى تلقى منه القرآن وبعض الكتب الفارسية ، وفضل أحمد الذى علمه علوم النحو والصرف والطب

وأمير شاه الذى درس على يديه بعض الكتب فى اللغة الإنجليزية فى مدرسة ليلية بسيالكوت ، ووالده الذى أفاض عليه شيئاً من خبرته فى الطب القديم والعرافة .

ولم يأل له التعمق فى مطالعة كتب التفسير ، والحديث ، والأصول والفقه ، كما كان شديد الشغف بدراسة كتب الشيعة ، وأهل السنة ، وسائر

---

(١) سيرة المهدى جـ ١ ص ٢٤ .

الأديان[1] .

ويذكر أنه كان يعتمد فى قراءاته ومطالعاته على جهده الشخصى فى كثير من الأحيان مما عاد على ثقافته بكثير من الخلط والتشويش ، وقد تمثل ذلك فيما ظهر فى كتاباته من أخطاء علمية لا يضطلع بها من له أدنى إلمام بالعلم .

منها : ذكره أن أبا النبي ﷺ مات بعد ولادته بأيام .

ومنها : أن أمه ﷺ قد أنجبت من الذكور أحد عشر .

وعلى الإجمال فإن كتابه غلام أحمد التى ضمنها كتبه ، ورسائله ، وقد زادت على الثمانين ما بين كتاب ضخم ، ورسالة لم ترق إلى مستوى الموضوعات والمباحث العلمية ذات القيمة . والمحتوى والموضوع .

سواء منها ما أعده للدعاية لنفسه ، ودعوته ، وطائفته ، وهذا هو أكثرها ، أو ما ألفه للدفاع عن الإسلام فيما يزعم .

كتبه : ومن كتبه على سبيل المثال لا الحصر :

الأربعين ـ آرية دهرم ـ إزالة الأوهام ـ إعجاز أحمدى ـ إنجام آتهم ـ البرية ـ تبليغ رسالات ـ تحفة كولرة ـ تجليات إلهية ـ ترياق القلوب توضيح المرام ـ ست بجن ـ مرآة كمالات الإسلام ـ مواهب الرحمن ـ كشف الغطاء ـ مكتوبات أحمدية ـ عين المعرفة ـ سفينة نوح ـ حمامة

---

(١) انظر التبليغ إلى مشايخ الهند للغلام ص ٥٩ ، وكتاب البرية للغلام ص ١٣٥ ، وسيرة المهدى لبشير بن الغلام جـ ١ ص ١٣٧ ، القاديانية دراسات وتحليل لإحسان إلهى ظهير ص ١٢٧ ، ١٢٧ والقاديانية نشأتها وتطورها لحسن عيسى عبد الظاهر ص ٤٢ ، ٤٣ .

البشرى ـ ضمية كتاب نزول المسيح ـ من هو الأحمدى ـ محاضرة سيالكوت براهين أحمدية .

هذه بعض كتب ورسائل الغلام التى كانت فوق أغراضها الدعائية مصدر دخل كبير أثرى حياته ، ونقلها من حياة الشظف والفاقة فى مراحل حياته الأولى إلى حياة البذخ والترف مما أثار عليه أتباعه ومريديه وحادثة كتابه : « براهين أحمدية » قريبة الذكر فى هذا البحث .

وقد كان هذا الكتاب من أوائل إنتاجه ومؤلفاته ، وإن كان آخر جزء منه لم يصدر إلا عام ١٩٠٥م أى قبل وفاته بسنوات ثلاث فقد توفى فى السادس والعشرين من شهر مايو عام ١٩٠٨م دون أن يكمل الأجزاء الخمسين الذى وعد بها أبناء طائفته .

ولم تكن الكتب هى السبب الوحيد فى ثراء الغلام ورواجه ، وإنما كانت هناك تبرعات الأتباع من المؤمنين بدعوته سواء كانت هذه التبرعات مالية أو عينية من تحف ثمينة ، وهدايا قيمة .

وقد سبق القول : إن اختصاص غلام أحمد نفسه ومتعه الشخصية الشخصية ، ورفاهية بيته وأهله بهذه التبرعات التى قصد منها تلبية مصالح الدعوى ، ودفع حركتها ، قد أثار عليه ضغائن أتباعه وسخطهم .... إلى آخر ما ذكرناه من قبل .

وأهم من هذا كله ما كان يظفر به غلام أحمد من إنعامات ، ومنح سادته الإنجليز لقاء ما قدمه لهم من ولاء كان ركناً أساسياً فى دعوته إلى حد أنه ألغى فى شريعته مبدأ الجهاد حماية للإنجليز من ثورة أتباعه وتحفزهم لأعداء الإسلام .

وقد صرح الرجل بكل هذه الوسائل غير المشروعه لكسب المال ، بل للثراء الفاحش في سبيل أن يطفى نهمه ، ويشبع بطنه وشهواته ، وربما كان ذلك السلوك منه رد فعل لحياة الفاقة والهوان في المرحلة الأولى من عمره ، فوق ما في طبيعته من شذوذ وانحراف ، وعن مرحلة الفقر ، والإعدام من حياة الغلام يصرح فيقول :

(ألا ترون أني كنت عبداً مستوراً في زاوية الخمول ، بعيداً عن الإعزاز والقبول لا يومأ إلى ، ولا يشار ، ولا يرجى مني النفع ولا الضرار ما كنت من المعروفين)[1] .

أما عن مرحلة النعيم التي اتسمت بها حياة الميرزا فقد قال أيضاً :

ولكن الله الذي يرفع الفقراء من الحضيض قد أخذ بيدي ، وأنا أؤكد أن ما جاءني من الوارد ومن الإعانات والتبرعات إلى هذا الوقت - حتى عام ١٩٠٧ - لا يقل عن ثلاثمائة ألف روبية ، وربما يزيد على ذلك ، وانهالت على الهدايا كأنها بحر تهيج في كل آن أمواجاً ... يأتوني من كل فج عميق بالهدايا وبكل ما يليق . . . وكذلك تأتي لهذا العبد من كل طرف تحائف وهدايا وأموال وأنواع الأشياء)[2] .

وبعد فلعلنا بهذا القدر من الدراسة التحليلية لشخصية الميرزا غلام أحمد القادياني نكون قد أتينا على أهم جوانبها مما نعتقد أن لها مدخلا واضحاً في طبيعة دعوته وأثراً ظاهراً في تكوين دوافعه وأهدافه .

وما أهملناه من الجوانب الأخرى لهذه الشخصية اعتقدنا أنها لا تؤدي هذا الغرض بشكل مباشر .

---

(١) الاستفتاء ص ٢٥ .

(٢) الاستفتاء ص ٢٥ ، وانظر القاديانية نشأتها وتطورها ، حسن عيسى عبد الظاهر ص ٤٥ .

دعوة الغلام أحمد ومراحلها

وقد مرت دعوة الغلام بمراحل مروراً تصاعدياً طبقاً لحجم سيطرته ومدى تأثير أفكاره ومبادئه على عقول العامة من الذين اتبعوه .

فقد بدأ يدعو إلى نفسه مجدداً سنة ١٨٨٥ م ومن كلامه :

(أنا لست بنبي ولكن الله جعلني محدثاً وكليماً لكي أجدد دين المصطفى)[١] .

ويقول أبو الأعلى المودودي :

إن الميرزا في شهر ديسمبر سنة ١٨٨٨ م نادى في المسلمين ودعاهم إلى مبايعته ، وبدأ منذ أوائل سنة ١٨٨٩ يأخذ منهم البيعة ، كان يدعي حينذاك كونه « مجدد العصر » و « مأموراً من الله » .

ويظهر للناس مماثلته للمسيح زعماً منه أنه لا يقوم بمهمة الدعوة والإرشاد « إلا بمثل ما كان عليه المسيح من التواضع والدعة والمسكنة »[٢] .

ثم ادعى أنه مهدي معهود سنة ١٨٩١ م وفي نفس السنة ادعى أنه مسيح موعود ولكنه نبي متبع ، ومما قاله في هذا الصدد : (أنا لست بنبي ولكني محدث والمحدث نبي بالقوة وليس نبياً بالفعل)[٣] .

وأيضاً (أن المحدث نبي ناقص . وكأنه جمع بين الأنبياء وبين الأمم)[٤] .

---

(١) مرآة كمالات الإسلام للغلام ص٣٨٣

(٢) ما هي القاديانية - أبو الأعلى المودودي ص ٢٢ .

(٣) حمامة البشرى للغلام ص٩٩ .

(٤) إزالة الأوهام للغلام ص ٥٢٩ .

وقال أيضاً : (أنا لست بنبي أضاهي محمداً ﷺ أو جئت بشريعة جديدة بل كل مافيه أنى نبي متبع)(١) .

وقال أيضاً : (إنى المسيح الذى أخبر عنه الرسول ﷺ)(٢) .

ادعاء الغلام بأنه المسيح الموعود والرد عليه :

ويكتب الميرزا – فى بداية هذه المرحلة – (ثم بقيت إلى اثنتى عشرة سنة – وهى مدة مديدة غافلا كل الغفلة عن أن الله تعالى قد خاطبنى بالمسيح الموعود بكل إصرار وشدة فى البراهين (البراهين الأحمدية) وما زلت على عقيدة نزول عيسى العامة ، ولكن لما انقضت اثنتا عشرة سنة آن أن تنكشف على العقيدة الثابتة فتواتر على الإلهام أنك أنت المسيح الموعود)(٣) .

كما حدد الميرزا زمان نزول المسيح بنفس الزمن الذى عاش هو فيه زاعماً أن الكتب السماوية التى أخبرت بنزول المسيح قد أشارت إلى ذلك كما اتفقت عليه كشوف الأولياء ... » الخ .

فقال (دعواى ، أنى أنا هو المسيح الموعود الذى أخبر عنه فى جميع الكتب السماوية بأنه يظهر فى آخر الزمان)(٤) .

---

(١) تتمة حقيقة الوحى للغلام ص ٦٨ .

(٢) إزالة الأوهام ص ٦٨٣ .

(٣) الإعجاز الأحمدى ، ملحق نزول المسيح ص ٧ ونفس التصريح فى كتابه حقيقة الوحى ص ١٤٩ وانظر ماهى القاديانية لأبى الأعلى المودودى ص ٢٢ وما بعدها

(٤) تحفة كولدة ص ١٩٥ للغلام

وقال أيضاً (اتفقت كاشفات كبار الأولياء على أن المسيح يظهر قبل القرن الرابع عشر أو على رأس القرن الرابع عشر ولن يتجاوز هذا الزمان ، والظاهر أنه لم يعلن أحد غيري لهذا المنصب في القرن الرابع عشر فلذا أنا هو المسيح الموعود)(١) .

والظاهر من خلال أقواله هذه وغيرها أنه في هذه الدعوى اضطرب بين موقفين .

أولهما : ادعاؤه أنه هو نفس المسيح ابن مريم وقد لجأ في إثبات ذلك إلى تأويل أشبه ما يكون بخيالات البله والمجانين ، وفي مثل هذه الدعاوى يسهل تبرير هذه الأباطيل المجافية للعقل بالمكاشفات والمخاطبات الإلهية حتى يمكن التغرير بالأتباع من ضعاف العقول والإيمان .

وها هو قوله المضحك الذي سلك فيه هذا المسلك الفاضح لإثبات أنه هو عيسى بن مريم إذ يقول (أنا جعلت مريم وبقيت مريماً سنتين ، ثم نفخ في روح عيسى كما نفخ في مريم وحبلت بصورة الاستعارة ، وبعد أشهر لم تتجاوز عشرة أشهر حولت عن مريم وصيرت عيسى ، وبهذا الطريق صرت ابن مريم)(٢) .

- هكذا - وفي سبيل إثبات دعواه لا يجد أية غضاضة في أن يجعل من نفسه امرأة وإن كانت مريماً !! تحمل وتلد وإن لجأ إلى التمسح في المجاز والاستعارة ولا يعدم أن يلتمس لذلك سنداً من القرآن ليؤوله ، بل ليغير مدلوله الذي أراده الله من كلامه وأجمع عليه سلف الأمة وخلفها فيقول :

---

(١) إزالة أوهام ص ٦٨٥ للغلام .
(٢) سفينة نوح للغلام ص ١٦ .

(إن الله سمانى مريم التى حبلت بعيسى ، وأنا المقصود من قوله تعالى فى سورة التحريم « ومريم ابنة عمران التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا »[١] لأنى أنا الوحيد الذى ادعيت أنى مريم وأنه نفخ فى روح عيسى)[٢] .

وحسبنا فى فهم عقلية الرجل وخبث طويته وفى فهم عقلية السذج من أتباعه ما نلاحظ فى هذا النص وفى نص سابق من ربطه بين صحة دعواه هذه وبين أن دعوى المسيحية أو المريمية لم تصدر من أحد غيره وكأن صدور ذلك منه علة لصحة دعواه وغنى عن البيان إنكار التلازم العقلى أو العادى بين هذين الأمرين فتوضيح الواضح مشكل كما يقال .

ادعاؤه أنه مثيل المسيح : وهو الموقف الثانى :

ويبدو أن هذا الموقف كثيراً ما كان يثير عليه حفيظة أولئك الذين لهم نصيب من العقل أو المعرفة بحقيقة دينهم من المسلمين الذين لا يزال يغريهم بأتباعه بأية وسيلة وكل حيلة . فقد غير موقفه هذا من دعوته المسيحية إلى دعوته انه ليس هو المسيح بن مريم وأنه لم يقصد هذا من كلامه وليس مسئولا عن جهل من فهم ذلك منه ، ولم يكن قصده من كلامه فى هذا الصدد إلا أنه مثيل المسيح ، وماهو إلا مسيح آخر مماثل أو يشابه المسيح بن مريم وفى هذا جاء قوله : (أنا ادعيت أنى مثيل المسيح لا المسيح الموعود كما ظنه بعض السفهاء أنا لا أدعى قطعا بأنى المسيح ابن مريم ، بل الذى يقول هذا فى هو مفتر كذاب . ودعواى أنى مثل المسيح يعنى يوجد فى بعض خصال عيسى

---

(١) سورة التحريم الآية : ١٢ .

(٢) هامش حقيقة الوحى . الغلام ص ٣٣٧ وهو ضرب من التأويل الباطنى لآيات القرآن لتنطبق عليه داعية ودعوة .

الروحانية وعاداته وأخلاقه التى أودعها الله فى خلقى)[١] .

ثم يذكر أوجها أخرى للشبه تجمع بينه وبين عيسى بن مريم ليثبت بها صحة دعوى مثيليته للمسيح وهى كما سنرى أموراً عامة لا تصلح أوجها للشبه وجامعة بين المشبه والمشبه به على سبيل اشتراك كل منهما فيها ولو على سبيل المبالغة.

ولكن ما جعله الميرزا وجهاً للشبه بينه وبين عيسى بن مريم هو من البعد فى جمعه بينهما وعدم صلاحيته لذلك بحيث يشبه القول بأن زيداً يشبه عمراً فى أن كلا منهما إنسان . وهذا وما قاله فى هذا الصدد :

(إن المقصود من كون المسيح عيسى بن مريم أن يكون مشابهاً له ، فأنا مشابه لعيسى فى أشياء كثيرة ، حتى وأتشابه معه فى الولادة، فكانت فى ولادته ندرة وفى ولادتى ندرة أيضاً ، لأنى حينما ولدت ولدت معى بنت ، وهذا من النوادر فى الخلق الإنسانى لأنه فى كثير من الأحيان لا يولد إلا مولود واحد فى وقت واحد)[٢] .

هكذا يتصيد مطلق الندرة فى الولادة وجهاً للشبه بينه وبين عيسى ابن مريم ، وكان المنتظر منه فى هذا الشأن أن يكون وجه الشبه بينهما هو ولادة كل منهما لأم بدون أب حتى يشتركا فى هذه الندرة لا مطلق الندرة فى الولادة بغض النظر عن نسبية الندرة فى كل من الولادتين ، فإن ولادة الميرزا غلام أحمد لاتعتبر ولادة نادرة إذا قيست بولادة عيسى عليه السلام، فإذا افترضنا أن الأولى تحدث بنسبة واحد إلى عشرة آلاف وهذا أقصى ما يمكن أن يتصور من الفروض فإن نسبة حدوث ولادة عيسى لا يمكن

---

(١) إزالة أوهام . ص ٢٩٦ .

(٢) حاشية تحفة كولدة . للغلام ص ١١٠ .

تحديدها بغرض حسابي على وجه الظن فضلا عن اليقين ، هذا على فرض إمكان تكرارها فضلا عن القول بعدم إمكان ذلك ، على أساس أنها احدى معجزاته عليه السلام .

ومما قاله فى هذا الموضع أيضاً : (أيقنوا أنى هو ابن مريم الذى كان نازلا ، أنا الذى لم أجد شيخاً روحانياً وهذه هى المشابهة بينى وبين عيسى ابن مريم الذى ولد بدون أب كما ولدت أنا بدون أب روحانى) [١] .

وواضح أنه يتمادى هنا فى مغالطته وهو يجعل وجه الشبه أيضاً ولادتهما هو والمسيح ابن مريم بدون مطلق أب سواء كان الأب حقيقياً أم مجازياً . لأن الشيخ الروحى ليس إلا أبا مجازياً وفى هذا من البعد والمغالطة ما يغنى عن التنويه بعدم انفراد الميرزا بحرمانه من الشيخ الروحى وعدم اختصاص هذه الحالة بما أراده الله بمجىء عيسى عليه السلام من غير أب من خاصية الإعجاز الذى يختص الله به من يشاء من عباده .

وقال فى نص آخر .

(أنا أشبه عيسى من حيث أنا لست من قريش ولكنى بعثت فى القرن الرابع عشر لسلسلة رسالة محمد ﷺ كما لم يكن عيسى من بنى إسرائيل لعدم وجود الأب ، ومع ذلك كان رسولا لسلسلة موسى وكان بعد موسى أربعة عشر قرناً) [٢] .

وهنا يحتاج لصديق الميرزا فى التحديد التاريخى لظهوره وبعثة عيسى

---

(١) إزالة أوهام ص ٦٥٩ .

(٢) تذكرة الشهادتين . اعلام ص ٣٣

عليـه السلام وبأن كلا منهما كان على أربعة عشر قرناً من بعثة النبي السابق عليه .

أقول: يحتاج تصديقه في هذا إلى إثبات وهو على الأقل أمر صعب المنال ، ولا دليل معه عليه . هذا إذا سلمنا بأن وجهاً للشبه بين عيسى عليه السلام والميرزا غلام أحمد يمكن أن يكون عدم انتساب كل منهما إلى قوم من سبقه من الأنبياء .

على أن الميرزا يتناقض مع نفسه كعادته فيما صدر عنه من أقوال ـ وأن التناقض لازم لكلام الكذاب ، كما يقول هو[1] في النص التالي ، إذ يجعل المشابهة بينه وبين المسيح في انتساب كل منهما إلى قوم النبي السابق عليه من غير جهة الأب ، وها هو يقول :

لمسيح هذه الأمة مشابهة بعيسى عليه السلام وهي أن عيسى لم يكن من بني إسرائيل من كل الوجوه بل كان إسرائيلياً من قبل الأم فقط ، وهكذا أنا هاشمي لأن بعض جداتي من السادات ولكن أبي ليس منهم[2] .

ومن تناقض إلى تناقض يمضي الميرزا في سبيل الحصول على غايته وهي أبعد ما تكون عن الغايات الإسلامية الشريفة . فإذا ما ووجه بالحقائق والأوصاف التي أخبرنا بها نبينا ﷺ فيما صح عنه من روايات عن العدول الثقات من أنها من خصائص عيسى ابن مريم عليه السلام عند نزوله وبأن هذه الحقائق والأوصاف لا تنطبق انطباقاً حقيقياً ولا مجازياً فيما يعرفه

---

(١) ضميمة براهين أحمدية [illegible] ١٤٢ .
(٢) تذكرة [illegible] الكرت [illegible] .

العقلاء من الحقيقة والمجاز على مسيح الهند الدال لم يعدم الرد على مواجهيه ولو أوقعه هذا الرد فى التناقض مع نفسه قولا وعملا شأن الكذبة المخادعين الذين لا يهمهم إلا تبرير ما يقولون دون أن يكون الحق لهم وسيلة أو مطلبا ومن ردوده على هذه المواجهة أو على هذا الإيراد أنه لا يمنع إمكان ظهور مسحاء آخرين بعده وقد يكون من بينهم من تنطبق عليه ظواهر تلك الأوصاف التى جاءت فى الأحاديث النبوية الصحيحة وهو لا شك يوهم باختيار كلمة ظواهر الأوصاف بأن بواطنها قد تكون منطبقه عليه ، وما أكثر ما سلك مسلك الباطنية فى التأويل . ومما قاله فى هذا المقام :

١ - أنا ما ادعيت بأنى أنا المسيح الموعود ولا يكون بعدى مسيح آخر ، بل أنا أعتقد وأكرر هذا القول بأنه من الممكن أن يجىء بعدى لا المسيح الواحد بل عشرات الآلاف[١] .

٢ - أنا مسيح موعود ويمكن أن يجىء مسيح آخر[٢] .

٣ - أنا لا أنكر ولن أنكر إمكان مجىء المسيح الآخر الذى ينطبق عليه ظواهر الأوصاف التى وردت فى الأحاديث والتى لم تنطبق على ظواهرها[٣] .

---

(١) إزالة أوهام ص ٢٩٦

(٢) نفس المرجع ص ٧٢ ، ٧٣ .

(٣) مكتوب الغلام إلى الشيخ عبد الجبار المندرج فى تبليغ رسالة جـ ٢ ص ١٥٩ للقاسم القاديانى .

مواجهة القادياني في دعواه المسيحية بالسنة الصحيحة :

ولوزن شخصية الميرزا وبيان زيفها بصفة عامة وكذب دعواه المسيحية بصفة خاصة ، ينبغي أن نطل عليه من وراء ما ورد في الأحاديث الصحيحة عن نبينا ﷺ من أوصاف عيسى بن مريم حين ينزل للمهمة التي أعدته الحكمة الإلهية لها ، ومن ثم كان علينا الآن أن نطرح أمام القارىء أمثلة من هذه الأحاديث .

ثم نستنبط منها واحداً بعد الآخر ما يكشف للقارىء جوانب تدعو إلى الضحك والسخرية من هذه الشخصية في الوقت الذي تدعو فيه إلى الأسى والألم ممن انخدع به وانحاز إلى مبادئه وأفكاره مهما كان نصيبهم من المعرفة والصدق لدينه .

١ – عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا ، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الحرب – وفي رواية يضع الجزية – ويفيض المال حتى لا يقبله أحد ، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها » [١] .

ومن هذا الحديث الصحيح يمكن أن نستخرج من الأوصاف المشار إليها ما يأتي .

(ا) أخبر النبي ﷺ أن المسيح ينزل فينا ، وقد فهم من لفظة ينزل علماء الأمة سلفا وخلفا مما يعتبر إجماعاً لمن يعتد بإجماعهم المعنى الوضعي

---

(١) البخاري : كتاب أحاديث الأنبياء باب نزول عيسى . ومسلم باب بيان نزول عيسى . والترمذي أبواب الفتن باب في نزول عيسى . والإمام أحمد مرويات أبي هريرة .

الذى يفهم من مادة النزول وهو الانتقال إلى أسفل . ولعل الذى دفعهم إلى هذا الفهم ما ورد فى الرواية الأخرى فيما أخرجه البيهقى فى كتابه الأسماء والصفات من زيادة كلمة (من السماء) [1].

ولهذا كان اعتقاد الثقات من علماء الأمة أن المسيح سينزل فى آخر الزمان من السماء إلى الأرض . ولم يشذ واحد منهم فيذهب إلى أن المسيح سيولد لأم وأب فإن فى هذا تكذيباً لخبر النبي ﷺ .

وهذا الوصف يستحيل انطباقه على مسيح القاديانية الذى ولد فى القاديان إحدى قرى البنجاب الشرقية فى الهند وأبواه معروفان ، بل إن هذا الأمر لم ينكره واحد من القاديانية من أشد المروجين له إخلاصاً .

وكل ما أمكنهم أن يذكروه فى تحوير وتحريف صفة النزول قولهم : إن المراد من كلمة النزول الواردة فى الأحاديث (الظهور) محتجين بأن رواية البخارى ومسلم خالية من كلمة (من السماء) وأن هذه الزيادة من كلام الرواة .

وبعد أن عرفنا ورودها فى رواية البيهقى فى كتابه الأسماء والصفات وهو من الأصول المستقلة بالرواية لا من كتب الجمع والنقل . وما تقرر من أن زيادة الثقة مقبولة [illegible] لفظ من السماء يناسب كلمة - ينزل - [illegible] المناسبة .

---

(١) أخرج [illegible] عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى [illegible] إذا نزل ابن مريم من السماء فيكم وإمامكم [illegible]

بعد أن عرفنا ذلك لم يعد من المستساغ الالتفات لترهات القاديانية وتأويلاتهم ، ومن إضاعة الوقت والجهد أن نلتفت أيضاً إلى إثارتهم لقضية موت عيسى عليه السلام . وهو مانع من نزوله مرة أخرى ، وعدم تصور كونه لا يزال حياً منذ نحو ألفي عام ، فإن ذلك إنما يتيح لهم القول بأن المراد من المسيح المخبر عنه وهو غلام أحمد بناء على أن عيسى قد مات ، ولا يمكن تصور حياته حتى الآن مع أن الإمكان العقلي لبعثه على فرض موته قضية واردة ولها نظير من قصة العزيز الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه[1] وقصة أصحاب الكهف الذين بعثهم الله بعد أن لبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً .

وهذا ما يتناسب مع تمام القدرة الإلهية التي لا يعجزها أمر مهما بدا صعب التصور للعقل البشري المحدود فضلا عن أمر يسير كهذا ـ أو إمكان أن يكون عيسى عليه السلام حياً حتى يومنا هذا وأن حكمة الله اقتضت ذلك لأمر يختص بعلمه سبحانه ، لا مانع في العقل من كلا الأمرين لمن تجرد لطلب الحق ومناصرته .

وخلاصة القول : أن نزول المسيح من السماء إلى الأرض في الناس قبل يوم القيامة مسألة قد ثبتت بخبر النبي ﷺ في نحو سبعين حديثاً رواها أكثر من عشرين صحابياً ، وعنهم رواها أكثر من مائة رجل من التابعين وتابعيهم أكثرهم ثقات . وهم من جهات مختلفة من العالم ، الأمر الذي يؤمن

---

(١) نقصد من هذا الآية رقم ٢٥٩ من سورة البقرة قال تعالى :

« أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها ، قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه » الآية .

عدد تواطؤهم على الكذب والاختلاق ، وأكثر هذه الأحاديث متصلة السند إلى رسول الله ﷺ مما يجعل هذه الحقيقة من الحقائق المتواترة الخبر من قبيل التواتر المعنوى فى حديث النبى ﷺ .

والقرآن وإن لم يصرح بنزول عيسى قبل يوم القيامة إلا أنه أشار إلى ذلك فى موضعين أحدهما فى قوله تعالى « وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمن به قبل موته » الآية (١) إذا فهمت هذه الآية على الوجه الذى ذهب اليه أكثر المفسرين من انه ما من صاحب كتاب لا يؤمن بعيسى عليه السلام قبل موته أى قبل موت عيسى عليه السلام ، وذلك المعنى لا يتصور إلا بعد نزوله وفراغه من مهمته التى نزل من أجلها كما أخبر بذلك النبى ﷺ وإلا فإن الإيمان به على هذا الوجه لم يتحقق حتى الآن .

والموضع الثانى فى قوله تعالى « وإنه لعلم للساعة » (٢) ووجهه كذلك على ما ذهب إليه أكثر المفسرين أن عيسى عليه السلام من علامات اقتراب يوم القيامة ، وهذا الاحتمال فى معنى الآيتين يترجح بثبوت السنة الصحيحة فضلا عن ثبوت إجماع الأمة كما سبق توضيحه وبناء على ذلك لا يكون مسيح القاديانية هو المقصود بهذا الوصف ولو لجأوا إلى تأويله .

(ب) والحديث يصرح ايضا بأن الذى سينزل هو ابن مريم وابن مريم سماه القرآن عيسى كما سماه المسيح ، ففى سورة مريم بعد ما ذكر من قصة

---

(١) سورة النساء آية : ١٥٩ .

(٢) سورة الزخرف آية ٦١ .

بشارة الله لها عن طريق وحيه بأنها ستكون أماً لغلام زكى دون أن تعرف الحياة الزوجية ولكنها نفخة من روح الله ليكون هذا الغلام آية للناس ورحمة من الله ، وبعد ما ذكر من حالها مع قومها واتهامهم إياها بسبب هذه الولادة الحادثة من غير زوج معروف لهم ثم براءتها على لسان طفلها الذى تكلم فى المهد وقال ما قال مما يكفى لبراءة أمه .

بعد كل ذلك عقب القرآن بإعلان اسم هذا الطفل الذى هو ابن مريم ابنة عمران بقوله « ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذى فيه يمترون »(١) .

فابن مريم هو عيسى كما قرر القرآن هنا . وهو الذى قال عنه وعن أمه القرآن « وجعلناها وابنها آية للعالمين »(٢) .

وهو نفسه الذى سماه القرآن المسيح ابن مريم فى قوله تعالى « ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل »(٣)

ويذكر القرآن له الإسمين معاً مضيفا إليهما بنوته لمريم كما يذكر له وصف الرسالة وكونه كلمة الله وروح منه وذلك فى قوله تعالى :

« إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه »(٤) ومريم هى التى عرفها القرآن فى قوله تعالى « ومريم ابنة عمران التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت

---

(١) سورة مريم آية : ٣٤ .
(٢) سورة الأنبياء آية : ٩١
(٣) سورة المائدة آية : ٧٥ .
(٤) سورة النساء آية : ١٧١ .

من القانتين ، [١] وما ورد فى الحديث الصحيح على نحو ما هو بين أيدينا الآن ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم . . . إلخ .

فلا ريب أنه هو ذاته ابن مريم الذى عرفه المسلمون فى قرآنهم . وليس شخصاً غيره وادعى أنه مثيله أو مظهره أو هو هو ولد من بطن مريم بطريق الاستعارة أو التمثيل على نحو ما مضى إليه متنبى القاديانية من الهراء والعبث ، فلو كان ابن مريم فى الحديث غيره فى القرآن لبينه النبى ﷺ فيما ورد عنه ولو على سبيل الاحتمال فى المعنى [٢] .

بل إن واحدة من الروايات السبعين لم تتجاوز ماذكره القرآن لابن مريم من أسماء ، وقلما تذكر رواية منها اسم المسيح مجرداً عن اسم عيسى أو ابن مريم وما حدث هذا إلا فى رواية واحدة ومع ذلك فقد جاء التصريح من طرق أخرى لهذه الرواية بإضافة اسم عيسى أو ابن مريم إلى المسيح .

وما زال علماء المسلمين سلفاً وخلفاً متفقين على أن المسيح الذى أخبرت السنة بنزوله إنما هو عيسى ابن مريم ابنة عمران عليهما السلام لامسيحاً آخر بالمماثلة أو التجسد أو غير ذلك ولو كان يدعى غلام أحمد ابن غلام مرتضى ابن عطاء محمد وهذا هو اسم متنبى القاديانية كما قرر ذلك بنفسه [٣] ولم يكن

---

(١) سورة التحريم آية : ١٢ .

(٢) من الروايات التى جاءت تسميته فيها أنه عيسى (يخرج الدجال فى أمتى فيمكث أربعين لا أدرى يوماً أو أربعين شهراً أو أربعين عاماً ، فيبعث الله عيسى ابن مريم كأنه عروة ابن مسعود ، أخرجه مسلم وأحمد والحاكم واللفظ لمسلم .

(٣) حاشيا كتاب البرية للغلام ص ١٣٤ .

فاسم أمه مريم ولو من قبيل المصادفة ، بل اسمها (جراغ بى بى) كما جاء فى كلام يعقوب القاديانى من قوله (لا توجد فى العالم أم تكون أعظم منزلة من نساء الدنيا بعد السيدة آمنة أم الرسول إلا واحدة وهى « جراغ بى بى » التى ولدت فى العالم ابنا عظيم الشأن غلام أحمد القاديانى)[١] .

(ج) ومن الأوصاف التى تستنبطها من الحديث علامة للمسيح ابن مريم أنه حين ينزل يقوم بكسر الصليب . . والصليب هو شعار النصارى اتخذوه رمزاً لعقيدتهم المحرفة التى تقوم على أساس أن الله قد أمات عيسى ابن مريم الذى هو ولده الوحيد مصلوباً ميتة اللعنة ، ليكون كفارة عن ذنوب البشر أجمعين ويكون كسر المسيح الصليب إعلاناً منه لفساد تلك العقيدة ، حيث يعلن عليه السلام أنه لم يكن ابن الله ولم يمت مصلوباً ولم يكن كذلك كفارة لذنوب أحد من البشر .

وأن هذه العقيدة ليست من دين الله فى شىء .

ومتنبىء القاديانية نفسه يصدق بما جاء فى الحديث بخصوص هذا العمل ويؤمن بأنه من معجزات المسيح ، ويفهم منه أنه رمز لمحو فكرة التثليث التى كفر بها النصارى فيقول :

(الآية البينة والعلامة الواضحة التى جعلت للمسيح الموعود ، هى كسر الصليب على يده)[٢] . ويقول .

---

(١) حياة النبي ج ١ ص ١٤١ ، ١٤٢ ليعقوب القاديانى .
(٢) إنجام آتهم الغلام ص ٤٦ .

بين الحديث أن أول علامة المسيح هي كسر الصليب على يده [١] .

ويقول : (إن الغرض من نزول المسيح هو أن تمحى فكرة التثليث ويظهر جلال الله الوحيد)[٢] .

ويقول (إن المسيح يبذل كل جهوده لمحو فكرة التثليث) [٣].

ثم يدعى - انطلاقا من ترسيخ دعواه المسيحية بوجه من الوجوه - أنه ما تعني من دعواه كسر عمود عبودية عيسى يعني الصليب [٤].

وتضاف هذه المعضلة إلى سابقتيها في مواجهة مسيلمة القاديان .

وإلا فهل محيت فكرة التثليث من الأرض ونكث شعار النصارى وكسر صليبهم ولم يعد هناك نصراني ينحرف عن عقيدة التوحيد أم أن النصرانية ازدادت انتشاراً وتكاثر عدد النصارى وتفاقم خطرهم منذ ظهور هذا الميرزا حتى أيامنا هذه ؟

وأبلغ الإجابات عن هذا التساؤل يمكن طرحها في ضوء هذا العهد الذي أخذه على نفسه أمام أتباعه حين قال :

« إن لم أفعل لحماية الإسلام ما هو منوط بالمسيح الموعود ومت فاشهدوا بأني كاذب [٥].

(د) ثم ينص الحديث على أن ابن مريم وقت نزوله سيقوم كجزء

---

(١) نفس المرجع ص ٤٧ .

(٢) إعلان منارة المسيح للغلام المتدرج في تبليغ رسالة .

(٣) حاشية أيام صلح ص ٤٤ للغلام .

(٤) مقال الغلام المندرج في جريدة بدر القاديانية ١٩ يوليو ١٩٠٦ .

(٥) المرجع السابق ، ونقلا عن محمدية باكت بيك للشيخ عبد الله معمار .

من مهمته بقتل الخنزير . ولا ريب أن الشرائع السماوية قاطبة قد حرمت أكل الخنزير إلا أن الملة النصرانية المحرفة قد انفردت باستباحته لأن النصارى قد اكتفوا فى ديانتهم بالجانب العقدى ، وتحللوا من أحكام الشريعة ، وكما سوف يبين لهم المسيح بن مريم فساد منهجهم عقديا حين يكسر الصليب فسوف يبين لهم ضلالهم وانحرافهم على نحو ما مر فى موقفهم من الشريعة وأحكامها فيعلن عمليا عدم إباحة الخنزير وغيره مما حرمته الشريعة الإلهية حين يقتل الخنزير .

ومن قبيل البدهى هنا القول بأن مسيح الهند الموعود ليقوم بهذا الجانب من المهمة التى جعلها الله من خصائص المسيح الحقيقى ، وكيف له أن يقوم بذلك ، ومن المترجح إن لم يكن من المتيقن أنه كان يأكل الكعك المصنوع من شحم الخنزير . هكذا يقول بشير أحمد بن غلام أحمد (إن أبى كان يأكل الكعك مع أن بعض الناس كانوا يتشككون فى أنه مصنوع من شحم الخنزير أو مطبوخ فيه ـ لكن الغلام كان مذهبه أنه ما دام لم يثبت عندنا أن هذا الكعك مطبوخ بشىء معين فلا بأس من أكله)(١) .

(هـ) ثم يشير الحديث إلى الجانب الأكبر من مهمة المسيح الموعود فى قوله ﷺ عنه (ويضع الحرب) أى المسيح سيوقف حروب المسلمين مع أعدائهم وذلك بالقضاء على أسبابها ، فإن الملل الباطلة ستنحسر وتتلاشى ، حيث يلزم عيسى عليه السلام النصارى الحجة بمواجهته لهم ويقتل المسيح الدجال وينتصر على أتباعه من اليهود ولا يبقى إلا لواء الإسلام ينضوى

---

(١) سيرة المهدى جـ ٢ ص ١٣٥ .

الكل تحته ويعتزون بعزته . وحينئذ لا يبقى إلى الحرب ضرورة بين المسلمين وغيرهم من أصحاب النحل المحرفة .

هذا هو معنى أن يضع المسيح الحرب الذى فسرته الرواية الأخرى ونصها (ويضع الجزية) أى أنه يسقط الجزية عمن وجبت عليه من الذميين والكتابيين حيث لم تعد إليها حاجة لدخول الكل فى الإسلام وقد جاء عن النبي ﷺ توضيح ذلك فى روايتين صحيحتين .

أولاهما : ما أخرجه أبو داود فى كتاب الملاحم باب خروج الدجال والإمام أحمد فى مرويات أبى هريرة (أنه ﷺ قال : ليس بينى وبينه نبى (يعنى عيسى) وإنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه . رجل مربوع إلى الحمرة والبياض بين ممصرتين ، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل : فيقاتل الناس على الإسلام ، فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويهلك الله فى زمانه الملل كلها إلا الإسلام ويهلك المسيح الدجال فيمكث فى الأرض أربعين سنة ثم يتوفى فيصلى عليه المسلمون) .

والرواية الثانية : ما أخرجه ابن ماجه فى كتاب الفتن باب فتنة الدجال عن أبى امامة الباهلى قال : قال رسول الله ﷺ (فى حديث طويل فى ذكر الدجال) ، (فبينما إمامهم قد تقدم يصلى بهم الصبح إذ نزل عليهم عيسى ابن مريم فرجع ذلك الإمام ينكص يمشى قهقرى ليقدم عيسى ، فيضع عيسى يده بين كتفيه ثم يقول له : تقدم فصل فإنها لك أقيمت ، فيصلى بهم إمامهم ، فإذا انصرف قال عيسى عليه السلام : افتحوا الباب فيفتح ووراءه الدجال ومعه سبعون ألف يهودى ، كلهم ذو سيف محلى وساج . فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح فى الماء وينطلق هاربا ، ويقول عيسى إن لى فيك ضربة لن تسبقنى بها فيدركه عند الباب اللد الشرقى ، فيهزم الله

اليهود ـ وتملأ الأرض من السلم كما يملأ الإناء من الماء ـ وتكون الكلمة واحدة فلا يعبد إلا الله تعالى) .

والميرزا غلام أحمد يقرر بما جاء فى هذه الروايات من حقائق ولا يؤولها وقد جاء على لسانه (إن الله أراد أن يجعل جميع الملل على مذهب واحد ، وجعل لهذا العمل نائباً سماه المسيح الموعود)[١] .

كما قال (يظهر من لفظة الرجيم فى قوله : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم أنه يأتى زمان لا يبقى فيه باطل ويفنى الكذب ، ويهلك الملل كلها سوى الإسلام)[٢] .

كما قال : (قد اتفق على هـذا بأن الإسلام ينشر فى الدنيا بكثرة ويهلك الملل الباطلة فى عهد المسيح الموعود)[٣] .

هكذا يعترف الغلام المدعى بالمهمة الكبرى التى سيضطلع بها المسيح الموعود طبقا لما ورد به الخبر الصحيح عن الصادق المصدوق ، ومن ثم يواجه الغلام مأزقاً اى مأزق ، فإن أنصاره قبل خصومه يشهدون بأنه لم يخرج من هذا المأزق إلا شخصية هازلة مخادعة ، وإلا فهل انتهت على يديه وفى عهده النصرانية واليهودية وغيرهما من الملل إلى الإسلام ، وأصبح الإسلام هو الدين الوحيد ؟!

وهل وضع الغلام الحرب وأسقط الجزية ، نعم وضع الغلام الحرب

---

(١) مرآة المعرفة للغلام ص ٨٢ .

(٢) إعجاز المسيح للغلام ص ٨٣ .

(٣) أيام صلح للغلام ص ١٣٦ .

وألغى فريضة الجهاد، لكن لا على أساس زوال أسباب الحرب والجهاد وظهور الإسلام على جميع الملل واعتناق الناس جميعا للإسلام وتنصلهم عما كانوا عليه من نحل باطلة وإنما كان ثمة أساس آخر، وضع ميرزا الحرب وأسقط الجهاد بناء عليه . وهو مهادنة الحكومة الإنجليزية المستعمرة لبلاده وإخضاع المسلمين لها عن طريق التأويل المغرض لنصوص الدين ، وقد وضحنا أسباب تعاونه مع أعداء الإسلام واختيار الإنجليز للميرزا للقيام بهذه المهمة فيما سبق من المباحث .

و.. ثم يشير الحديث أيضاً إلى علامة أخرى يتميز بها زمن نزول عيسى عليه وعلى نبينا السلام وذلك فى قوله ﷺ (ويفيض المال حتى لا يقبله أحد) وهى إشارة إلى أن المال سيكثر ويتوفر وسيكون الرخاء سمة هذا العصر وسيكتفى الناس بحيث لا يوجد من بينهم من يستحق الصدقة الحق فى ظل الإسلام الذى يعيد الله على يد عيسى بن مريم ظهوره على الدين كله .

ولقد كان عصر مسيح الهند (الغلام) أبعد ما يكون عن عصور الرخاء الاقتصادى شأن كل دولة تمزقها الفتن وتشتتها الثورات الداخلية ويجثم على صدرها الاستعمار .

وأما مفترى القاديان فلقد كان يفتن فى ابتزاز مريديه وأخذ أموالهم تارة باسم التبرعات لتقوية الدعوى ونشرها ، وتارة أخرى باسم العون على طبع كتبه ، وتارة ثالثة باسم أنه يستحقها أجراً على دعائه بالشفاء والبركة لأبناء الأغنياء من أتباعه ، ورابعة باسم أنها ثمن لأرض اشتراها لتكون مقبرة لمن يموت من القاديانية ، زاعماً أن الله أوحى إليه بأن الجنة تحت هذه الأرض وأن من دفن فيها سيدخل الجنة ويكون من الآمنين إلى آخر ما ثبت عنه من حيل وأساليب لئيمة أشبه ما تكون بحيل النصابين والدجالين فى

ابتزاز الناس فى سلب أموالهم بالباطل . ولا يخفى على أحد أن ذلك على النقيض مما ورد عن المسيح الموعود فيما أخرجه ابن ماجه عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : (لا تقوم الساعة حتى ينزل عيسى بن مريم حكماً مقسطاً وإماماً عادلا ، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ، ويفيض المال[1] حتى لا يقبله أحد) .

وفى رواية للإمام أحمد : (ليدعون إلى المال فلا يقبله أحد) .

ورواية أخرى له ولمسلم : (فيقتل الخنزير ويمحو الصليب ويعطى المال حتى لا يقبل) .

٢ — عن النواس بن سمعان أن النبى ﷺ قال — فى قصة الدجال — (فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح بن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقى دمشق بين مهروذتين[2] ، واضعا كفيه على أجنحة ملكين ، إذا طأطأ رأسه قطر ، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهى إلى حيث ينتهى طرفه ، فيطلبه حتى يدركه بباب لد[3] فيقتله)[4] .

---

(١) من أفاض : المال منصوب على المفعولية والفاعل ضمير يعود على عيسى .

(٢) ثوبين أصفرين مصبوغين بالورد : وهو طين أصفر .

(٣) هو فى هذه الأيام موضع فى فلسطين المحتلة على مسافة أميال من تل أبيب وقد أنشأ فيه اليهود مطاراً عظيماً .

(٤) أخرجه مسلم فى ذكر الدجال ، وأبو داود فى كتاب الملاحم باب خروج الدجال ، والترمذى فى أبواب الفتن باب فى فتنة الدجال وابن ماجه فى كتاب الفتن باب فتنة الدجال .

ونظرة إلى الحديث نجده صريحاً فى بيان مكان نزول عيسى عليه السلام، والصورة التى يمكن أن يعرفه المسلمون عليها فلا تدع فى نفس من رآه ذرة من شك فى أنه المسيح الذى أخبر بنزوله محمد ﷺ ، فمكان النزول هو شرقى دمشق عند المغارة البيضاء وليس مكاناً آخر فى أى بقعة أخرى من بقاع الأرض، لا قاديان ولا غيرها من بلدان العالم.

ولعل الحكمة فى اختيار الله لدمشق مكاناً لنزول المسيح أنها ستكون فى تلك الأيام على عين جبهة المواجهة فى تلك الحرب التى ستنشب بين المسيح عليه السلام والدجال ومن معه من اليهود كما أخبرتنا السنة الصحيحة أن الدجال سيظهر فى اليهود وسيدعى أنه المسيح الموعود الذى عاد ليعيد لهم مملكة إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات، ويحقق لهم حلماً طالما منوا أنفسهم به وأنه سيدخل سوريا مع ٧٠ ألف رجل من اليهود حتى يصل إلى ظاهر مدينة دمشق.

ففى مثل هذه المرحلة سينزل عيسى عليه السلام وقت صلاة الفجر لمحاربته. وهناك ينهزم عدو الله ولا يستطيع الوقوف أمام هجومه فيرجع القهقرى إلى إسرائيل عن طريق عقبة أفيق[1]. فيطارده عيسى عليه السلام حتى يدركه عند مطار اللد ويقتله، وسيقتل اليهود بعد ذلك شر قتلة وتنقرض

---

(١) هى آخر مدينة على الحدود بين سوريا ودولة إسرائيل وهى معروفة هذه الأيام بـ(فيق) وأمامها من جهة الغرب بحيرة طبرية التى ينحاز منها نهر الاردن، وفى جهتها الجنوبية الغربية طريق جبلى ينحدر إلى نحو ألفى قدم حتى يصل إلى الموضع الذى ينبع فيه نهر الاردن من بحيرة طبريا، فهذا الطريق الجبلى هو المعروف بعقبة أفيق.

الملة اليهودية — كما أن المسيحية لا تبقى لها باقية بعد إعلان عيسى براءته منها وإظهاره الحقيقة وسوف تنضم الملل كلها إلى ملة واحدة ، ملة الإسلام[١] .

وأمام هذه الحقائق الثابتة يلجأ مسيح الهند غير الموعود إلى المراوغة على عادته إذ يجد نفسه أمام أحاديث صحيحة لا سبيل له إلى إنكارها ، فلا يجد مناصاً من التأويل الباطنى ، فأمام ورود الأحاديث بأن دمشق هى موضع نزول عيسى عليه السلام . قال متأولا : (أنا لا أنكر ولن أنكر إمكان مجىء المسيح الآخر الذى ينطبق عليه ظواهر الأوصاف التى وردت فى الأحاديث والتى لم تنطبق على ظواهرها ولعله حقيقة ينزل مسيح آخر فى دمشق)[٢] .

ثم وجد أن هذا لا يسمن ولا يغنى من جوع فخرج بشىء آخر ولكنه أفسد من الأول فقال : (ما ورد فى صحيح مسلم بأن المسيح ينزل عند المنارة البيضاء شرقى دمشق قد أوقع المحققين فى الحيرة ، ولكن الآن أظهر الله معناه . وهو أن المراد من دمشق قرية يسكن فيها يزيديون أعداء الله وأعداء رسوله والذين جعلوا الأهواء آلهتهم واتبعوا نفوسهم الأمارة ، فكان من اللازم أن ينزل فيهم المسيح وعلى هذا أظهر الله على أن المراد من دمشق قرية توجد فيها خصائص دمشق ، وهذه هى القاديان كما أظهر الله على لأنها تشبه دمشق ، وسكن فيها يزيديون ، والظاهر أنه ليس من

---

(١) ما هى القاديانية — أبو الأعلى المودودى ص ٢٢٢ ، وانظر الأحاديث التى خرجها المؤلف فى المسألة من ٢٠٧ إلى ٢١٥ .

(٢) مكتوب الغلام إلى الشيخ عبد الجبار المندرج فى تبليغ رسالة ج ٢ ص ١٥٩ لقاسم القاديانى .

الضرورى التشابه الكامل فى التشبيه ، بل أحياناً يطلقون اسم الشىء على الشىء لأدنى المشاركة بينهما . وعلى هذه القاعدة العامة شبه الله القاديان بدمشق)[١] .

وما كان للميرزا القاديانى أن يعجز عن تخطى صعوبة المنارة البيضاء التى حددت الأخبـــار النبوية الصحيحة نزول المسيـح الموعود عليها ، فقام سنة ١٩٠٣ م ، وذلك بعد ادعائه المسيحية بنحو اثنى عشر سنة ببناء منارة فى قاديان سماها المنارة البيضاء أو منارة المسيـح التى جاء ذكرها فى الحديث مع أن الذى يقتضيه نزول عيسى على هذه المنارة أن تكون موجودة قبل ذلك .

وبهذا الاستخفاف ما زال المدعى القاديانى يتصور أنه يستطيـع أن يدفع ما يواجهه دعوته المبنية على الكذب والخداع من صعوبات ومشكلات تنشأ من تظاهره بالانتماء إلى الإسلام وتمسكه بكتابه وسنة نبيه . إذ ما كان يرغب فى أن يعلن على أتباعه براءته من دين الإسلام كما فعل ذلك زعيم الطائفة البابية ، على أن مسلك الميرزا على هذا النحو يجعل الكيد للإسلام أشد خطورة ، كما يجعل التغرير بعقول المسلمين والعبث بعواطفهم أشد تأثيراً .

(ب) ثم حدد هذا الحديث وغيره الهيئة التى ينزل عليها ابن مريم عليه السلام حيث أخبر النبى ﷺ ـ أنه ينزل عند المنارة البيضاء شرقى دمشق بين مهرودتين ـ أى ثوبين أصفرين واضعاً كفيه على أجنحة ملكين إلى آخر الحديث

---

(١) انظر القاديانية دراسات وتحليل لإحسان إلهى ظهير ص ٢١١ وانظر حاشية إزالة الأوهام للغلام ـ ص ٦٣ ـ ٧٠ .

ويضاف إلى هذا ما جاء فى رواية أبى هريرة ـ فيما أخرجه أبو داود والإمام أحمد (فإذا رأيتموه فاعرفوه رجل مربوع إلى الحمرة والبياض بين ممصرتين كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل) .

وهذه الصورة إذا تأملناها بعد تجميع عناصرها من أخبار النبى ﷺ فإننا نجدها قد احتوت من عناصر الإعجاز وأمارات الحق مما لا يمكن أن يرى عليها إلا نبى مرسل من عند الله ، الأمر الذى لا يكون معه شك فى حقيقة المسيح أو ينشأ عنده سؤال فى قضية نزوله .

ولكن غلام أحمد الذى يعز عليه أن لا تنطبق عليه هذه الصورة انطباقاً حقيقياً فيكون فى متناول الشكوك والتهم من قبل أتباعه فضلا عن خصومه فيلجأ إلى تأويل الثوبين الأصفرين تأويلا يثير الاشمئزاز والتقزز من عقليته واستخفافه ، أكثر مما كان يثيره ظهوره بمذهب الكاذب والمفتر . وهذا ما قاله : (قد ثبت فى صحيح مسلم أن عيسى ينزل فى رداءين أصفرين ومعناه أنه يكون مريضاً وقت نزوله)[1] .

وقال (إن المراد من الرداءين المرضان ، يعنى أشار رسول الله ﷺ أن المسيح يكون مريضاً بمرضين وقت نزوله ، فها أنا مبتلى بمرضين مرض البول ، ومرض دوران الرأس)[2] .

وقال : قد ابتليت بمرضين ، مرض كثرة البول ودوران الرأس حينما ادعيت أنى المسيح الموعود)[3] .

---

(١) إزالة الأوهام للغلام ص ٨١ .
(٢) مقال الغلام المندرج فى جريدة بدر .
(٣) حقيقة الوحى الغلام ص ٢٠٦ وما بعدها .

وقال : (ورد فى الحديث أن المسيح ينزل فى رداءين أصفرين ، فهاهما الرداءان مرضى بدوران الرأس الذى أسقط أحيانا لشدته على الأرض ، ومرضى كثرة البول الذى أحيانا أبول مائة مرة فى يوم واحد)[1] .

وهكذا يجعل الميرزا المضلل من مرضيه هذين آيتين من آيات نبوته المزعومة ، لأنهما المرادان على حد زعمه على الثوبين الأصفرين فى الحديث مع أن دوران الرأس وسلس البول من الأمراض المتنافية مع ما وجب للرسل من صفات زودهم الله بها ليتمكنوا من القيام بمهمتهم العظمى وتؤهلهم لأداء رسالتهم .

٣ - عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال : ليس بينى وبينه (يعنى عيسى) وفى رواية أخرى أنا أولى الناس بعيسى بن مريم لأنه لم يكن بينى وبينه نبى وأنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه، رجل مربوع إلى الحمرة والبياض بين ممصرتين كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل ، فيقاتل الناس على الإسلام فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويهلك الله فى زمانه الملل كلها إلا الإسلام ويهلك المسيح الدجال فيمكث فى الأرض أربعين سنة ثم يتوفى فيصلى عليه المسلمون[2] .

وفى رواية (. . وتقع الأمنة على الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل والنمار مع البقر ، والذئاب مع الغنم ، ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم ، فيمكث فى الأرض أربعين سنة ، ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون ويدفنونه) .

---

(١) ضميمة براهين أحمدية للغلام . جـ ٥ ص ٢٠١ .

(٢) أخرجه أبو داود فى كتاب الملاحم باب خروج الدجال . والإمام أحمد فى مرويات أبى هريرة .

والذى يهمنا أن نستنبطه من هذا الحديث هنا .

(أ) هلاك المسيح الدجال فى زمان عيسى عليه السلام وعلى يديه ، والمتفحص للروايات الواردة فى حديث الدجال مع عيسى عليه السلام يدرك أن الغاية الحقيقية من نزوله هى قتل الدجال والقضاء على فتنته التى سينال المسلمين من ورائها الشر الكثير ، يقول الأستاذ أبو الأعلى المودودى : (إن الغرض الذى تبينه الأحاديث لنزول عيسى ، هو أنه سيظهر فى آخر الزمان دجال يعرض نفسه على الناس مدعياً أنه المسيح ، فهناك يتبعه اليهود ويسبب فتنة شاملة وضلالا مطبقاً فى العالم كله ، فيرجع الله المسيح الحقيقى إلى الدنيا لكى يقمع هذا الدجال وينقذ الناس من شره . والنبى ﷺ إنما أخبر الناس بظهور الدجال ليكونوا على حذر ولا يروا فيه المسيح ، ويترقبوا نزول المسيح الحقيقى فى زمانه ، ثم ينصرونه ويؤيدونه فى قمع فتنة الدجال وقطع دابره [١] .

نزول المسيح لا يتعارض مع عقيدة ختم النبوة :

وعلى هذا فإن نزول المسيح لا يتعارض مع ختم النبوة بمحمد ﷺ فليس المسيح حينئذ نبياً بعثه الله بشريعة جديدة ليدعو الناس إلى الإيمان به ويكفر من يخالفه حتى يكون أمة مستقلة ، ولا هو قد نزل ليكمل ما بدأه وقت بعثته ، وإنما نزل متبعاً لنبوة محمد ﷺ وحاكما بشريعته .

والذى تفيده الأحاديث الصحيحة أنه ينزل لينضم إلى صفوف المسلمين ويتبع أميرهم ويصلى خلف إمامهم ، حتى يدفع كل ما يمكن أن يثار من

---

(١) ماهى القاديانية لأبو الأعلى المودودى ص ١٥٤ وما بعدها .

شبهات حول استقلاله بالنبوة والشريعة وإمكان عودة نزول الوحى عليه بعد انقطاعه بختم النبوة .

ومن الأحاديث الدالة على ذلك ما أخرجه أحمد والطبرانى والحاكم عن عثمان بن أبى العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ... وينزل عيسى ابن مريم عليه السلام عند صلاة الفجر فيقول لهم أميرهم : يا روح الله تقدم . فيقول : هذه الأمة لأمراء بعضهم على بعض ، فيقدم أميرهم فيصلى بهم الحديث » :

وما أخرجه الإمام أحمد عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال فى قصة الدجال « ... فإذا هم بعيسى بن مريم عليه السلام فتقام الصلاة فيقال له : تقدم يا روح الله فيقول : ليتقدم إمامكم فليصل بكم ، فإذا صلى صلاة الصبح خرجوا إليه ... الحديث » .

ونتساءل هنا : ماذا يرى غلام أحمد فى هذه المسألة ؟ وقد افتقدنا له تأويلا فى قتل الدجال على يد المسيح الموعود ، بل إنه قد ورد عنه قوله : (ثم يخرج المسيح بن مريم مفتشاً عن الدجال ويدركه على باب قرية من قرى بيت المقدس يقال لها لد ويقتله)[1] .

ولا يزال الميرزا متورطا فى هذه المشكلة حتى مات ولم يزر فلسطين ولم ير باب اللد ، ولكنه كلما أعوزته الحيلة وواجهه الحرج أعلن على أتباعه أن ليس معنى كونه مسيحياً أن لا يبعث الله مسيحاً غيره تنطبق عليه هذه العلامات التى حددتها السنة ، فينسى أو يتناسى أنه يجهد

---

(١) إزالة الأوهام للغلام ص ٢٢٠ .

ذهنه أحيانا فى إثبات أنه المسيح الموعود ، والعجيب أنه يصدر على نفسه الحكم الذى يقتضيه التناقض فقد عزى إليه قوله لا يصدر قولان متناقضان إلا عن مجنون أو منافق .

(ب) وهذا مثال آخر يضاف إلى ما تقدم من الأمثلة فى التأويل الباطل لنصوص الشريعة يستر خلفها نفاقه وخبثه .

فالحديث هنا ينص على أن المسيح بعد نزوله سيمكث فى الأرض أربعين سنة ، وعلى القاديانية حينئذ أن يثبتوا انطباق هذه النبوءة على مسيحهم . فالواقع أنهم ما كان لهم أن يثبتوا ذلك سواء قارنا رقم الأربعين سنة بعمر الغلام كله بدءاً من مولده إلى يوم وفاته ، أو قارناه بالزمن الذى استغرقته دعواه المسيحية .

فإنه قد ولد سنة ١٨٣٩ م / ١٨٤٠ م ومات سنة ١٩٠٨ م فعلى هذا كان عمره ٦٨ سنة أو ٦٩ سنة ، لهذا أولوه بأن المقصود به عمر البعثة وهذا أيضاً لم يتحقق لأن دعواه المسيحية كان فى سنة ١٨٩١ م كما ذكر ابنه بشير أحمد فى سيرته[1] وعليه فلم يمض على دعواه المسيحية حتى مات أكثر من سبع عشرة سنة .

وهكذا يواجه القاديانية طائفة من المشكلات التى تستعصى على الحل فى جانب ادعاء الغلام أنه المسيح الموعود بالرغم من كل تحايلاته ، وسلوكه شتى مسالك الخداع والالتواء ، ولعبه بمفاهيم السنة الصحيحة وتسخيرها لإثبات كذبه وهرائه ، الأمر الذى يجعل عقلاء القاديانية فى موقف مخجل

---

(١) سيرة المهدى ج ١ ص ٣١ لبشير أحمد .

من سيرة زعيمهم وفى وضع مخز من شخصية متنبئهم الفوضوى المستهتر ، لما أحرى القاديانية أن يثوبوا إلى رشدهم وإن لم تأخذهم العزة بالإثم وأن يصححوا رؤيتهم إلى حقائق الإسلام الواضحة من مصادرها الصافية ، وأن يعودوا إلى صفوف المسلمين . فما يخسرونه من رجوعهم عن غيهم وانصرافهم عن تعاليم الشيطانية ، ما هو إلا عرض تافه بالقياس إلى عظيم ما يغنمونه فى حظيرة الإسلام الحقيقى بين يدى الله ورسوله والمؤمنين .

ثم أعلن بعد ذلك عام ١٩٠١ م أنه نبى مستقل وأفضل من جميع الأنبياء المرسلين لو قال : « والله الذى فى قبضته روحى هو الذى أرسلنى وسمانى نبياً وأظهر لصدق دعواى بآيات بينات بلغ عددها ثلاثمائة ألف بينة »(١) .

هكذا وعلى هذا النحو مرت دعوته بهذا التطور المرحلى بدءاً بدعوى التجديد ، وانتهاء بدعوى النبوة . بالرغم من أنه ـ إحكاماً لخطة الخداع والمكر بالمسلمين ـ هو القائل ـ أثناء دعوته إلى نفسه :

(أنا أعتقد كل ما يعتقده أهل السنة ، كما أنى أعتقد أن محمداً خاتم النبيين ، ومن يدعى النبوة بعده هو كافر ، كاذب ؛ لأنى أؤمن أن الرسالة بدأت من آدم وانتهت إلى رسول الله ﷺ)(٢) .

وهو القائل أيضاً :

(إن من يدعى النبوة بعد محمد هو أخو مسيلمة الكذاب ، وكافر .

---

(١) تتمة حقيقة الوجود ص ٦٨ .

(٢) إعلام الغلام بتاريخ ١٢ أكتوبر سنة ١٧٩١م المندرج فى تبليغ رسالة جـ ٢ ص ٢ .

وخبيث)[١] .

وقال : (نحن نلعن من يدعى النبوة بعد محمد ﷺ)[٢] .

من زعموا أنه مجدد :

وبمثل هـــذه العبارات المنقولة عن القاديانى انخدع بعض الباحثين ، كالأستاذ عباس العقاد فى كتابه : « الإسلام فى القرن العشرين » أو موه وخادع البعض الآخر كبعض المستشرقين من أمثال جولد تسيهر فى كتابه « العقيدة والشريعة فى الإسلام » ، ولورانس بروان فى كتابه : « طوالع الإسلام » الذى لخصه وقدمه عباس العقاد فى مجلة الرسالة سنة ١٩٤٥ م .

أقول : انخدع النوع الأول من الباحثين ، وخادع الثانى ، وادعى جميعهم أن القاديانى ما كان إلا مجدداً لما درس من تعاليم الإسلام ، وأن النحلة القاديانية ما هى إلا حركة تجديد وإصلاح للعقيدة الإسلامية .

ويعنى ذلك : أن هؤلاء وأولئك ينكرون ، أو يتجاهلون عامدين ، أو غير عامدين ادعاء غلام أحمد للنبوة بالتبعية أو الاستقلال .

ودون هذه المرتبة من الباحثين أصحاب هذا الاتجاه مرتبة ينكر أصحابها ادعاء الرجل للنبوة ويثبتون ادعاءه للنبوة بالتجسد أو التبعية

من هؤلاء : الدكتور محمد إسماعيل الندوى الذى يذهب على ضوء قراءته

---

(١) إنجام آتهم للغلام ص ٢٨ .

(٢) إعلان الغلام المندرج ف تبليغ رسالة جـ ٦ ص ٢ .

لكتب القاديانى إلى أنه لم يدع يوماً من الأيام النبوة الحقيقية ، ولم ينصب نفسه نبياً بعد الرسول ﷺ ينسخ رسالته ، ويبطل كونه خاتم الأنبياء ، بل كل ما قاله : إنه المهدى المعهود ، ثم المسيح الموعود ، أو النبي وفق عقيدة التجسد[1] .

ادعاء غلام أحمد النبوة والرد عليه :

الحق هو ما ذهبت إليه آنفاً من أن كل هذه الادعاءات كانت مراحل متقدمة على مرحلة ادعائه النبوة على الاستقلال التى أعلن فيها أنه يوحى إليه عن طريق جبريل ينزل عليه كما كان ينزل على محمد وعلى النبيين من قبله وأنه صاحب كتاب سماوى لا يقل مرتبة عن القرآن ، والإنجيل والتوراة ، وصاحب شريعة جديدة ، ولا يلزم أن تأتى الشريعة الجديدة بتعاليم وأحكام جديدة إذ أن ما فى القرآن هو ما فى الإنجيل ، وهو نفسه ما فى التوراة ، ولا يعدم ما يستدل به على ذلك من القرآن ، وهو استدلال على غير الدعوى الأصلية من قوله تعالى : (وإن هذا لفى الصحف الأولى ، صحف إبراهيم وموسى) .

وشاهدنا من أقوال الغلام :

(أن جبريل جاء إلى واختارنى وأدار أصبعه وأشار إلى بأن الله يحفظك من الأعداء)[2] .

---

(١) القاديانية عرض وتحليل ص ١٠ .

(٢) مواهب الرحمن للغلام ص ٤٣ .

وقوله : (والله العظيم أومن بوحيى كما أومن بالقرآن وبقية الكتب التى أنزلت من السماء ، وأنا أومن بأن الكلام الذى ينزل على ينزل من عند الله ، كما أومن بأن القرآن نزل من عنده)(١) .

وقوله : (إيمانى بالإلهامات التى تنزل على كالإيمان بالتوراة ، والإنجيل والقرآن)(٢) .

وقال جلال الدين شمس الملقب بكبير القاديانية : (إن مرتبة وحى غلام أحمد هو عين مرتبة القرآن والإنجيل والتوراة)(٣) .

فادعاء غلام أحمد النبوة لا ينبغى أن يكون موضع شك كما تؤكده الوثائق الكثيرة فى كتبه وكتب أتباعه الذين مضوا فى شططهم حتى أعلنوا الحكم بكفر من أنكر نبوته ، لأنه فرق بين رسل الله فآمن ببعض وكفر ببعض ، فدخل تحت القرار القرآنى المتضمن لحكم الله على أمثاله بالكفر فى قوله تعالى :

(إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا ، أولئك هم الكافرون حقاً وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً)(٤) .

---

(١) حقيقة الوحى لغلام ص ٢١١ .
(٢) تبليغ رسالة جـ ٩ ص ٦٤ .
(٣) عاقبة منكرى الخلافة لجلال الدين ص ٤٩ .
(٤) سورة النساء آية : ١٥٠ ، ١٥١ .

فهذا محمود أحمد ابن الغلام وخليفته يقول :

(لقيني رجل في لكنهو « بلدة » وسأل : أنه قد اشتهر في الناس بأنكم تكفرون المسلمين الذين لم يعتنقوا القاديانية ، فهل هذا صحيح ؟ فقلت له : نعم ، لا شك بأننا نكفركم ، فاستغرب الرجل قولي وتحير)[١] .

وقال : نحن نسأل : لم تكفر غير القاديانيين ؟ فهذا واضح من القرآن ، لأن الله بين أنه من ينكر أحداً من الرسل يكفر ، وأن من ينكر الملائكة يكفر ، ومن ينكر القرآن يكفر ، وعلى هذا فمن ينكر أن غلام أحمد هو نبي الله ورسوله فإنه يكفر بنص الكتاب ، ولأجل ذلك نكفر المسلمين ، لأنهم يفرقون بين الرسل ويؤمنون ببعض ، ويكفرون ببعض فهم إذاً كفاراً[٢] .

وكتب ابنه الثاني بشير أحمد : (كل من يؤمن بموسى ، ولا يؤمن بعيسى ، أو يؤمن بعيسى ولا يؤمن بمحمد ﷺ فهو كافر — وهكذا من لا يؤمن بغلام أحمد خارج عن الإسلام ، ونحن لا نقول هذا من عند أنفسنا ، بل ننقله من كتاب الله : « أولئك هم الكافرون حقاً »)[٣] .

وغلام أحمد نفسه مصدر هذه الفكرة إذ يقول : (كل من بلغته دعوتي ثم لم يؤمن بي فهو كافر)[٤] .

---

(١) أنوار خلافة ص ٩٢ .

(٢) جريدة الفضل الصادرة في ٢٦ يونيو سنة ١٩٢٢م .

(٣) القاديانية دراسات وتحليل : الإحسان إلهي ظهير ص ٣٥ .

(٤) الفضل ١٥ يناير سنة ١٩٣٥م .

ويقول : (إنى ألهمت بأن الله قال لى : كل من لم يؤمن بك ولا يتبعك هو مخالفك فهو مخالف لله ورسوله ويدخل نار جهنم)[١] .

ولا يستغرب منه ومن أتباعه هذا الغلو فى المروق والخروج من عقائد الإسلام الحقيقية، وذلك بدعوى النبوة والتصدى لإثباتها وتكفير من عارضها.

هؤلاء شهدوا على ادعائه النبوة :

ومع ذلك فقد يكون من المستحسن أن نؤكد هذه القضية بما لدينا من شهادات لبعض الباحثين المحققين وبخاصة أولئك الذين عايشوا هذه الطائفة فى مقر دعوتها . وكان لهم أوفر الحظ فى دراستها والاطلاع على حقيقة أمرها ، فها هو الشيخ أبو الأعلى المودودى يقول : (فتح ميرزا غلام أحمد القاديانى باب النبوة ، ثم قام مدعياً بنبوته ، وصدقت الطائفة القاديانية دعواه هذه وأقرت له النبوة بالمعنى الحقيقى التام . وقد صرح ميرزا غلام فى كتبه بدعواه الرسالة والنبوة ، فكتب دعوانا أنا رسول ونبى . كما كتب : أنا نبى وفقاً لأمر الله وأكون آثماً إن أنكرت ذلك وإذا كان الله هو الذى يسمينى بالنبى ، فكيف لى أن أنكر ذلك ؟ . إنى سأقوم بهذا الأمر حتى أمضى عن هذه الدنيا)[٢] .

وإذا كان المودودى يرى ادعاء الغلام للنبوة إنما هو من باب الحقيقة لا من باب المجاز - وأن هذا هو ما بايعه عليه أتباعه ، فإن أبا الحسن الندوى يرى أن متنبىء القاديانية قد خطط لهذه الغاية وبذل أقصى الجهد لتحقيقها

---

(١) إلهام الغلام المندرج فى تبليغ رسالة جـ ٩ ص ٢٧ القاسم القاديانى .
(٢) ماهى القاديانية ؟ ص ٧٢ وما بعدها .

حيث يقرر أن الميرزا قد بذر بذور ادعائه النبوة فى كتبه ، ورسم الخطة لها من أول يوم ، وكانت النتيجة الطبيعية لمنطقه ومقدماته فيما كتب هى ادعاؤه النبوة والتصريح بها فى يوم من الأيام . وقد كانت دعواه العريضة بذلك إذ يقول : (إنى صادق كموسى وعيسى وداود ومحمد ﷺ وقد أنزل الله لتصديقى آيات سماوية تزيد على عشرة آلاف ، وقد شهد لى القرآن وشهد لى الرسول ، وقد عين الأنبياء زمان بعثى وذلك هو عصرنا هذا)[1] .

ولا يغنى كل ما تقدم عن أن نسوق كلام الميرزا غلام أحمد نفسه ، طائفة من النصوص تصور لنا الأحوال المختلفة لدعواه النبوة ، فلم تكن هذه الدعوى على حال واحدة نظراً لاختلاف الظروف والدوافع .

١ — يدعى فى هذا النص أنه أصبح نبياً أمياً ولم يعد محدثاً ، ويعنى بكونه أمياً أنه فرد من أفراد الأمة فيقول :

(ثم نزل على وحى الله كالمطر فيما بعد ولم يدعنى أقوم على هـــذه العقيدة وخاطبنى بالنبى مخاطبة صريحة ، ولكنى نبى من جهة وأمى من جهة أخرى)[2] .

٢ — وفى النص التالى يدعى الميرزا أن النبوة الظلية تستتبع لصاحبها وتستوجب له كل الحقوق التى هى للنبى المستقل ، فإذا كان هو كمسيح موعود تنبأ ظلياً ، فإن له سائر موجبات النبى الحقيقية ، وكذلك الأمر

---

(١) القاديان والقاديانية ص ٦٧ وما بعدها .

(٢) حقيقة الوحى للميرزا غلام أحمد ص ١٤٩ .

لو قيل : إنه نبى بالتجسد ، فلا فرق بين كونه جسداً لسابقه من الأنبياء أو ظلا لكمالاته . فها هو يقول :

(فكما أن النبوات الحقيقية والمستقلة هي من أقسام النبوة ، كذلك النبوة الظلية والتجسدية من أقسام النبوة . . إن كون المسيح الموعود نبياً ظلياً لا يسلب المسيح الموعود النبوة ، وإنما يظهر نوعية نبوته . . . والنبى الظلى يتمتع به الأنبياء الحقيقيون والمستقلون فى الحقوق ، لأنه ليس هناك أى فرق فى نفس النبوة)[١] .

٣ - ثم يدعى فى النص التالى أن محمد ﷺ قد تجسد فيه ، وأنه يسمى بالأسماء التى سمى بها محمد ﷺ ، واستدل على ذلك بآية من القرآن يوجه معناها وجهته الفاسدة يقول الميرزا :

(وأنا بموجب الآية « وآخرون منهم لما يلحقوا بهم » خاتم النبيين نفسه على وجه التجسد ، والله تعالى قد سمانى بمحمد وأحمد فى البراهين الأحمدية قبل عشرين سنة وماجعلنى إلا جسد محمداً ﷺ نفسه)[٢] .

٤ - بل يدعى غلام أحمد فى النص الآتى أن جميع الأنبياء قد تجسدوا فى شخصه وليس محمد فقط فيقول :

(ما مضى فى الدنيا نبى إلا وقد أوتيت اسمه ، كما أن الله تعالى قد قال فى البراهين الأحمدية : أنا آدم ، وأنا نوح ، وأنا إبراهيم ، وأنا إسحاق ، وأنا يعقوب ، وأنا إسماعيل ، وأنا موسى ، وأنا داود ، وأنا عيسى ، وأنا محمد ﷺ

---

(١) كلمة الفصل ص ١١٨ .

(٢) إزالة الخطأ للميرزا غلام أحمد .

على وجه التجسد)[1] .

٥ — وفيما يأتي يقرر غلام أحمد أنه نبي غير حامل لشريعة جديدة لأنه من أفراد أمة محمد ﷺ ، وهذا مبرر كاف في كونه كذلك فيقول :

(قد انقطعت الآن النبوات كلها إلا النبوة المحمدية ، فلا يأتي نبي ذو شريعة ولا يمكن أن يكون أحد نبياً بدون شريعة ، إلا من هو من الأمة نفسها من ذي قبل ، فبناء على هذا أنا فرد من الأمة المحمدية ونبي أيضاً)[2] .

٦ — ثم أنه في النص التالي يقرر أنه نبي ذو شريعة ولا يكترث بما يصدر منه من تناقض ، وتعريف الشريعة عنده أنها الأوامر والنواهي التي ينزل بها الوحي ، وبما ان ما أوحي به إليه يشتمل على ذلك في زعمه ، فهو إذن صاحب شريعة ولا يمنع من ذلك أن يكون ما أتى به من أحكام شيء غير جديد على نحو ما أشرنا إليه سابقا ويقول :

(نعم لكم أن تعرفوا ماهي الشريعة ؟ كل من بين للناس أوامر ونواهي بوحيه وسن لأمته قانونا هو صاحب الشريعة ... والذي يوحى إلي فيه الأوامر والنواهي كذلك .. وإن قلتم : إن المراد بالشريعة الشرعية التي فيها أحكام جديدة ، فهو باطل .

---

(١) تكملة حقيقة الوحي للميرزا غلام أحمد ص ٨٤ .
وهذه هي عقيدة التناسخ كما لا يخفى وهي منافية لما جاءت به الأديان السماوية من عقيدة البعث .

(٢) التجليات الإلهية للميرزا غلام أحمد ص ٢٤ .

قال الله تعالى :

« إن هذا لفى الصحف الأولى ، صحف إبراهيم وموسى » أى أن التعليم القرآنى موجود فى التوراة أيضاً)[١] .

٧ — أما فى النص الآتى ، فإنه يقرر أن سلسلة النبوة قد ختمت به هو بناء على كون النبى ﷺ قد أخبر بأن المسيح سينزل فى أمته . وقد فندنا هذه الدعوى فى البحث السابق ، يقول غلام أحمد :

(والله تعالى قد خصنى لأنال فى هذه الأمة اسم النبى ولا يستحق أن ينال هذا الاسم أحد غيرى)[٢] .

(لا يمكن أن يظهر فى الأمة المحمدية أكثر من نبى واحد ، فقد أخبر النبى ﷺ أنه لا يظهر فى أمته إلا نبى واحد فقط وهو المسيح الموعود ، وما سمى غيره نبى الله أصلا ، وما أخبر بظهور نبى آخر ، بل قد نفى غيره بقوله : (لا نبى بعدى) وقال بوضوح تام : إنه لا يأتى نبى أو رسول بعدى إلا المسيح الموعود)[٣] .

ولم يقف شطط غلام أحمد عند مجرد ادعاء النبوة بعد خاتم النبيين محمد ﷺ على نحو ما رأيت وإنما أسرف فى شططه وتجاوز فى سفاهته حتى فضل نفسه على محمد أفضل الأنبياء إذ قال : (إن النبى ﷺ له ثلاثة آلاف معجزة ولكن معجزاتى زادت على مليون معجزة)[٤] .

---

(١) الأربعين رقم ٤ للميرزا غلام أحمد ص ٧ ، ٣٨ .
(٢) حقيقة الوحى للغلام ص ٣٩١ .
(٣) تشحيذ الأذهان ج ٩ رقم ٣ ص ٣٠ وما بعدها .
(٤) تحفة كولرة ص ٤٠ وتذكرة الشهادتين ص ٤١ .

بل إنه فضل نفسه صراحة على جميع الأنبياء والرسل فى قوله : (ها أنبياء كثيرون ولكن لم يتقدم أحد على فى معرفة الله ، وكل ما أعطى لجميع الأنبياء أعطيت أنا وحدى بأكمله)[1] .

وقوله أيضاً : (الكمالات التى توجد فى جميع الأنبياء وجدت فى رسول الله ﷺ وأكثر منها ، ثم انتقلت كل هذه الكمالات إلى ، ولذا سميت آدم وإبراهيم ، وموسى ، ونوح ، وداود ، ويوسف ، وسليمان ، ويحيى ، وعيسى)[1] .

والواقع أن مجرد دعوى النبوة التى أعلنها هذا الميرزا المجترىء كانت كافية فى وصمه ومؤيديه بصفة الكفرة والخارجين عن الملة الإسلامية وصفوف المسلمين الذين انعقد إجماعهم على أن النبوة والرسالة قد ختمت سلسلتها برسالة محمد ﷺ ، وصرحت بذلك نصوص القرآن والسنة الصحيحة ، بل كان الأحرى باتباع الغلام القاديانى أن ينصرفوا عنه وعن هرائه من أول وهلة ، ولا ينخدعوا بالباطل الذى لا ينخدع به من له أدنى إلمام ببدهيات الإسلام ومقرراته الضرورية فضلا عن حيوية هذه القضية فى ذاكرة التاريخ الإسلامى حين واجه المتنبئين الكذبة يتساقطون صرعى فى معاركهم مع الحق الذى كتب الله له أن يبقى مهما انحسرت بقعته وتقلصت مساحتها وتناقص أتباعه ، فإن قوته وانتصاره فيما أودعه الله فيه من خصائص البقاء والخلود .

= ونلاحظ التعارض بين هذا النص ونص سابق فى عدد المعجزات فبينما هى فى النص ثلاثمائة ألف إذ بلغت هنا أكثر من مليون معجزة . وهو مثال يقع فيه الغلام من التناقض والتخبط والكذب فى أقواله .

(١) در ثمين الغلام ص ٢٨٧ وما بعدها .

(٢) ملفوظات أحمدية جـ ٤ ص ١٤٢ .

فما كان أحرى اتباع الباطل فى دعوى متنبىء القاديانية أن يضعوه فى مصاف مسيلمة والأسود وطليحة وسجاح وغيرهم مما تنبأ الصادق محمد ﷺ بظهورهم حيث قال فيما أخرجه أبو داود والترمذى : (لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجالون كلهم يزعم أنه رسول الله — وفى رواية — أنا خاتم النبيين لا نبى بعدى) . والعدد فى الحديث لا مفهوم له ، والمراد كثرة من يظهر من هؤلاء أو المراد بالثلاثين من تكون له شوكة منهم ، لا من يدعى النبوة مطلقاً لأنهم كثرة ، لأن غالبيتهم يدعيها نتيجة لجنون أو هستيريا أو حمى أو غير ذلك .

فلا عبرة بتأويل القاديانية للحديث بأن متنبئهم قد تجاوز العدد المنصوص عليه فى الحديث حيث يخرج هذا التأويل مما علم من الدين بالضرورة مما جاء به صريح النص وانعقد عليه الإجماع — ولكن متنبى القاديانية كسابقيه ممن ظنوا النبوة منصباً أو ملكا أو زعامه . قد صادفت دعوته قبولا واستجابة عند طوائف من أولئك الذين اختزنت نفوسهم شيئاً من الحقد على الإسلام وعلى نبيه وعلى أمته ، اعتقاداً منهم بأن الإسلام قد سلبهم شيئاً من زعامة قبلية أو سلطان مادى أو ميراث حضارى أو ديانة قومية أو وثنية أو مجوسية فوجدوا الخلاص منه بالتفافهم حول هـذا أو ذاك من أدعياء النبوة ، وثمة من يتبع هؤلاء بدافع التحلل من الالتزامات الدينية والتنصل من التكاليف الشرعية وإلقاء التبعة والمسئولية على من يتحمل منهم مسئولية هذه الدعوة .

القاديانية وعقيدة ختم النبوة

إن غلام أحمد وطائفة وأتباعه قد أنكروا ختم النبوة بمحمد ﷺ من الناحية العملية الواقعية كما تبين لنا من ثبوت ادعائه للنبوة على وجه الاستقلال ثبوتاً يقينياً وإصرارهم المتواصل على ترسيخ آثار هذا الموقف فى سلوكياتهم المختلفة وعلاقتهم بغيرهم من المسلمين وغير المسلمين ، فإنهم مع ذلك ما زالوا يحاولون المحافظة على مشاعر المسلمين من حيث المظهر حيث يشعرون دائماً بأنهم إنما يصدرون فى تعاليمهم ومبادئهم عن كتاب المسلمين وسنة نبيهم ، أو لا يتعارضون فى أحكامهم مع الكتاب والسنة ، وفى سبيل ذلك يتفننون فى الخروج بأنماط التأويل لنصوص الكتاب والسنة التى تتناسب مع دعاويهم .

ومن هذا المنطلق رأينا لهم تأويلات مختلفة لكلمة خاتم النبيين الواردة فى قوله تعالى : (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين)[1] .

وقد اتفق سلف الأمة وخلفها على أن معنى قوله تعالى : (وخاتم النبيين) فى هذه الآية آخر النبيين ، وأن سلسلة النبوة قد انقطعت بنبوة محمد ﷺ وانقطع الوحى بوفاته ، وأنه لن يأتى بعد محمد نبى ولا رسول الى يوم القيامة لا من أمته ولا من غيرها من الأمم ، وأن من تصدر منه دعوى النبوة فهو كاذب وكافر ، وكذلك من يصدقه ويتبعه فى دعواه .

---

(١) سورة الأحزاب آية ٤٠ .

هذا هو مفهوم العبارة القرآنية (وخاتم النبيين) وهذه هى عقيدة المسلمين على اختلاف عصورهم وتباين طوائفهم ، وكان من المنطقى أن يخالف المسلمين فى مفهومهم لهذه الآية على هذا النحو ويفارقهم فى عقيدتهم هذه كل من يدعى النبوة هو والمؤمنون بدعوته ، ومن هؤلاء بطبيعة الحال غلام أحمد القاديانى وجماعته .

ويطيب لنا - قبل أن نعرض مفهوم القاديانية للآية القرآنية من خلال تأويلاتهم المختلفة لخاتم النبوة - أن نقدم عقيدة غلام أحمد نفسه فى ختم النبوة ، ومن الطبيعى أن يكون مترددا فى هذه العقيدة تبعاً لتردده فى دعواه النبوة ، والواقع أننا نسجل له هنا موقفين من خلال النصوص الثابتة عنه :

أولها : موقف التظاهر بالثبات على عقيدة أهل السنة .

وثانيهما : التدرج فى الإفصاح عن عقيدته باستخدام ضروب من التأويل مراعياً فى ذلك مشاعر المسلمين ودرجة تيقظها .

فأما موقفه الأول فتصوره النصوص الآتية :

١ - يصور الميرزا عقيدته فى ختم النبوة غير متجاوز بها عقيدة أهل السنة ، وهى أن لا نبى بعد محمد ﷺ ، مصداقاً لبيان النبى ﷺ لكونه خاتم النبيين ، والنبوة قد انغلق بابها بعده ولا يجوز انفتاحه إلى يوم القيامة والوحى انقطع بوفاته فلا مجال لنزوله كما أطبق على ذلك اعتقاد المسلمين قاطبة . وها هو يقول : (ألا تعرف أن الرب الرحيم ذا الفضل قد سمى نبينا بخاتم النبيين بدون استثناء ، وقد فسره نبينا لأهل السؤال بقوله : (لا نبى بعدى) بكل وضوح ، فإن جوزنا ظهور نبى آخر بعد نبينا ﷺ ، فقد جوزنا انفتاح باب النبوة بعد انغلاقه وهو غير صحيح ، كما هو ظاهر على

المسلمين ، وكيف يأتى نبى بعد نبينا ﷺ وقد انقطع الوحى بعد وفاته وختم الله الأنبياء على نبوته ؟)[١] .

ويقول أيضاً : (كان النبى ﷺ قد قال مرة بعد مرة أن لا نبى بعدى .

وكان هذا الحديث أى (لا نبى بعدى) من القوة والصحة حيث لا مجال لأحد أن يرتاب فيه، وكذلك كان القرآن - الذى كل لفظة منه قاطعة - يصدق قوله : « ولكن رسول الله وخاتم النبيين » . ومعنى ذلك أن النبوة قد انقطعت بعد نبينا محمد ﷺ)[٢] .

ويقول : (لا يجوز القرآن أن يأتى رسول بعد خاتم النبيين جديداً كان أو قديماً)[٣] .

ويقول:(وإنى قائل بجميع الأمور الداخلة فى العقائد الإسلامية وأعتقد كأحد أهل السنة بكل الأمور التى هى مسلمة الثبوت من القرآن والسنة . وأقول : إن كل من يدعى النبوة والرسالة بعد سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم هو كذاب وكافر)[٤] .

أما موقفه الثانى : فيتحدد من خلال النصوص الآتية :

وقد قلنا : إنه قد تدرج طبقاً للظروف والدوافع فى بيان نقيض عقيدته

---

(١) حمامة البشرى للغلام أحمد ص ٣٤ .

(٢) كتاب البرية للغلام ص ١٨٤ .

(٣) إزالة الأوهام للغلام ص ٥٧٧ .

(٤) نشرة من الميرزا صادرة فى ١٨٩١/١٠/٢ ، وهى مندرجة فى تبليغ الرسالة جـ ٢ ص ٢ .

التى بيناها فى موقفه الأول ونقيض عقيدة أهل السنة فى ختم النبوة كما هو معروف إنكار النبوة بمحمد ﷺ وقد بدأ موقفه هذا بتجويز نزول الوحى بعد محمد ﷺ ، بيد أنه لا ينزل على نبى وإنما يختص بالنزول على الأولياء فى ظل النبوة المحمدية . لأن الميرزا يدعى مع ذلك إيمانه بختم النبوة وانغلاق بابها بمحمد ﷺ ، وهى مخادعة من الرجل يسكن بها ثائرة المسلمين ويستدرجهم للخطوة التالية ، وإلا فالقول بوحى الولاية مخالف للقواعد والمفاهيم الإسلامية ، وهـذا هو كلامه : (نحن أيضاً نلعن مدعى النبوة ونقول بلا إله إلا الله محمد رسول الله ، ونؤمن بختم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا نقول بوحى النبوة ، ولكن نقول بوحى الولاية الذى يتلقاه الأولياء وفى ظل النبوة المحمدية وباتباعه ﷺ . . . وبالجملة ليست هنا أيضا دعوى النبوة وإنما عندنا دعوى الولاية والمجددية)[1] .

ثم يخطو بأتباعه الخطوة الثانية ، إذ يذكر أنه مع عدم جواز ظهور نبى ولا رسول قديم أو حديث بعد محمد ﷺ فإنه يجوز أن يظهر بعده صلى الله عليه وسلم من يسميه الله بالنبى أو الرسول أو المرسل على المجاز لا على الحقيقة .

(لا شك أن الإلهام الذى قد أنزله الله على هذا العبد قد استعملت فيه بكثرة كلمات النبى والرسول والمرسل بالنسبة لهذا العاجز فليست هى بمحمولة على معانيها الأصلية . . . ونحن من القائلين والمعترفين بأنه لا يجوز أن يأتى نبى جديد أو قديم بعد محمد ﷺ ، بمفهوم من مفاهيم النبوة الحقيقية ، والقرآن مانع من ظهور مثل هؤلاء الأنبياء ولكن الله إذا شاء خاطب أحداً

(١) نشرة من الميرزا المندرجة فى تبليغ الرسالة جـ ٦ ص ٣٠٢ .

بكلمة النبى أو الرسول بمقتضى المعانى المجازية)[1] .

ثم يقفز بأتباعه نحو إضافة أخرى فى دعواه التى أحكم التدبير لترسيخها فى نفوسهم وأذهانهم فيقول : (إنى ما ادعيت بالنبوة قط ولا قلت لهم إنى نبى ولكنهم استعجلوا وأخطأوا فى فهم قولى وإنى ما قلت للناس سوى ما كتبت فى كتبى أى أنى محدث وأن الله يكلمنى كما يكلم المحدثين)[2] .

ثم يزداد موقفه هذا وضوحاً حين يرد فى كلامه إلى أتباعه التصريح بجواز ظهور نبى بعد محمد ﷺ ولو بصفة ناقصة وذلك يبرره كون هذا النبى الناقص النبوة فرد من أفراد الأمة المحمدية ، وذلك منطبق على الميرزا بطبيعة الحال ، لأنه سبق أن ادعى المحدثية والتشرف بمخاطبة الله إياه ، ويخلص من هذا إلى نتيجة مقصودة وهى : أنه نبى ببعض معانى النبوة ولا ينافى ذلك إقراره بأن محمداً ﷺ هو خاتم النبيين ، ومن أقواله فى هذا الصدد :

(المحدث من المرسلين أحد أفراد الأمة ونبى بصفة ناقصة)[3] .

(المحدث أيضا نبى ببعض معانيه ، وإن لم تكن له النبوة التامة ولكنه نبى بصفة جزئية لأنه مشرف بكلام الله وهو يطلع على الأمور الغيبية ويحفظ وحيه أيضاً كوحى الأنبياء من تدخل الشيطان)[4] .

---

(١) السراج المنير للميرزا غلام أحمد ص ٣٠٢ .

(٢) حمامة البشرى للميرزا غلام أحمد ص ٩٦ .

(٣) إزالة الأوهام للميرزا غلام أحمد ص ٥٦٩ .

(٤) توضيح المرام للميرزا غلام أحمد ص ١٨ .

(إن هـذا العاجز ما ادعى النبوة أو الرسالة الحقيقية قط فى حياته ، ولا يستلزم الكفر أن يستعمل المرء كلمة على وجه غير حقيقى و يستعملها فى كلامه مع الناس على معناها الشامل من جهة اللغة ولكنى لا أحب هـذا ولا ذاك لأنه قد يبعث الريب فى قلوب عامة المسلمين)[1] .

(فإذن ليس هذا إلا نزاعا لفظيا أى أن الذى تسمونه المكالمة والمخاطبة أسميه أنا النبوة إذا كثر وذلك بموجب الأمر الإلهى ولكل أن يصطلح)[2] .

ثم يوغل فى المراوغة والخداع فى توضيح استعمالاته لكلمة النبى والنبوة مضافة إلى شخصه وذلك فى بعض كتبه ومؤلفاته منبهاً إلى أن ذلك لا ينبغى أن يكون مثار خلاف بين المسلمين فإنه لم يعن بكلمة النبى أو النبوة إلا المعنى المجازى أو اللغوى لها .

ثم يصر على أن استعمال هاتين الكلمتين على هـذا النحو أمر جائز وما على المسلمين إلا أن يستبدلوهما دائماً بكلمة المحدث والمحدثين ونحوهما وها هو نص كلامه فى هذا :

(إنى ألتمس من جميع المسلمين أن الكلمات التى قد وردت فى كتب العاجز (كفتح الإسلام) و (توضيح المرام) و (إزالة الأوهام) مثل أن المحدث نبى ببعض معانيه) أو أن المحدثية نبوة جزئية أو المحدثية نبوة ناقصة) فليست كل هذه الكلمات بمحمولة على معانيها الأصلية ، بل إنما استعملت بسذاجة على وجوهها اللغوية وإلا فإنى لا أدعى النبوة الحقيقية

---

(١) مصير آتهم للميرزا غلام أحمد ص ٢٧ .
(٢) تكملة حقيقة الوحى للميرزا غلام أحمد ص ٦٨ .

أبداً ، أريد أن أوضح لإخوانى المسلمين جميعاً أنهم كانوا ساخطين على لأجل هذه الكلمات وهى تشق على قلوبهم فليتصوروها مغيرة ، وليفهموها من عندى فى معنى كلمة المحدث فإنى لست أرضى بحال من الأحوال التى فى المسلمين الشقاق والنفاق . . . لهم أن يفهموا كلمة المحدث مكان النبى فى كل موضع وليتصوروها – أى كلمة النبى – منسوخة »[1] .

وقد علمنا من قبل أن الميرزا غلام أحمد قد بلغ فى غيه أن ادعى النبوة الحقيقية بكل ما اتسمت به النصوص التى نقلناها من كلامه من صراحة ووضوح فى الدلالة على ذلك ، ورأينا كيف سول له استخفافه أن يدعى ختم النبوة بنبوته هو ، ولم يدخر وسعاً فى محاولة البرهنة على ذلك ولو بنصوص القرآن والحديث الشريف وتأويلها ، ولم يكن من الحكمة والتبصر أن ينكر القاديانى وأتباعه شيئاً من نصوص الشريعة الإسلامية إنكاراً صريحاً لأن هذا المسلك يتصادم مع أساس دعوته وأصلها الذى قامت عليه وهو القضاء على المسلمين باسم الإسلام والانتماء إليه ، بما يضمن طواعية المسلمين له ولمراجعيه من أصحاب الأطماع الاستعمارية وأصحاب الأحقاد على الإسلام وحضارته وتفوقه ، وهذا هو الذى فرض على الميرزا وأتباعه أن يلجأوا إلى تأويل نصوص القرآن والسنة المحمدية بما يفضى إلى الغاية المرجوة وهى طمس المفاهيم القرآنية ومحو حقائق الإسلام دونما إثارة أو فتنة .

ومما يجب أن نقدمه هنا من الأمثلة على مسلك القاديانية هذا : النصوص

---

(١) بيان خطى للميرزا غلام أحمد القاديانى فى ١٨٩٢/٢/٣ ، وهو مندرج فى تبليغ الرسالة جـ ٢ ص ٩٥ .

ومما يجب أن نقدمه هنا من الأمثلة على مسلك القاديانية هذا : النصوص المتعلقة بقضية ختم النبوة بطبيعة الحال ، ولهم أوجه مختلفة فى تأويل قوله تعالى : « وخاتم النبيين » فى آية الأحزاب آنفة الذكر[1] .

وقد بينا التحديد الذى لم يختلف عليه واحد يعتد بخلافه من علماء الأمة لمعنى خاتم النبيين وهو أن خاتم النبيين . آخرهم الذى انقطعت سلسلة نبوتهم به وانتهى نزول الوحى إلى الأبد بوفاته ، وامتنع بعده ظهور نبي أو رسول أيا كانت أمته ، وسنقدم نماذج من تأويلات القاديانية لهذه الآية وما يفهم منها من ختم النبوة بمحمد ﷺ وبيان إنكارهم لهذه العقيدة دون أن يعلنوا صراحة لعامة المسلمين أنهم ينكرون النص القرآنى فى الحقيقة .

تأويلات القاديانية للفظة القرآنية (وخاتم النبيين) :

١ فسر القاديانية (خاتم النبيين) فى الآية الكريمة المثبتة لانقطاع سلسلة النبوة بمحمد ﷺ ، بأن محمداً صلوات الله عليه طابع النبيين بطابعه وليس المقصود آخرهم . بل إن باب النبوة يظل مفتوحاً بعده ولكن نبيا من الأنبياء لا تتم له النبوة إلا إذا طبع بطابع محمد ﷺ .

يقول غلام أحمد : (قد جعل الله جل شأنه محمداً ﷺ ، صاحب الخاتم أى أعطاه الخاتم لإفاضة الكمال ، وذلك ما لم يؤته أحد غيره ولذلك سمى بخاتم النبيين ، أى أن إطاعته تمنح كمالات النبوة وأن التفاته الروحى يصنع الأنبياء)[2] .

---

(١) نشير بذلك إلى الآية ٤٠ من السورة المذكورة ، وقد تقدم ذكرها فى أول هذا المبحث .

(٢) حقيقة الوحى ص ٩٦ .

وقال محمد منظور إلهى القاديانى : (قال المسيح الموعود عليه السلام فى خاتم النبيين : إن المراد به أنه لا يمكن أن تصدق الآن نبوة أى نبى من الأنبياء إلا بخاتمه ﷺ ، وكما أن كل قرطاس لا يكون مصداقاً مستنداً إلا حين يطبع عليه بالخاتم ، فكذلك كل نبوة لا تكون مطبوعة بخاتمه وتصديقه صلى الله عليه وسلم تكون غير صحيحة)(١) .

٢ ـ ومما فسروا به خاتم النبيين أيضاً : أن المراد به خاتم النبيين ـ ذو الشريعة الجديدة ـ أو المبعوثين من أمة غير أمته ، أما أن يأتى بعده نبى تابع له فى شريعته . وهو فرد من أفراد أمته ، فإن ذلك لا يتنافى مع ختمه صلى الله عليه وسلم للنبوة ولا ينقض به خاتمها .

يقول غلام أحمد : (إن محمداً ﷺ خاتم الأنبياء بمفهوم أنه قد تمت عليه كمالات النبوة وأنه لا يأتى بعده رسول ذو شريعة جديدة ولا نبى من غير أمته)(٢) .

ويقول متنبىء القاديانية : (فإن كان الله كرم أحداً من هذه الأمة وسماه بالنبى إذا نال درجة الوحى والإلهام والنبوة بمجرد اتباع محمد ﷺ ، فإن خاتم النبوة أى طابعها لا ينقض بذلك لأنه لا يزال من أفــراد الأمة الإسلامية ، ولكن مما ينافى ختم النبوة أن يأتى نبى من غير الأمة الإسلامية)(٣) .

---

(١) الملفوظات الأحمدية جـ ٥ ص ٢٩٠ .

(٢) عين المعرفة ، الملحق ص ٩ .

(٣) العين المسيحية ص ٤١ .

٣ - كما فسروا خاتم النبيين بأنه خاتم النبيين ذوي النبوة المستقلة والحقيقية أما النبوة الظلية أو النبوة بالتجسد ، فإن وجود أصحابها ممكن وهو لا يتنافى مع وجود خاتم النبيين .

يقول غلام أحمد : (أما محمد ﷺ بصفة ظليه ، فلأجل هـذا ما أنقض هذا الخاتم - خاتم النبيين - لأن نبوة محمد ﷺ بقيت على حالها منحصرة في محمد وحده ، أي أن محمداً وحده هو النبي إلى الآن ، وإذا كنت أنا محمداً بصفة تجسدية وقد انعكست في مرآة ظليتي الكمالات المحمدية مع النبوة المحمدية بصفة تجسدية ، فأي رجل غيره يكون قد ادعى النبوة بصفة مستقلة)[1] .

٤ - ثم فسروا أخيراً - خاتم النبيين - بأنه أفضل النبيين ، بمعنى أنه جامع لفضائل النبوة التي أتمها الله عليه ، ولا يعني ذلك مطلقاً أن سلسلة النبوة قد انتهت به[2] .

ويلاحظ المتأمل فيما قدمنا من أمثلة لتفسيرات القاديانية بالنسبة لخاتم النبيين أنها جميعا قد أريد منها أن تكون ملائمة لادعاءات القادياني المتباينة للنبوة كما يلاحظ بيسير من التأمل أنها جميعا مصادمة لما اتفقت عليه مختلف طوائف الأمة الإسلامية ، من مفهوم خاتم النبيين بقراءة الفتح أو بقراءة الكسر . فكلتا القراءتين تفضيان إلى نفس النتيجة .

فالخاتم - بفتح التاء أو كسرها - من الختم بمعنى وضع الطابع ، ويكون

(١) إزالة الخطأ لغلام

(٢) انظر ماهي القاديانية لأبي الأعلى المودودي ص ١٦٧ ، وانظر القاديانية دراسات وتحليل لإحسان إلهي ظهير ص ٢٦٩ .

وقد نقلنا في التفسير رقم ٢ من غلام أحمد قوله : (محمد ﷺ خاتم الأنبياء بمفهوم أنه قد تمت عليه كمالات النبوة .. النص)

الخاتم - بالكسرة - اسم فاعل بمعنى صاحب الطابع - وبفتح التاء - بمعنى الطابع نفسه .

ومعناه على كلتا القراءتين أن الله قد طبع على سلسلة النبوة بمحمد فلا مجال لنبوة بعد نبوته لا من أمته ولا من خارجها ، ولا ذات شريعة أو تابعة غير ذات شريعته .

وادعاء النبوة بعد محمد كفر مخرج من ملة الإسلام ، ولكن القادياني والقاديانية أرادوا اخلافاً لهذه العقيدة أن يظل باب النبوة مفتوحاً على مصراعيه فطفقوا يلتمسون لنبوتهم المختلفة أوجهاً من الصحة فى هذه التأويلات لخاتم النبيين فى قوله تعالى : (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين) .

دفع تأويلات القاديانية :

والحق أن جميع هذه التفسيرات التى خادع القاديانية بها أمثالهم يرفضها سياق الآية الكريمة ويأباها نسقها .

يقول الشيخ أبو الأعلى المودودى : (وردت الآية المذكورة فى سورة الأحزاب ، حيث إن الله سبحانه وتعالى قد رد على اعتراضات الكفار والمنافقين الذين كانوا يثيرون أنواعاً من المطاعن والافتراءات على زواج النبى ﷺ بزينب رضى الله عنها .

ولقد كان اعتراضهم الأول أنه ﷺ قد تزوج بزوجة ابنه ، مع أن المرأة إذا تزوجها الابن تحرم على الأب حتى فى شريعته ﷺ ، فقال جل جلاله رداً على هذا الاعتراض : « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم »

أى متى كان الرجل الذى تزوج محمد ﷺ بمطلقته ابنة حتى يحرم عليه الزواج بها .

وكان اعتراضهم الثانى : أن متبناه زيداً إذا لم يكن ابناً له حقيقياً ، فزواجه بمطلقته كان مباحاً له على أكثر التقدير ، وكان لازماً محتوماً ، فلماذا أقدم عليه بدون حاجة شديدة حقيقية ؟ يقول عز وجل رداً على اعتراضهم هذا : « ولكن رسول الله » أى كان من اللازم المحتوم عليه أن يستأصل شأفة كل عصبية توجد بينكم ، بشأن ذلك الأمر المباح الذى قد جعلته تقاليدكم الجاهلية المتوارثة حراماً بدون ما مبرر معقول ، حتى لا يبقى مجال الشك والارتياب فى إباحته ومشروعيته ، ثم إنه سبحانه وتعالى أكد ذلك بقوله : « وخاتم النبيين » أى هو آخر نبى بعثناه فى العالم ولن يأتى بعده من جانبنا نبى فضلا عن أن يأتى رسول لإصلاح القانون والتقاليد السائدة فى المجتمع ، لأجل كل هذا فقد كان من الواجب المحتوم عليه ﷺ أن يتولى بنفسه تحطيم هذا التقليد الجاهلى ، ثم قال سبحانه بعد ذلك بمزيد من التأكيد : « وكان الله بكل شىء عليما » أى أن الله يعلم لماذا كان من اللازم تحطيم ذلك التقليد الجاهلى بيد محمد ﷺ فى ذلك الزمان ، ويعلم أى فساد يمكن أن يبقى فى المجتمع لو أنه ﷺ لم يقم بتحطيمه وقطع شأفته ، ويعلم أنه لم يبعث بعد محمد ﷺ رسولا ولا نبياً ، فهو إذاً لم يحطم هذا التقليد الجاهلى بواسطة آخر أنبيائه ، فلن يظهر بعد ذلك شخصية أخرى يتحطم هذا التقليد الجاهلى فى الدنيا كلها بجهودها .

وإذا افترض أن المصلحين بعده سيتولون تحطيمه : فإن فعل أى واحد منهم لن يصبح قاعدة عامة بحيث تأخذ بها الأجيال القادمة وتحذو حذوها فى كل زمان ، كما أنه لن تبلغ أية شخصية من الشخصيات من القداسة

والاحترام بحيث إن بمجرد قيامه بأحد الأفعال لتحطيم عادة معينة يمكن أن يستأصل من قلوب الناس كل تصورات الكراهة حوله .

ولكننا إذا تأملنا قليلا فى هذه الآية مراعين السياق الذى وردت فيه ، تبين بدون أدنى ريب أن لا مجال ألبتة لتفسير هذه الكلمة « خاتم النبيين » بمعنى طابع النبيين ... إلخ .

بل لو كان هذا هو معنى الكلمة لصارت فى غير محلها وكانت مخالفة لفحوى الكلام أيضاً ، فأى مناسبة هى أن تكون فى هذه الآية لبيان أن محمداً ﷺ هو طابع الأنبياء ، وأن جميع الأنبياء والذين يأتون بعده لا يكونون أنبياء إلا لكونهم مطبوعين بطابعه ﷺ ، مع أن الآية جاءت هنا فى سياق الرد على اعتراضات الكفار والمنافقين وشبهاتهم التى أثاروها حول زواج النبى ﷺ بزينب رضى الله عنها فهذا البيان غير متلائم مع سياق العبارة بل لأنه على عكس ما يريده الله سبحانه وتعالى حيث يضعف الحجة التى وردت آنفا فى رد شبهات الكفار والمنافقين ويؤيد اعتراضاتهم وشبهاتهم ، ويعطى لهم الفرصة ليقولوا للنبى ﷺ : إنك لو لم تقم بهذا العمل - أى تحطيم عادة التبنى والزواج بمطلقة المتبنى - بنفسك الآن لما كان هناك خطر عظيم ، ولقام بهذا العمل نبى من الأنبياء الذين سيأتون بعدك مطبوعين بطابعك .

(ولا مجال كذلك لتفسير « خاتم النبيين » بأفضل النبيين لأن) هذا المفهوم لخاتم النبيين فيه أيضاً نفس تلك المفسدة التى قد ذكرناها آنفاً فى التأويل الأول وهو أيضاً لايتلاءم مع سياق الآية بل يخالفه مخالفة صريحة . إذ كان للمنافقين أن يقولوا للنبى ﷺ : إذن لماذا قد رأيت من الضرورى

أن تقوم أنت بنفسك[1] بهذا العمل ؟ فإنك لو لم تقم به الآن لقام به أحد من الأنبياء بعدك على كونه أقل درجة منك .

وكان يمكن أن يأتى نفس الإيراد على النبى ﷺ من قبل المنافقين واليهود على التأويلين الآخرين لخاتم النبيين . وهما : أنه خاتم النبيين ذوو الشريعة الجديدة لا التابعين لشريعته ، أو ذوى النبوة المستقلة لا الظلية أو التجسدية ما دام الباب مفتوحاً لإرسال الأنبياء بعده ﷺ ، على أى نحو من الأنحاء ، فتبين بذلك أن سياق الآية وفسقها يرفضان كل الرفض أن يفهم خاتم النبيين على معنى من المعانى التى مضى إليها القاديانية لترويج باطلهم وتثبيت دعائمه ، وأنه لا يستقيم سياق الآية إلا فى ضوء المعنى الذى فهمه المسلمون واتفقوا عليه سلفاً وخلفاً من خاتم النبيين .

ولم يتصادم القاديانية فى تأويلاتهم السابقة لخاتم النبيين مع سياق الآية وسبب نزولها فحسب ، وإنما تصادموا فى هذه التأويلات مع ما أطبقت عليه معاجم اللغة العربية من معنى لهذه الكلمة .

فلم يتجاوز فى قاموس من قواميس اللغة معانى آخر - العاقبة - بلوغ - النهاية - الطابع - السد - الإتمام [2] .

---

(١) ما هى القاديانية من ص ١٧٥ إلى ١٧٨ بقليل من التصرف .

(٢) انظر - لسان العرب لابن منظور الإفريقى المصرى ، جـ ١٢ ص ١٦٤ ط بيروت ، القاموس المحيط للفيروزآبادى جـ ٤ ص ١٢ [illegible] ، والصحاح للجوهرى وتاج العروس [illegible] ص ٢٦٧ ط ١ ، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس جـ ٢ [illegible] ٢٤٠ ط ١ [illegible] أبى البقاء ، والمفردات للأصفهانى [illegible] ط مصر .

ولم يخرج واحد من المفسرين على اختلاف مناهجهم ومنازعهم عن هذا الخط الذى رسمته اللغة وحددته لمعنى كلمة خاتم النبيين ، فى الآية الكريمة ـ ولنسوق الآن بعض النماذج من أقوالهم :

١ ـ قال الإمام فخر الدين الرازى : (وخاتم النبيين وذلك لأن النبى الذى يكون بعد نبى إن ترك شيئاً من النصيحة والبيان يستدركه من يأتى بعده ، وأما من لا نبى بعده يكون أشفق على أمته وأهدى لهم وأجدى)[١] .

٢ ـ ويقول الإمام القرطبى : (قرأ عاصم ـ بفتح التاء ـ بمعنى أنهم به ختموا . وقرأ الجمهور ـ بكسر التاء ـ بمعنى أنه ختمهم أى جاء آخرهم . وقيل الخاتم ـ بكسر التاء ـ والخاتم ـ بفتحها ـ لغتان)[٢] .

٣ ـ وقال الإمام ابن جرير الطبرى تحت هذه الآية ما نصه : (ولكن رسول الله وخاتم النبيين أى آخرهم)[٣] .

٤ ـ ويقول الإمام ابن كثير تحت هذه الآية ما نصه : (فهذه الآية نص فى أنه لا نبى بعده وإذا كان لا نبى بعده ، فلا رسول بالطريق الأولى والأحرى ، وبذلك وردت الأحاديث المتواترة عن رسول الله ﷺ)[٤] .

٥ ـ ويقول الإمام أبو حيان : (قرأ الجمهور خاتم ـ بكسر التاء ـ بمعنى أنه ختمهم أى جاء آخرهم ، وقرأ عاصم ـ بفتح التاء ـ أنهم به ختموا ،

---

(١) التفسير الكبير للرازى .
(٢) تفسير القرطبى جـ ٤ ص ١٩٦ ط ١ بمصر .
(٣) تفسير ابن جرير الطبرى جـ ٢٢ ص ١٢ ط ١ بمصر .
(٤) تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٤٩٣ ط ٢ بمصر .

ثم يقول : ومن ذهب إلى أن النبوة مكتسبة لا تنقطع أو إلى أن الولى أفضل من النبى فهو زنديق يجب قتله)[١] .

٦ ـ ويقول النسفى : (خاتم النبيين ـ بفتح التاء ـ آخرهم ـ وبكسر التاء ـ فاعل الختم)[٢] .

٧ ـ ويقول الخازن : (وخاتم النبيين ختم الله به النبوة فلا نبوة بعده ، وكان الله بكل شىء عليما ، أى دخل فى علمه أنه لا نبى بعده)[٣] .

وقد حاول القاديانية أن يقدموا شواهد على صحة ما ذهبوا إليه من تأويلاتهم لكلمة خاتم النبيين .

من ذلك ما استشهدوا به على أن معنى (خاتم النبيين) أفضلهم وهو أحد تأويلاتهم ـ على ما مر ـ من بعض الأحاديث التى رفعوها إلى النبى ﷺ وأقوال بعض الشعراء .

فمن الأحاديث : حديث موضوع أسندوه كذباً وزوراً إلى النبى ﷺ وهو أنه قال لعلى رضى الله عنه : (أنا خاتم الأنبياء وأنت يا على خاتم الأولياء) .

إذ لا يعقل أن يكون على آخر الأولياء ولا ولى بعده ، فلزم أن يكون معنى خاتم الأولياء أفضلية على بالنسبة لجميع الأولياء .

ومن حديث موضوع إلى حديث منقطع ، وهو أن النبى ﷺ قال لعمه

---

(١) تفسير البحر المحيط لأبى حيان ج ٧ ص ٢٣٦ ط ١ مصر .
(٢) تفسير مدارك التنزيل ج ٣ ص ٤٧١ ط ١ .
(٣) تفسير لباب التأويل للخازن ج ٣ ص ٤٧١ ط ١ مصر .

العباس بعد هجرته : (اطمئن يا عم فإنك خاتم المهاجرين) [illegible] يكون معنى الخاتم هنا أنه أفضل المهاجرين، والواقع أنه لم يعرف من قال من أهل العلم سلفاً وخلفاً : أن العباس هو أفضل من هاجر من مكة إلى المدينة على الإطلاق، فضلا من أن الحديث المقطع لا يحتج به، وعلى فرض صحته فلا حجة فيه أيضاً على ما ذهب إليه القاديانية، لأن العباس قد أسلم وهاجر قبل فتح مكة بقليل، فيصح أن يكون المقصود من قوله ﷺ للعباس : (أنك خاتم المهاجرين) أى آخرهم، أو من آخرهم إن لم يثبت آخريته لهم بالفعل، وذلك لقرب هجرته من الفتح.

كما استشهد القاديانية على أن معنى الخاتم هو الأفضل بقول حسن بن وهب فى مرثية أبى تمام الطائى :

فجع القريض بخاتم الشعراء   وغدير روضتها حبيب الطائى

ومعنى خاتم الشعراء فى البيت ـ كما يزعم القاديانية ـ أفضلهم لا آخرهم فإن سلسلة الشعراء لم تنقطع بأبى تمام.

ولكنه لم يعرف كذلك من قال : إن أبى تمام كان أفضل من قرض الشعر من سابقيه ولاحقيه، ويجوز أن يكون مقصود الشاعر أن أبا تمام خاتم الشعراء أى آخر نوعيته من الشعراء الحكماء الذين تقدموه، وعلى إرادة [illegible] من هذا اللقب لأبى تمام أنه أفضل الشعراء وأتمهم لفضائل الشعر على [illegible] فإن ذلك لا يتنافى مع كون المعنى الحقيقى فى اللغة العربية [illegible] التى حددتها معاجم اللغة وكانت منطلقاً لعامة المفسرين [illegible] خاتم النبيين فى الآية، بل لا يعقل أن يكون إطلاق كلمة الخاتم لقباً على بعض [illegible] فى الشعر أو الفقه أو الحديث. ولو قال : فلانا خاتم الفقهاء أو المحدثين، على سبيل

المجاز والمبالغة لا يعقل أن يكون ذلك مانعاً ألبته من استعمال الكلمة في معناها الحقيقي الذي تواضع عليه أهل اللغة ، على أن الناس إذا أطلقوا على شخص أنه خاتم الشعراء بالمعنى الحقيقي لكلمة الخاتم ، فلا يلزم أن لا يأتي بعده شاعر ، لأن ذلك فوق إدراكهم القاصر وعلمهم المحدود ، بخلاف الحال إذا قال الله جل شأنه عن شخص أنه خاتم النبيين ، فإن كمال علمه تعالى وشمول إحاطته يستلزمان أن لا يأتي بعد هذا الشخص نبي . ولا مجال حينئذ لصرف الكلمة عن الحقيقة إلى المجاز .

وفسر القاديانية كلمة الخاتم كذلك (بالزينة) دون أن يستندوا إلى شيء من كلام العرب أو أقوال اللغويين أو المفسرين والذي استندوا إليه في بيان هذا المعنى هو كلمة الشيخ محمـــد طريح النجفي (أحد علماء الشيعة) فقالوا يقول صاحب مجمع البحرين ما نصه : « ومحمد خاتم النبيين ، يجوز فيه ـ فتح التاء وكسرها ـ فالفتح : بمعنى الزينة ، مأخوذ من الخاتم الذي هو زينة للابسه » .

يقول الشيخ الخضر حسين معلقا على ذلك : والواقع أن الشيخ النجفي قد صرح بأن النبي ﷺ آخر النبيين ، فقد قال قبل تلك الكلمة : « قوله تعالى : (وخاتم النبيين) أي آخرهم ليس بعده نبي » ثم قال : « ومحمد خاتم النبيين يجوز فيه فتح التاء وكسرها ، فالفتح : بمعنى الزينة ، مأخوذ من الخاتم الذي هو زينة للابسه ، وبالكسر : اسم فاعل بمعنى آخر .

ولما كان صاحب مجمع البحرين يعتقد أن محمداً ﷺ آخر الأنبياء ليس بعده نبي ، فقصارى أمره أن يكون أخطأ في تأويل (خاتم) على قراءة الفتح بمعنى الزينة ، فإنه مخالف لأقوال من هم أدرى منه بتفسير كتاب الله تعالى ، وبوجوه استعمال الألفاظ العربية حقيقة أو مجازاً .

ولعل القاديانية يعلمون أن القرآن الكريم إنما يستشهد فى تفسيره بكلام العرب ، ويتيقنون أن استشهادهم بالعبارات التى ينقلونها عن بعض الكتاب ، لايقبله أهل العلم ، ولكنهم يسوقونها استهواء لقوم يجهلون آداب البحث ، ولايفرقون بين ما يصح أن يستشهد به فى تفسيره كتاب الله تعالى ، وما لا يصح الاستشهاد به[1] .

وإذا كان ما سبق من سياق الآية الكريمة وفهم الغرض الذى سيقت له ، واتفاق أصحاب المعاجم اللغوية والمفسرين على تحديد معنى خاتم النبيين تأبى شيئاً من تأويلات القاديانية وتوجيه الآية القرآنية وفق أهوائهم ولخدمة مطامعهم فإن السنة الصحيحة لم تدع فرصة للعابثين بمفاهيم الإسلام وحقائقه والمتلاعبين بمفاهيم القرآن أن يتمادوا فى تحريفهم وتزييفهم ، فالسنة خير ما يبين القرآن وأول ما يلجأ إليه فى تحديد وتخصيص معانيه .

فقد صرح النبى ﷺ فى عدد غير قليل من الأحاديث الصحيحة بأنه آخر الأنبياء ولا مجال لنبى يأتى بعده فضلا عن رسول بما يحسم كل الحسم قضية ختم النبوة بنبوته ﷺ وانتهاء سلسلتها برسالته ، وسنحاول هنا أن نقدم نماذج من هذه الأحاديث الصحيحة سنداً ومتناً .

١ — قال النبى ﷺ : إن مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ، فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين)[2] .

---

(١) انظر القاديانية والبهائية لمحمد الخضر حسين ص ٦٣ ، ٦٤ بتصرف .

(٢) رواه البخارى : كتاب المناقب باب خاتم النبيين ، وقد أخرج =

٢ ـ قال النبى ﷺ : (أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحى الذى يمحى بى الكفر . وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على عقبه ، وأنا العاقب الذى ليس بعده نبى)(١) .

٣ ـ قال النبى ﷺ : (كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبى خلفه نبى ، وأنه لا نبى بعدى وسيكون خلفاء)(٢) .

٤ ـ قال رسول الله ﷺ لعلى : (أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى)(٣) .

٥ ـ قال النبى ﷺ : (لقد كان فيمن قبلكم من بنى إسرائيل رجال

= مسلم أربعة أحاديث فى هذا المعنى فى صحيحه : كتاب الفضائل باب خاتم النبيين ، وزاد فى الحديث الأخير (وختمت بى الأنبياء) وقد أخرج الترمذى هذا الحديث ببعض ألفاظه فى سننه كتاب المناقب باب فضل النبى ، وكتاب الآداب باب الأمثال ، كما قد أخرجه أبو داود الطيالسى فى سننه فى حديث جابر بن عبدالله وفى آخره قول النبى ﷺ : (فختم بى الأنبياء) وقد أخرج الإمام أحمد عدة أحاديث فى هذا المعنى مع اختلاف يسير فى ألفاظها عن أبى بن كعب وأبى سعيد الخدرى وأبى هريرة .

(١) رواه الشيخان فى صحيحهما كتاب الفضائل باب أسماء النبى . والترمذى فى سننه ، كتاب الآداب باب أسماء النبى . والإمام مالك فى الموطأ ، كتاب أسماء النبى ، والحاكم فى مستدركه كتاب التاريخ بأسماء النبى .

(٢) رواه البخارى فى كتاب المناقب باب ما ذكره عن بنى إسرائيل .

(٣) رواه الشيخان فى صحيحهما فى كتاب فضائل الصحابة . وقد أخرجه الشيخان فى ذكر غزوة تبوك أيضاً ، وأخرج الإمام أحمد فى مسنده روايتين فى هذا المعنى وفى آخر إحداهما قول النبى ﷺ : (إلا أنه لا نبوة بعدى) .

يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء فإن يكن من أمتى أحد فعمر)[1] .

٦ - قال رسول الله ﷺ : (فإنى آخر الأنبياء وأن مسجدى آخر المساجد)[2] .

٧ - عن ثوبان قال : قال رسول الله ﷺ : (.. وإنه سيكون فى أمتى كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبى . وأنا خاتم النبيين لا نبى بعدى)[3] .

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب المناقب ، وقد أخرجه مسلم أيضا فى صحيحه وفيه محدثون .

(٢) رواه مسلم فى كتاب الحج ، باب فضل الصلاة بمسجد مكة والمدينة .

(٣) تقدم تخريجه فى هذا الكتاب .

تأويلاتهم لنصوص السنة

ومن الأمور الطبيعية أن يأتى القاديانية على نصوص السنة مع دلالتها الصريحة على ختم النبوة بمحمد ﷺ ، فلا تسلم من تأويلاتهم التى يحرفون بها الكلم عن مواضعه .

وها هى بعض الأمثلة لهذه التأويلات :

١ - قالوا : لا يراد من قول النبي ﷺ : (فإنى آخر الأنبياء) أنه لا نبي بعده ، بدليل أنه عقب عليه بقوله : (وإن مسجدى آخر المساجد) إذ لا يعقل أنه ﷺ أراد من آخرية مسجده أنه لا يبنى مسجد فى الأرض بعده إلى يوم القيامة .

ويجاب عن ذلك : بأن كثيراً من الروايات الصحيحة الأخرى قد حددت معنى آخريته ﷺ للنبيين سواء فى الوجود أو فى الأفضلية كما حددت روايات صحيحة كذلك معنى آخرية مسجده ﷺ بأنه آخر المساجد فى الفضل ، إذ هو أحد الثلاثة التى تفضل غيرها من المساجد على الإطلاق والتى لا تشد الرحال إلا إليها وهى مسجده ﷺ بالمدينة المنورة ، والمسجد الحرام بمكة المكرمة ، والمسجد الأقصى ببيت المقدس .

وقد أخرج مسلم فى صحيحه هذه الروايات فى باب فضل الصلاة فى مسجدى مكة والمدينة عن أبى هريرة ، وعبد الله بن عمرو ، وأم المؤمنين ميمونة رضى الله عنهم جميعاً .

٢ - قالوا فى تفسير النبي ﷺ للعاقب بالذى ليس بعده نبى : أن هذا التفسير من كلام بعض الرواة وليس من كلام النبي ﷺ .

ويجاب عن ذلك : بأن سياق الحديث فى رواية الشيخين يأباه ويرفضه ويفيد أنه من قوله ﷺ ، فقد بين معنى الماحى : بالذى يمحو الله به الكفر ، وبين معنى الحاشر : بأنه الذى يحشر الناس على قدمه أو على عقبه ، فكان المناسب أن يكون بيان العاقب له ﷺ أيضاً لا لبعض الرواة كما زعم القاديانية .

يؤيده ما جاء فى رواية الترمذى من قوله ﷺ : (وأنا العاقب الذى ليس بعدى نبى)[1] بالإضافة إلى المتكلم ، مما يبعد معه بعداً كبيراً إن لم يكن ممتنعاً أن يكون هذا البيان من كلام الرواة ، وقد نقل كل من ابن عبد البر فى الاستيعاب[2] والقاضى عياض فى الشفاء[3] بلفظ (وأما الخاتم ختم الله بى النبوة ، وأنا العاقب فليس بعدى نبى) أو (أنا العاقب الذى ليس بعدى نبى) .

٣ ـ أوردوا على ختم النبوة وانغلاق بابها بنبوة محمد ﷺ حديثاً رفعوه إلى النبى وهو قوله : (لو عاش إبراهيم لكان صديقاً نبياً) حيث تضمن الحديث الحكم بوقوع النبوة على تقدير استمرار حياة إبراهيم ابنه صلى الله عليه وسلم واستمرار حياته أمر ممكن فى نفسه . والمعلق على الممكن ممكن . فوقوع النبوة بعد محمد ﷺ إذن أمر ممكن بإقرار النبى ﷺ ، وهذا يتنافى مع القول بختم النبوة .

أجيب عن هذا : بأن هذا الحديث لا يصلح الاحتجاج به لضعفه ، إذ فى

---

(١) الترمذى جـ ٢ ص ١٣٧ ط مصر ١٢٩٢ هـ .
(٢) الاستيعاب لابن عبد البر على هامش الإصابة لابن حجر جـ ١ ص ٣٧ ط مصر .
(٣) الشفاء ص ١٩١ ط . استانبول .

سنده إبراهيم بن عثمان الذى اتفق كثير من المحدثين على ضعفه ، فقد قال عنه النسائى : متروك ، وقال عنه ابن معين : ليس بثقة ، قال الإمام أحمد : ضعيف ، وقال شعبة : كاذب .

ثم إن استمرار حياة إبراهيم فى قوله ﷺ : لو عاش ابراهيم ، إن سلم بصحة الحديث وإن كان أمراً ممكناً فى نفسه فإنه أمر ممتنع لغيره ، والأمر المانع له هو ختم النبوة ، وقد بين ذلك ﷺ فيما أخرجه الإمام أحمد فى مسنده عن النبى أنه قال : (لو بقى إبراهيم لكان نبياً ولكن لم يكن ليبقى لأن فيكم آخر الأنبياء)[1] .

ثم إن الحديث جاء فى صيغة القضية الشرطية مصدرة بلو ، ولا يلزم وقوع شرطها كقوله تعالى : « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا »[2] .

٤ ـ وجه القاديانية قوله ﷺ : (ألا إنه لا نبى بعدى) بأن المراد منه نفى الكمال ، أى نفى النبوة الكاملة وهى المستقلة . أما النبوة التبعية فليس هذا النفى مسلطاً عليها ، وسندهم فى هذا : ذكر هذا الجزء من الحديث بعد قوله ﷺ لعلى : (أنت منى بمنزلة هارون من موسى ـ فقوله عقبه ـ ألا إنه لا نبى بعدى) معناه أن علياً بعد شبهه بهارون أن تبعيته لنبينا صلى الله عليه وسلم كما كان هارون تابعاً لموسى عليه السلام ـ استثنى النبى صلى الله عليه وسلم نفى وقوع النبوة المستقلة بعده من النبوة بالتبعية كنبوة هارون ونبوة على .

---

(١) فتح البارى لابن حجر .

(٢) سورة الأنبياء الآية ٢٢ .

هذا هو مفاد تأويلهم لهذا الحديث الصحيح .

ويجاب عنه بما يفهم من مجموع الروايات الصحيحة التى أخرجها كل من الإمام أحمد وأبى داود الطيالسى ومحمد بن إسحاق أنه ﷺ لما أراد أن يخلف علياً بالمدينة حين خروجه مع أصحابه إلى غزوة تبوك قال له آسفاً حزيناً : (أتخلفنى يارسول الله فى الخالفة فى النساء والصبيان) فأراد النبى أن يخفف من أسفه وحزنه وأن يبين له ثبات منزلته ومكانته عنده فقال له : أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى ؟ أى أنه ﷺ لم يخلفه إلا كما خلف موسى هارون فى بنى إسرائيل حين وعده ربه ودعاه إلى مكالمته فى الطور ، ولما خشى النبى ﷺ أن يحدث هذا التشبيه بعده فتنة استدرك فقال : (ألا إنه لا نبى بعدى) . أى مع ظفرك بمنزلة هارون إلا أن الفارق بينك وبينه هو أنه كان نبياً . وأما أنت فلست بنبى لأن النبوة ختمت بى وأغلق بابها من بعدى .

من عقائد القاديانية

١ — عقيدة الألوهية :

للميرزا فى عقيدة الألوهية موقفان متناقضان نستنبط هذا من واقع النصوص التى وقعت بين أيدينا من أقواله التى ننقلها عن كتبه ، فالموقف الأول له هو إظهاره الإله بمظهر الكمال المطلق الذى يجب له التنزيه عن النقائص التى لا تليق بمقام الكمال المطلق ويبتعد بموقفه هذا عن اتجاهات التشبيه الصريح ، اللهم إلا ما يؤخذ عليه فى القول بتغير الصفات مما يمكن أن يلتمس له فيه أوجه من التأويل يتضمن هذا الموقف النص الآتى من كتابه المسمى بـ (من هو الأحدى أو التعليم) الذى يقول فيه (وما يجب على جماعتى اتباعه أن يعرفوا عن يقين . أن لهم إلهاً قادراً أو قيوماً وخالقاً للكون كله أزلى الصفات وأبديها ، لا يخضع للتطور ، ولا يلد ولم يولد ، وهو يسمو بذاته عن ان يتألم أو يصلب أو يموت ، إنه قريب على بعده وبعيد على قربه ، هو متعدد المظاهر على توحده ، كلما طرأ على الإنسان تطور روحانى تجلى الله له بمظهر جديد ، وعامله طبقا لذلك التطور الجديد ومن ثم يرى الإنسان أن الله تعالى يتغير له حسب تغيره هو ، لكنه لا يصح ان تكون ذاته ـ عز وجل ـ قد تعرضت لهذا التطور ، بل إنها غير متغيرة وكاملة تمام الكمال منذ الأزل ، غير أن الإنسان إذا تقدم نحو التطور الروحانى ، قابله الله بالمثل ، وإذا رأى منه التقدم فى هذا الطريق ، ظهر له بمظهر من القدرة أرق . ولا تتجلى قدرته الخارقة للعادة إلا إذا حصل التطور بذات الصفة ، وهذا هو الأصل فى المعجزات والخوارق . . .

إن إلهنا هو فى فردوسنا لأن وجوده يحوى جميع الملذات وجماله يبز جميع الحسان ، هذا الكنز حقيقى بأن نصيبه ولو ببذل النفس وهذه الدرة جديرة بأن نحرزها ولو بفقد وجودنا - يا أيها المحرمون . اسعوا إلى هذا النبع الدفاق ، لأنه سيطفىء غليلكم ، إنه لنبع الحياة الذى ينقذكم من الموت .

وقد رأى الأخ الدكتور حسن عيسى عبد الظاهر (مستشهداً بهذا النص) أن هذا هو الموقف الوحيد الذى يمثل عقيدة الميرزا فى الإله ذاتاً وصفات، ويبدو أنه لم يقع على نصوص أخرى تفيد اختلافه فى هذا الموقف للميرزا مما وقفنا نحن عليه وهى النصوص التى تبرز الموقف المقابل والممثل لعقيدة التشبيه الصريح فى ذات الله وصفاته .

فهذا هو الميرزا يصف ربه بأنه يصوم ويصلى وينام ويصحو ويصفه بالخطأ والصواب فيقول : « قال لى الله إنى أصلى وأصوم ، وأصحو وأنام»[1] .

ويقول فى موضع آخر : قال الله : إنى مع الرسول أجيب ، أخطىء وأصيب ، إنى مع الرسول محيط[2] .

ويصف إلهه كذلك بأنه يوقع على الأوراق بمداد أحمر إلى حد سقوط المداد على ثوب الغلام وثوب أحد مريديه فيقول : « أنا رأيت فى الكشف بأنى قدمت أوراقا كثيرة إلى الله تعالى ليوقع عليها ويصدق الطلبات التى اقترحتها ، فرأيت أن الله وقع على الأوراق بحبر أحمر وكان عندى وقت الكشف رجل من مريدى يقال له عبد الله ثم نفض الرب القلم وسقطت منه قطرات الحبر الأحمر على أثوابى وأثواب مريدى عبد الله ولما انتهى الكشف

(١) البشرى ج ٢ ص ٩٧ الغلام القاديانى .

(٢) البشرى ج ٢ ص ٧٩ الغلام .

رأيت بالفعل أن أثوابي وأثواب عبد الله لطخت بهذه الحمرة مع أنه لم يكن عندنا شيء من اللون الأحمر ، وإلى الآن هذه الأثواب موجودة عند مريدى عبد الله »[1] .

ثم يأتي الغلام بصورة حسية لإلهه فيشبهه فيها بالأخطبوط فيقول : « نستطيع أن نفرض لتصوير وجود الله بأن له أيادى وأرجل كثيرة وأعضاؤه بكثرة لا تعد ولا تحصى ، وفي ضخامة لا نهاية لطولها وعرضها ، ومثل الأخطبوط له عروق كثيرة امتدت إلى أنحاء العالم وأطرافها »[2] .

ثم يجوز على ربه المباشرة والولادة وكان الميرزا يسلك هذا المسلك المكفر في وصف الله تعالى لينتهى إلى نتيجة تهمه شخصيا ويرسخها في نفوس وعقول أتباعه وهى إثبات أنه عيسى بن مريم فيقول فيما ينقل عنه أحد زعماء القاديانية بكر محمد : أنه رأى نفسه كأنه امرأة وأن الله أظهر فيه قوته الرجولية[3] .

ويقول غلام أحمد « قد نفخ في روح عيسى ، كما نفخ في مريم ، وحبلت بصورة الاستعارة ، وبعد أشهر لا تتجاوز عشرة أشهر ، حولت عن مريم ، وجعلت عيسى ، وبهذا الطريق صرت ابن مريم »[4] .

ثم يجترىء الميرزا فيدعى نبوته لله فيقول : خاطبنى الله بقوله :

---

(١) ترياق القلوب ص ٢٣ وحقيقة الوحى ص ٢٥٥ للغلام القاديانى .

(٢) توضيح المرام ص ٧٥ للغلام القاديانى .

(٣) ضحية الإسلام ص ٣٤ ليار محمد .

(٤) سفينة نوح ص ٩٧ للغلام القاديانى .

« اسمع ياولدى »[1] .

ثم يصل إلى ذروة التشبيه فيعتقد بوحدة الوجود فيقول : إن الله قال له : « أنت منى وأنا منك ، ظهورك ظهورى »[2] كما اعتقد بالحلول فى قوله : « إن الله نزل فى ، وأنا واسطة بينه وبين المخلوقات كلها »[3] .

وبعد هذه النصوص الصريحة الثابتة عن غلام أحمد على نحو ما رأينا لا يجد المرأ جهداً فى أن يسلكه فى عداد الغلاة من المشبهة فقد تجاوز فى تشبيهه - كما رأينا - سائر الغلاة فى التشبيه ممن عرفهم التاريخ الإسلامى من أمثال مضر وكهمس واحمد الهجيمى وداود الجواربى وغيرهم من الغلاة الذين انحدروا بمنهج التشبيه والوضع عن أسلافهم من اليهود .

والأثر اليهودى أشد وضوحا فى عقيدة التشبيه عند غلام أحمد بقدر وضوح الأثر النصرانى فى عقيدته إذ أعلن صراحة أنه ابن الله ، وقد عرفنا القرآن أن أصل العقيدة هم اليهود والنصارى ، وأنهم كفروا بها ، قال الله تعالى « وقالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون »[4] وإجماع الأمة منعقد على تكفير المشبهة المجسمة لمخالفتهم المذهب الحق مذهب أهل السنة والجماعة الذى كان مذهب الأشاعرة الماتودية أصدق صيغة معبرة عنه وقد دفع الأشاعرة عقيدة التشبيه والتجسيم وكفروا أصحابها بحشود من

---

(١) البشرى جـ ١ ص ٤٩ للغلام .

(٢) وحى المقدس ص ٦٩ للغلام .

(٣) كتاب البرية ص ٧٥ للغلام .

(٤) سورة التوبة آية ٣٠ .

الأدلة العقلية والنقلية وهى مبسوطة فى كتبهم الكثيرة ، ولا يسعنا هنا أن نوردها لئلا يخرج بنا ذلك عن حدود البحث وهى فى متناول من يريد أن يطالعها والأساس الذى انطلق منه أهل السنة والجماعة فى تنزيه الله سبحانه عن كل شبه بشىء من خلقه مثل قوله تعالى : (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير)[1] ، وقوله تعالى : (قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد)[2] .

هذا وليس فى وسع القاديانية أن يرفعوا عن زعيمهم تهمة التشبيه بحمل كلامه على ضرب من ضروب المجاز ، فإن المقرر عند أهل العلم أن صفات الله وأسماءه توقيفية فلا يجوز لمسلم أن يتجاوز فيها ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله مهما صح ثبوته عنه .

ونسبة عقيدة التشبيه إلى زعيم القاديانية مما ذهب إليه إحسان إلهى ظهير استنباطاً ، من النصوص السابقة[3] ، وقد سبق بنا القول : أن الدكتور حسن عيسى فى كتابه : (القاديانية نشأتها وتطورها) قد ذهب إلى سلامة عقيدة الرجل الإلهية كما أسلفنا توضيحها

ونحن لا نرجح أحد المذهبين على الآخر ونرى أنهما مرحلتان لمعتقد زعيم القاديانية غلام أحمد انتهى أمره فى المرحلة الثانية إلى عقيدة التشبيه المازرى على نحو ما وضحنا ، وهو ما يتفق مع التناقض الفكرى والعقدى

---

(١) سورة الشورى الآية : ١١ .

(٢) سورة الإخلاص .

(٣) القاديانية : دراسات وتحليل من ص ٩٧ - ١٠٠ .

الذى كان سمة بارزة فى شخصية غلام أحمد وهو ما يتفق فوق ذلك مع ما سبق أن حققناه فى بحثنا هذا من أن آخر مراحل دعوته أنها كانت ادعاء النبوة على وجه الاستقلال .

عقيدته فى القرآن :

وبنفس التناقض الذى رأيناه فى عقيدة الألوهية عند الميرزا ينقل نفس العالمين فى نفس الكتابين اعتقاده فى القرآن ، ومن ثم يكون رأينا فى مسلكه هنا كرأينا فى مسلكه هنالك . فقد مر اعتقادهم فيما يتعلق بالقرآن بمرحلتين أيضاً .

ففى أولى المرحلتين كما نقله عنه الدكتور حسن عيسى عبد الظاهر[1] من كتابه (من هو الأحمدى) يبدو اعتقاده مستقيما فهو لا يفضل على القرآن كتاباً ولا يرى النجاة فى غيره ، ويثنى على من يتبعه كما يتهدد من يخالفه ويعارضه ، إلى آخر ما جاء فى قوله الآتى :

(ألا تضعوا القرآن كالمهجور لأن لكم فيه حياة ، الذين يعظمون القرآن سيلقون العزة والكرامة فى السماء ، وإن الذين يفضلون القرآن على كل حديث ورأى سيفضلون فى السماء ، لا كتاب لبنى الإنسان اليوم على وجه هذه البسيطة إلا القرآن فانتبهوا ولا تخطوا ضد أوامر الله وتعاليه فى القرآن خطوة إلا الحق ، والحق أقول : من نقض أيسر وصية من وصايا القرآن السبعمائة فقد حرم نفسه من النجاة ، إن القرآن هو الهادى إلى سبيل السلام والنجاة ، أما سائر الطرق فإنما هى أظلال ، فتدبروا القرآن واحبوه

---

(1) القاديانية نشأتها وتطورها ص ٨٨ .

حباً ما أحببتموه أحداً لأن الله عز وجل خاطبني قائلا : الخير كله في القرآن أي وربي إنه لحق ، فياحسرة على الذين يؤثرون عليه غيره . يا أيها الناس إن منبع فلاحكم ونجاحكم في القرآن وحده ، ما من حاجة من الحاجات الدينية إلا وتوجد على أكمل وجه ، ولا ترفضوا دعوة القرآن الذي يريد أن يشرفكم بالنعم التي أوتيها الاولون ، بل قد أراد الله أن يعطيكم أكثر منهم وأعظم ، ولقد أورثكم متاعهم الروحاني والجسماني ، ولكن ليس لأحد أن ينتزعه منكم بالوراثة إلى يوم القيامة ، ولن يحرمكم الله من الوحى والمخاطبة)[١] .

هذا هو معتقده في القرآن ، وهي مرحلة مبكرة ـ كما قلنا ـ وكان الميرزا يظهر في كثير من الأحيان اعتدالا في معتقداته لمقتضيات مختلفة كاستمالة جماهير المسلمين تغطية لبعض مواقفه المزرية من الإسلام والمسلمين ، ولخداع علماء الإسلام لئلا يتمادوا في التصدى له وغير ذلك .

وقد يفسر لنا ظاهرة تذبذبه بين الاعتدال والانحراف في معتقداته ـ كما رأيناه ـ وكما سنرى في معتقدات تالية .

وها نحن نعرض الآن اعتقاده المتناقض لاعتقاده السابق في القرآن ، إذ أنه يوحى إليه ، وأن ما ينزل عليه مساو للقرآن والإنجيل والتوراة ويؤمن به إيماناً كاملا ويقسم على ذلك محدداً ما أنزل عليه بأنه قد بلغ عشرين جزءاً ، ويصرح أتباعه بنحو ذلك وها هو ذا يقول :

(والله العظيم أؤمن بوحيى كما أؤمن بالقرآن وبقية كتب أنزلت من السماء وأنا أؤمن بأن الكلام الذي ينزل على ينزل من الله كما أؤمن بأن

---

(١) من هو الأحمدى ص ١٥٠٤ .

القرآن نزل من عنده)[١] .

ويقول أيضاً : (إيماني بالإلهامات التي تنزل علي كالإيمان بالتوراة والإنجيل والقرآن)[٢] .

ويقول أيضاً : (نزل على كلام الله بهذه الكثرة لو يجمع لما يقل عن عشرين جزءاً)[٣] .

وأما مريدوه قد صرحوا بأن ما نزل عليه من الإلهامات هو أكثر مما نزل على كثير من الأنبياء ، وأن اسم الكتاب (الكتاب المبين) وذلك من مقتضيات كونه نبياً مستقلا بنبوته ، وأن هذا الكتاب مكون من أجزاء وآيات قال أحد أتباعه محمد يوسف القادياني : (إن الله سمى مجموعة إلهامات غلام أحمد بالكتاب المبين ، وسمى الإلهام الواحد الآية . فالذي يعتقد بأن لابد للنبي أن يكون صاحب كتاب عليه أن يؤمن أيضاً بنبوة غلام أحمد ورسالته ، لأن الله أنزل له كتاباً وسماه بالكتاب المبين ، وأثبت له هذا الوصف ولو كره الكافرون)[٤] .

ويقول خليفة القاديانية وأميرهم : (لا قرآن سوى القرآن الذي قدمه المسيح الموعود أي الغلام ، ولا حديث إلا ما يكون في ضوء تعليمات غلام أحمد ، ولا نبي إلا تحت سيادة غلام أحمد ، ومن يريد أن ينظر إلى محمد ﷺ فلينظر في عكس غلام أحمد ، لأنه لو أراد أن ينظر بدون واسطة لا يستطيع وهكذا وبدون وساطته لو أراد أن ينظر إلى القرآن فلا يكون هذا القرآن

---

(١) حقيقة الوحي للغلام ص ٢١١ .

(٢) تبليغ رسالته جـ ٦ ص ٦٤ .

(٣) حقيقة الوحي ص ٣٩١ .

(٤) النبوة في الإلهام لمحمد يوسف القادياني ص ٤٣ .

الذى يهدى من يشاء ، بل يكون القرآن الذى يضل من يشاء ، وهكذا الأحاديث فلا قيمة لها بدون إرشاد غلام أحمد ، وأن كل واحد يستطيع أن يخرج منها ما يشاء)[١] .

عقيدته فى السنة :

يرى غلام احمد أن السنة فى المرتبة الثانية بعد القرآن وهى قاصرة على الناحية العملية عن حياة النبى ﷺ ، لأن مهمته ﷺ منحصرة فى التطبيق العملى لأحكام القرآن ، وبيان مشكله وتفصيل مجمله .

ويفرق الميرزا بين الحديث والسنة فيقصر الحديث على ما دون من أقوال وأفعال النبى ﷺ ، ويقصر مهمته على كشف الحقائق الفقهية والتاريخية ، ويجعله فى المرتبة الثالثة بعد السنة [٢] .

ولكن القاديانية على دأبهم فى التجاوز يجعلون منزلة الحديث فى مرتبة بعد مرتبة كلام الميرزا وعند التعارض يقدمون كلام متنبئهم على حديث رسول الله ﷺ : ولو كان الحديث صحيحا ، ولا يعتمدون من الحديث إلا ما وافق كلامه وإن كان الحديث ضعيفا [٣] ، وهذا ما يقتضيه اعتقادهم الفاسد فى نبوة الغلام .

---

(١) خطبة الجمعة التى ألقاها محمود أحمد ابن الغلام فى قاديان المندرج فى الفضل ١٥ يوليو ١٩٢٤ م .
وانظر القاديانية دراسات وتحليل : إحسان إلهى ظهير ص ١٠٦ - ١١٠ .

(٢) انظر القاديانية نشأتها وتطورها : حسن عيسى عبد الظاهر ص ٩٠ ، ٩١ .

(٣) انظر القاديانية دراسات وتحليل .

موقف القاديانية من المسلمين

إن منطق القاديانية الذى تأسس على معتقدهم فى نبوة غلام أحمد المستقلة وإنكارهم لختم النبوة بمحمد ﷺ قد أفضى بهم كما يقتضيه هذا المنطق إلى تكفير من لم يعتنق هذه العقيدة من المسلمين ، فإن نبيهم المزعوم قد اعتبر من كفر به وبنبوته فى مصاف اليهود تارة ، وفى مرتبة أدنى من مرتبة المنافقين تارة أخرى ، وصرح تارة ثالثة وأتباعه من بعده بتكفيرهم .

ومن شواهدنا على تشبيه غلام أحمد المسلمين باليهود فى أقواله ما جاء فى الخطبة الإلهامية حيث قال : (إن نبيا المصطفى كان مثيل موسى ، وكانت سلسلة خلافة الإسلام كمثل سلسلة خلافة الكليم عليه من الله السلام ، فوجب من ضرورة هذه المقابلة والمماثلة أن يظهر فى آخر الزمان مسيح كمسيح السلسلة الموسوية ، ويهود كاليهود الذى كفروا عيسى وكذبوه)[1] .

وما قاله فى كتابه حقيقة الوحى مصرحاً بتكفير المسلمين (الكفر على قسمين :

أحدهما : أن يجحد الرجل عن الإسلام ، أو نبوة محمد ﷺ .

الثانى : أن يجحد المسيح الموعود « يعنى نفسه » ، ويكذبه مع سطوع الحجج على صدقه ، وإن أمعنت النظر وجدت كلا القسمين واحداً)[2] .

---

(١) انظر القاديانية والبهائية : الشيخ محمد الخضر حسين ص ٣٦ .

(٢) المرجع السابق ص ٥٥ .

ويؤكد موقف القاديانيين هذا من المسلمين أنهم رتبوا عليه أحكاماً ضابطة لعلاقتهم بالمسلمين ، وهى الأحكام التى حدد الإسلام بها علاقة المسلمين بأهل الكتاب .

من هذه الأحكام : أنه لا يجوز لقاديانى أن ينكح ابنته مسلماً فى حين يجوز أن ينكح هو ابنة المسلم ، كما لا يجوز القاديانى أن يحضر حفلات المسلمين فى زواج أو مأتم .

ومما جاء على لسان ابن الغلام ، وخليفته الثانى محمود أحمد :

(أنه لا يجوز لأى قاديانى أن ينكح ابنته من غير القاديانى لأن هذا أمر من المسيح الغلام القاديانى أمر مؤكد)[١] .

وقال أيضاً : (إن من ينكح ابنته من غير القاديانى فهو خارج عن جماعتنا مهما يدعى القاديانية ، وأيضاً لا ينبغى لأحد من أتباعنا أن يشترك فى مثل هذه الحفلات الزوجية)[٢] .

وقوله أيضاً : (يجوز أخذ بنات المسلمين ، والهندوس ، والسيخ ، ولا يجوز إعطاؤهم)[٣] .

وقوله أيضاً : (من أعطى بنته للمسلمين يطرد من الجماعة ويكفر)[٤] .

---

(١) كتاب بركات خلافت ص ٧٥ .

(٢) الفضل ٢٣ مايو سنة ١٩٢١م

(٣) الفضل ١٨ فبراير سنة ١٩٣٠م .

(٤) الفضل ٤ مايو ١٩٢٢م .

ومن الأحكام التي رتبها القاديانية على القول بتكفير المسلمين : أنه لا يجوز لقادياني أن يصلي على موتى المسلمين البالغين منهم ، والأطفال على حد سواء .

ومما قالوه في ذلك : (لا يجوز لأحدي أن يصلي على غير أحدي ، فكأنه بفعله يشفع إلى الله لمن أصر على مخالفة المسيح ، وإنكاره ومات عليه ، مع أن الله يمنع أن يصلي على المنافقين فكيف على من كفر بمأمور من الله ؟)[1] .

ولما سأل ابن الغلام محمود أحمد : (هل تجوز الصـــلاة على طفل من أطفال المسلمين ؛ لأنه معصوم ، ومن الممكن أن يصير قاديانياً لو بقي حياً ؟

فأجاب الخليفة الثاني : لا يصلي عليه ولو كان معصوماً كما لا يصلي على أطفال النصارى مع أنهم أيضاً معصومون)[2] .

وكذلك لا يجوز لقادياني أن يقول لمن مات من غير القاديانية : رحمه الله وأدخله الجنة ، لأن كفر هؤلاء — كما يزعمون — من البينات ولذا لا يستغفر لهم)[3] .

ومن هذه الأحكام أيضاً :

---

(١) انظر القاديانية والبهائية ص ٣٦ .

(٢) يوميات محمود أحمد المنشورة في الفضل ٢٣ أكتوبر ١٩٠٢ .

(٣) فتوى روشن علي ومحمد سرور في الفضل ٧ فبراير ١٩٢١م .

أنه لا يجوز لأحد القاديانية أن يصلى خلف إمام غير قادياني .

يقول غلام أحمد : (هذا هو مذهبي المعروف أنه لا يجوز لكم أن تصلوا خلف غير القادياني . . . . . فهذا حكم الله ، وهذا ما يريده الله ، وأن المتشكك ، والمذبذب داخل فى المكذبين ، والله يريد أن يميز بينكم وبينهم)[1] .

ويقول أيضاً : (إن الله أخبرني بأنه حرام حراماً قطعياً أن تصلوا خلف إمام من أئمتهم ، وهذا ما أشير إليه فى الحديث : « إمامكم منكم » . يعني إذا نزل المسيح فعليكم أن تتركوا الفرق التى تدعى الإسلام ، وتجعلوا إمامكم منكم ، فافعلوا ما أمرتم ، أتريدون أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون)[2] .

هذا هو موقف القاديانية من كل من لم يستجب لشيطانهم الذى خلعوا عليه رداء النبوة ، وصدقوه فى كذبه على الله ، يعتبرون أنفسهم هم المسلمون ، ويكفرون من يؤمن بمحمد وختم نبوته لسائر النبوات والرسالات .

وغرضهم هو قطع الصلة بينهم وبين المسلمين الحقيقيين ، كما قطعوها بين دينهم الباطل ودين الإسلام ، وكفر القاديانية ثابت ككفر نبيهم غلام أحمد منذ ادعائه النبوة ، وإنكارهم ختمها بمحمد صلى الله عليه وسلم ،

---

(١) ملفوظات الغلام المنشورة فى جريدة الحكم القاديانية بتاريخ ١٠ ديسمبر سنة ١٩٠٤م .

(٢) الأربعين ص ٢٤ ، ٢٥ .

وتصديقهم إياه واتباعهم له ، فقد فارقوا بعقيدتهم هذه ، وما ترتب عليها من عقائد فاسدة صريح القرآن ، والسنة الصحيحة ، كما خالفوا إجماع الأمة المنعقد على أن آخر الأنبياء والرسل هو محمد صلى الله عليه وسلم ، وآخر الكتب المنزلة هو القرآن المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، وآخر الأديان السماوية هو الإسلام الذى أظهره الله على الدين كله وأتم به النعمة .

وحسبنا ما عرضناه من ضلالات القاديانية ، وعقائدهم الفاسدة فى هذا البحث المتواضع الذى أسأل الله أن يعد لى من القربات والطاعات التى لا أبغى بها إلا قبوله ورضاه .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

أهم مراجع الكتاب

(ا) آرية دهرم - الغلام أحمد القادياني
إزالة الأوهام - الغلام أحمد القادياني
إزالة غلطة - الغلام
الاستفتاء - الغلام
الإسلام قوة الغد العالمية - باول شمتز ترجمة د/ محمد شامة
الإسلام في القرن العشرين - عباس محمود العقاد
الإعجاز الأحمدي - الغلام
إعجاز المسيح - الغلام
أنوار الخلافة - لابن الغلام وخليفته الثاني محمود أحمد
أهم الفرق الإسلامية والسياسية والكلامية - ألبير نصرى نادر
الإيقان - البهاء
(ب) براهين أحمدية - الغلام القادياني
بركات الخلافة - محمود أحمد بن الغلام
البرية - الغلام
البهائية - محب الدين الخطيب
البهائية تاريخها وعقيدتها - عبد الرحمن الوكيل
بيان القرآن - محمد علي
التبليغ إلى مشايخ الهند - الغلام
تبليغ الرسالة - قاسم القادياني
تتمة حقيقة الوحي - الغلام
تجليات إلهية - للغلام

تحفة كولرة وحاشيتها ـ الغلام

تذكرة الشهادتين ـ الغلام

ترياق القلوب ـ الغلام

تفسير الإنجيل (تبيان الكلام) ـ محمد على

تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ ابن كثير

تهافت البابية والبهائية فى ضوء العقل والنقل ـ د/ مصطفى عمران

(ج) جنون الغلام ـ محمد على المسلم

(ح) حقيقة الاختلاف ـ محمد على القاديانى

حقيقة البابية والبهائية ـ الأستاذ محسن عبد الحليم

حقيقة الوحى ـ الغلام

حمامة البشرى ـ الغلام

حياة النبى ـ يعقوب القاديانى

حياة أحمد ـ يعقوب على القاديانى

(خ) الخطوط العريضة للأسس التى قام عليها دين الشيعة الإمامية الاثنا عشرية ـ محب الدين الخطيب

(د) الدرر البهية ـ أبى الفضل الجرفادقانى

(ر) رد تكفير أهل القبلة ـ محمد على

(س) سفينة ـ الغلام

سيرة المهدى ـ بشير أحمد

(ص) صحيح مسلم بشرح النووى ـ تحقيق وإشراف عبد الله أحمد أبو زينة

(ض) ضميمة براهين أحمدية ـ الغلام

(ع) عقيدة ختم النبوة ـ د/ عثمان عبد عيش

العقيدة والشريعة فى الإسلام ـ جولد تسيهر

(ف) فتح البارى شرح صحيح البخارى ـ أحمد بن على بن حجر العسقلانى

الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى - د/ محمد البهى

(ق) القاديانية والإسلام - د/ محمد إقبال

القاديانية والبهائية - محمد الخضر حسين

القاديانية ثورة على النبوة والإسلام - أبو الحسن الندوى

القاديانية دراسات وتحليل - إحسان إلهى ظهير

القاديانية نشأتها وتطورها - حسن عيسى عبد الظاهر

القاديانية عرض وتحليل - محمد إسماعيل الندوى

القاموس المحيط - مجد الدين الفيروز آبادى

القرآن الكريم

(ك) كشف الاختلاف - المفتى القاديانى سرور شاه

الكواكب الدرية فى تاريخ ظهور البابية والبهائية - الميرزا عبد الحسين

لسان العرب - ابن منظور الافريقى

(ل) لوح المهدى - الغلام

(م) ما هى القاديانية - أبو الأعلى المودودى .

المؤامرة على الإسلام - أنور الجندى

المجدد الأعظم د/ بشارت أحمد

محاضرة سيالكوت - الغلام

محدية باكت بيك - الشيخ عبد الله معمار

المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها - د/ عبد الرحمن عميرة

مرآة كالات الملام - الغلام

مسند الإمام أحمد - تحقيق الشيخ أحمد شاكر

مطالع الأنوار - الزواندى البهائى

مفتاح باب الابواب - محمد مهدى خان

مقدمة ابن خلدون - ابن خلدون

مكتوب الإمام باسم الغلام - الطبيب القاديانى محمد حسين

ملحق الأربعين - الغلام

الملل والنحل - الشهرستانى

النبوة فى الإسلام - محمد على القاديانى

نور الحق - الغلام

الفهرست

رقم الإيداع بدار الكتب : ١٩٨٥/٢٦٦٤